The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Ossoul Ed-deen

Master Interpretation and Sciences of Quran



الجامعــــــة الإســــــــلاميـة بغـــزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كليـــــــة أصـــــــــول الديـــــــن

ماجستير التفســير وعلـــوم القـــرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الحشر

"دراسة موضوعية تطبيقية"

Educational guidance and methods deduced from Surat Alhashr

"An applied objective study"

إعداد الباحثة

إيمان أنور عرفات

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الكريم حمدي الدهشان

قُدِّم هذا البحث؛ استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين، في الجامعة الإسلامية، بغزة.

شعبان ١٤٤٢هـ- مارس ٢٠٢١م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدِّم الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الحشر

"دراسة موضوعية تطبيقية"

Educational guidance and methods deduced from Surat Alhashr

"An applied Subjective study"

أقر بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمَّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنَّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدَّم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي، أو بحثي، لدى أية مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the university's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	إيمان أنور عرفات	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	/ /٢٠٢١م	التاريخ:

نتيجة الحكم على الأطروحة

ملخص الرسالة

يهدف البحث في هذه الرسالة إلى بيان أثر الإيمان بألوهية الله تعالى وربوبيته في إصلاح النفس والمجتمع، وبيان الآثار التربوية والإيمانية والنفسية المستنبطة من سورة الحشر، وتحصين النفوس من الأفكار الهدامة والآراء الضالة والسلوك المنحرف.

وتحقيقًا لأهداف البحث؛ فقد اعتمد الباحث المنهجَ الاستقرائي الوصفي الاستنباطي، حسب منهجية التفسير الموضوعي.

ومن أهم النتائج التي توصَّلت إليها الدراسة ما يأتي:

١. الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له، والتنبيه إلي أَنه منار هداية، فيه كل مناهل العرفان والعلم والسعادة بحيث لو أُنزل على جبل أصم من الجبالِ الضخمة العاتية لرأَيته –مع كونه مثلًا في القسوة، علمًا في الرسوخ والثبات متهاوياً متداعيًا ومتشققًا، ومتصدعًا من قوة خشية الله وشدة جبروته.

٢. من لا يتعظ بالقرآن، فإنه مريض القلب، ومن باب أولى ألا يتعظ بغيره.

٣. العبودية لله والخضوع له شرف المؤمن وفيه عزه، وهي طريق الوصول للتقوى والتحصل عليها، وتمنع المسلم من كيد الشيطان وشره، فلا حياة ولا لذة إلا بالعبودية الخالصة لله.

٤. أسماء الله وأوصافه حسنى وعليا، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان.

وأوصت هذه الدراسة بما يأتي:

١. أوصي طلبة العلم بالتنقيب في القرآن الكريم عن التوجيهات والأساليب التربوية، وذلك من خلال نظرية التفسير الموضوعي.

٢. تربية المجاهدين على معاني سورة الحشر الجليلة من إيثار وأخوة حقيقية في الله ليستحقوا وعد الله بالنصر.

Abstract

The research in this thesis aims to demonstrate the effect of belief in the divinity and lordship of God Almighty on the reform of the soul and society, and the educational, faith and psychological effects deduced from Surat Al-Hashr, and the immunization of souls from destructive .thoughts, stray opinions and deviant behavior

To achieve the research objectives; The researcher has adopted the inductive descriptive deductive approach, according to the methodology .of objective interpretation

:Among the most important findings of the study are the following

Absolute confidence in the Qur’anic text and apply it in the reality .١ that it is the most important source of guidance such that if it was descended on a deaf huge mighty mountain,you would see it crumbling and cracked however its firmness and stability,and it was torn apart by .the strength of God-fearing and the severity

Whoever does not teach the Qur’an, he is sick of heart, and he would .٢ .not learn from other sources

Slavery to God is the honor of the believer and his glory, and it is the .٣ path to reaching piety and preventing the Muslim from evil of Satan to . acheive happinies

.The names and descriptions of God have great significance .٤

:This study recommended the following

recommend that science students search the Noble Qur’an for .١ pedagogical directions and methods, through the theory of objective .interpretation

Raising the Mujahideen on the venerable meanings of Surat Al-Hashr, .٢ in terms of altruism and true brotherhood in God, to deserve God's .promise of victory

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة:١٦].

الإهداء

أهدي هذه الرسالة العلمية

- إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... إلى من سما في زمن عزَّ فيه الشامخون. إلى روح أبي الطاهرة-رحمه الله-وأكرم الله مثواه وجزاه الله عني خير الجزاء، فلقد كان لتربيته وعنايته وتوجيهه الدائم فضل وصولي إلى ما وصلت إليه من تحصيل ونجاح، وكم كنت أتمنى لو كان معي في هذه اللحظات، ولكن الله اختاره لجواره...
- إلى من بها أعلو، وعليها أرتكز، إلى القـلب المعطاء، الَّتي أفنت حياتها في تربيتي ...أمي ... رمز الحب والتضحية والعطاء أمد الله في عمرها، وأحسن لها في أجرها. إلى زوجي المخلص الوفي، الذي يسر سبيل العلم في طريقي ... فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له الثواب.
- الى روح ابني الطاهرة الشهيد بإذن الله علاء أيمن البورنو، وروح أخي الطاهرة الشهيد بإذن الله أمجد أنور عرفات (أبو حازم)، وجميع الشهداء الأطهار.
- إلى قُرّةِ عيني ونبض فؤادي...فَلَذاتِ كَبِدي ... إيناس، وآلاء، وأسيل وعائلاتهم، وابني الغالي بهاء الدين، رزقني الله برَّهم. وحفظهم الله من كل سوء ومكروه، وأنبتهم الله نباتًا حسنًا.
- إلى أختي الوفية الغالية... أم فهمي من جاورتني في الشدائد وأعانتني على الخير وكانت خير سند وعونًا لي في هذا الدرب... أعزها الله ورفع شأنها...
- إلى إخوتي أعلام الخير بين الناس وعائلاتهم .... سدد الله تعالى خطاهم على الحق والإيمان.
- إلى كل العلماء العاملين المخلصين.
- إلى دكتوري الفاضل العالِم أ.د.زكريا الزميلي الذي ترك بصمة وأثراً كبيراً في مسيرتي التعليمية.
- إلى الجامعة الإسلامية حاضنة العلم والعلماء، وقلعة الشموخ والإباء...
- إلى كل من ساندني وشجعني ووقف بجانبي...

شكر وتقدير

الحمد الله الذي بفضله تتم الصالحات، وبتوفيقه تنجز المهمات، أَحمده سبحانه وأشكره على أن وفقني إلى إتمام هذه الرسالة، والصلاة والسلام على أشرف الخلق حبيب الحق محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم:٧].

إنه لا يسعني إلا أن أشيد بالفضل وأقر بالمعروف لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور/عبد الكريم حمدي الدهشان حفظه الله، ولا أملك ردًا لفضل إحسانه على سوى التوجه إلى المولى ﷻ داعية له بالسداد والثبات والبركة في عمره وعمله، فقد بذل جهداً كبيراً منذ اللحظات الأولى على إشرافه على هذا البحث، وما علمني من فيض إنسانيته وخلقه الرفيع ومستواه الراقي، وبما زودني به من عباراته الطاهرة وملاحظاته القيمة، حتى اللحظات الأخيرة إلى أن اكتمل هذا البحث وخرج إلى النور، فجزاه الله عني خير الجزاء. والشكر والتقدير موصول الى زوجته الأخت الفاضلة أ.سمية الدهشان على تشجيعها لي ودعمها المستمر لإكمال هذا البحث.

كما وأتقدم بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة:

الدكتور/ وليد محمد العمودي مناقشًا داخلياً.

الدكتور/ عبد الله علي الملاحي مناقشًا خارجياً.

لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من وقت وجهد في قراءته وثرائه بملحوظاتهما السديدة؛ لإخراجه في أحسن صورة وأبهى حلَّة.

وإلى من أوجب الله عليَّ شكرهما، والدي الحبيب الغالي النور الذي أضاء حياتي بالعلم والتقى رحمه الله، وأمي الغالية الحبيبة شمعة الكون، والقمر الباهر التي أنارت لي الدرب في عثراتي، والنبع الذي أرتوي منه حبًّا وحنانًا، من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، والتي كانت سبباً بعد الله في استكمال دراستي حفظها الله، وبارك الله لي فيها وفي عمرها وحسناتها..

والشكر والعرفان لزوجي الغالي من صبر وتحمل وضحى...

وأشكر كل من ساندني ودعمني وكان عونًا لي في هذا الدرب ولو بدعوة في ظهر الغيب.

فهرس الموضوعات

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل إلينا كتابه العظيم رحمة وذكرى، وهدى وبشرى، فأنار به السبيل، وأقام به الحجة، وفرق به بين الحق والباطل، ورفع به من شاء من عباده، و فضلهم على كثير ممن خلق تفضيلًا، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وأسوة المؤمنين، نبينا الأمين، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، أما بعد:

إن القرآن الكريم دستور هذه الأمة ومنبع أصالتها، وذخر حاضرها ومستقبلها، فيه من الدروس والحكم والقصص والأخبار ما يُشبع نهم القاصد له، المُحب للتزود من علومه ومعارفه، وفيه من العلم والمعرفة، والقواعد الأخلاقية، والتوجيهات التربوية، والتشريعية ما يجعلنا نعتز به، ونستغني به عن النظريات البشرية القاصرة، فلا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلَّا وجد لها فيه أصل، وقد اشتمل كتاب الله على كل شيء، أما أنواع العلوم، فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلَّا وفي القرآن ما يدل عليها؛ لذلك شرَّف الله ﷻ أهل القرآن، ورفع قدرهم وأعلى شأنهم.

فلا بدَّ للقرآن الكريم أن ينال منا ما يستحق الدراسة والتمحيص، فهو سبيل النجاة للبشرية اليوم مما تعاني من الأزمات والفتن المتلاحقة، التي جعلت الإنسان يستأسد على أخيه الضعيف، مما يدلل على وجود قصور وخلل في البرامج التربوية المختلفة، التي لم تفلح في تحقيق السعادة والأخوة الإنسانية، وكل ذلك يوجب عودة إلى كتاب الله تعالى، وما فيه من مضامين وتوجيهات وقيم وأساليب تربوية؛ لذا كان اختيار موضوع البحث (التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الحشر – دراسة موضوعية تطبيقية)، والله الموفق والهادي إلى الرشاد.

أولًا: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع في نقاط، منها:

١. استنباط الحقائق والهدايات، والعبر والعظات من السور القرآنية التي تمثل دورًا أساسيًّا للفرد، وسورة الحشر إحدى هذه السور.

٢. من المؤمل من هذه الدراسة مساعدة الباحثين على التواصل والتفاعل والتوافق مع كتاب الله ﷻ، وفهم المراد من النص القرآني.
٣. تبين الدراسة سبل الهداية والرشاد التي تزخر بها سورة الحشر، كما القرآن كله، لا سيما أنَّ البشرية تعيش واقع الضلال –والعياذ بالله–، وأن الأمة تعيش واقع التيه.
٤. تكشف الدراسة عن الهداية الربانية والتوجيه القرآني لعلاج الأزمات التي نمر بها، والسعي للوصول إلى بر الأمان، وسبل السلام التي وعدنا الله ﷻ بها.
٥. ظهور الحقائق والهدايات التربوية المتعددة التي تضمنتها سورة الحشر.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

دفعني لاختيار الموضوع أسباب، منها:

١. الباحث البارع لا يترك الأحداث تذهب سدىً بغير معرفة العبرة، واستنباط التوجيهات والدلالات التي يستثمرها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.
٢. الإفادة العلمية من توجيهات سورة الحشر التربوية.
٣. إبراز العقلية التي يفكر بها اليهود في مواجهة المسلمين، وطريقة تعامل المسلمين إزاءها.
٤. تشجيع أستاذي ومشرفي، الأستاذ الدكتور عبد الكريم الدهشان للبحث في هذا الموضوع.
٥. افتقار المكتبة الإسلامية إلى بحث محكم، يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة، وفي إطار دراسة قرآنية تفسيرية تربوية موضوعية.

ثالثًا: أهداف الدراسة والغاية منها

توجد عدة أهداف وغايات لهذا البحث، أذكر أهمها فيما يأتي:

١. بيان أثر الإيمان بألوهية الله ﷻ، وربوبيته في إصلاح النفس والمجتمع.
٢. استنباط التوجيهات التربوية والعقدية والاجتماعية والأخلاقية من سورة الحشر، وإبرازها في صورة جديدة معاصرة تساهم في مجال التأصيل الإسلامي للتربية في المجتمع المسلم.
٣. الكشف عن كنز ثمين، يتمثل في دراسة سورة الحشر، والعيش مع أحداث هذه السورة.
٤. تقديم وصفة قرآنية لعلاج أزمة قاتلة في واقع الأمة المعاش، ألا وهي أزمة الأخلاق، والأمة بأخلاقها، فإن ذهبت أخلاقها ذهب كيانها.

٥. توظيف قضايا السورة الكريمة لمحاولة علاج مشكلات واقعنا المعاصر، على مستوى الفرد والأسرة والأمة، بل البشرية جمعاء.
٦. تقديم علم نافع يكتب الله به الفائدة، والمنفعة في الدنيا والآخرة، ويجعله ﷻ متقبَّلًا قرباتٍ عندَه.

رابعًا: الدراسات السابقة

سورة الحشر من السور القرآنية المباركة، التي كان لها حظٌّ وافرٌ من الدراسات والبحوث والوقفات، إلا أنها لم تبحث وفق المنهج المقصود في هذه الدراسة، وهو المنهج الموضوعي في التفسير، بما يعني استنباط التوجيهات التربوية وأساليبها، وأذكر من هذه الدراسات ما يأتي:

١. (التفسير الموضوعي للقواعد والآثار الدعوية على ضوء دراسة سورة الحشر) تقديم الدكتور راشد سعد العليمي–الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب– كلية التربية الأساسية– قسم الدراسات الإسلامية– ٢٠١٨م.
٢. اعتماد كلية أصول الدين قسم التفسير سلسلة بعنوان (التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سور القرآن) وقد تم المطلوب باختيار السورة للكتابة في هذا الموضوع.

خامسًا: منهج الباحث

اعتمدت الباحثة المنهج الاستقرائي الوصفي الاستنباطي، حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقة من الخطوات الآتية:

١. التدبر والتأمل في سورة الحشر، ومحاولة استنباط معاني وتوجيهات وَعِبَر وعظات، وما ذلك إلا بفتح من الله تعالى وتوفيقه.
٢. الاعتماد على الآيات القرآنية من سورة الحشر، التي تبحث المواضيع المطروحة في هذه الدراسة وفق فصولها ومباحثها ومطالبها.
٣. وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب، بما ينسجم مع السياق القرآني في السورة وآياتها.
٤. بيان معاني المصطلحات الرئيسة لعنوان الدراسة.

٥. الاستشهاد بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم موضوع الدراسة وتخريجها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بذلك، وإلا فإنني أخرجه من مظانّه، مع ذكر حكم العلماء عليه -ما أمكن-.

٦. الاستدلال بأقوال العلماء وطلبة العلم، والاستعانة بتجاربهم، وما حصل معهم، خاصة من إخواننا الأسرى الذين عايشتهم، أو سمعت عنهم.

٧. توثيق الآيات القرآنية الواردة، بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن؛ وذلك تخفيفًا عن الحواشي.

٨. الترجمة لبعض الأعلام المغمورة المذكورة في الدراسة.

٩. الحرص التام -بإذن الله- على التزام الأمانة العلمية في النقل والتوثيق؛ لأن هذا شرع ودين.

١٠. إعداد الفهارس اللازمة، التي تسهل الانتفاع بالدراسة .

١١. عرض القضايا العقدية والفقهية وغيرها بشكل موجز مفيد، مع عدم الاستطراد في الآراء المختلفة للمحافظة على جوهر الرسالة التفسيرية.

١٢. استنباط القضايا والتوجيهات التربوية في سورة الحشر.

سادسًا: هيكل البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، ثم هيكل البحث.

- **الفصل التمهيدي**
- **تعريف عام بالسورة**
- **المبحث الأول**
- **التعريف بالمصطلحات الواردة في الدراسة**
- **المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة واصطلاحًا**
- **المطلب الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحًا.**
- **المطلب الثالث: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحًا**
- **المبحث الثاني**

- المطلب الأول: الجوانب التربوية من عصمة النبي ﷺ من القتل.
- المطلب الثاني: هلاك الكافرين الظالمين سنة من سنن الله في أرضه.
- المطلب الثالث: تآمر يهود بني النضير على الرسول ﷺ والمسلمين صفة متأصلة فيهم.
- المطلب الرابع: أوصاف اليهود من خلال السورة.
- المطلب الخامس: إجلاء يهود بني النضير من المدينة مع عظم حصونهم بسبب إلقاء الله الرعب في قلوبهم.
- المطلب السادس: جواز هدم ديار الكفار الأعداء، ومصادر قوتهم وأخذ أموالهم أثناء الحرب.
- المطلب السابع: حشر اليهود بالشام مؤذن ببداية تجمع اليهود فيها ليتم وعد الله بزوالهم.
- المطلب الثامن: الحشر الأول لليهود في الدنيا بين يدي رسوله ﷺ هل هو عقاب.
- المطلب التاسع: اليهود العدو الأخطر على الإطلاق، وليس الأقوى.
- المطلب العاشر: رحمة الإسلام في الجلاء.
- المطلب الحادي عشر: قذف الرعب في قلوب الكافرين وإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين لكونهما من جنود الله.
- المطلب الثاني عشر: معرفة عقلية من نتعامل معهم.
- المطلب الثالث عشر: اللبيب من اعتبر بغيره {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}.
- المطلب الرابع عشر: دفع شر الأعداء وأذاهم عن المسلمين ودينهم وبلادهم هو الهدف من الجهاد.
- المطلب الخامس عشر: جواز هدم ديار الكفار الأعداء، ومصادر قوتهم وأخذ أموالهم أثناء الحرب.

- المبحث الثالث
- الإسلام دين التكافل الاجتماعي

- المطلب الأول: الفيء والغنائم حق للمسلمين المنتصرين على أعدائهم وله مصارفه في الإسلام.
- المطلب الثاني: مظاهر تطور السياسة المالية الإسلامية بعد غزوة بني النضير.
- المطلب الثالث: مشروعية الوقف.

- المطلب الرابع: العدالة الاجتماعية في توزيع مقدرات الأمة.
- المطلب الخامس: وجوب امتثال جميع أوامر الرسول، واجتناب جميع نواهيه.

- الفصل الثاني

- التوجيهات التربوية النفسية المستنبطة في ضوء سورة الحشر

- المبحث الأول

- التوجيهات التربوية النفسية للمؤمنين المستنبطة في ضوء سورة الحشر

- المطلب الأول: رابطة العقيدة والإيمان أوثق من رابطة النسب والصهر.
- المطلب الثاني: من صفات المهاجرين التي تدل على صدقهم في دينهم.
- المطلب الثالث: الإنفاق والصدقة لها أثر عظيم على النفس والمجتمع.
- المطلب الرابع: المحبة والكرم والإيثار صفة من صفات الأنصار.
- المطلب الخامس: صفة الإيثار مع وجود الخصاصة لها أثر عظيم على تعميق الحب في الله.
- المطلب السادس: وجوب محبة الصحابة من المهاجرين والأنصار.
- المطلب السابع: الأمر بضرورة الدعاء والاستغفار لمن سبقونا بالإيمان.
- المطلب الثامن: إخبار النبي بما حصل بين المنافقين واليهود دليل على صدق النبوة.
- المطلب التاسع: الخلاف والفرقة والحقد والكراهية والغل سبب من أسباب تأخر النصر.

- **المبحث الثاني**
- **التوجيهات التربوية النفسية المستنبطة من مجاهدة المنافقين واليهود في ضوء سورة الحشر.**
- **المطلب الأول: انتشار النفاق والمنافقين في المجتمع سبيل إلى الهزيمة وانتصار الأعداء.**
- **المطلب الثاني: تحالف المنافقين مع الأعداء وأثره الخطير على المسلمين في كل زمان ومكان.**
- **المطلب الثالث: من صفات المنافقين التي تدل على كذبهم.**
- **المطلب الرابع: خوف المنافقين واليهود من المسلمين أشد من خوفهم من الله دليل على عدم فقههم بقدرة الله وعظمته.**
- **المطلب الخامس: قتال اليهود للمسلمين لا يكون إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر.**
- **المطلب السادس: عاقبة المنافقين واليهود مثل عاقبة الشيطان والإنسان المطيع له.**
- **المطلب السابع: المنافقون فيروس وطابور سادس ينشط في وقت الأزمات–رأي الباحثة.**
- **الفصل الثالث**
- **التوجيهات التربوية الأخلاقية للمؤمنين المستنبطة في ضوء سورة الحشر**
- **المبحث الأول**
- **تقوى الله جماع كل خير**
- **المطلب الأول: وجوب تقوى الله في أوامره ونواهيه ووجوب اتقاء عذاب الله.**
- **المطلب الثاني: محاسبة النفس وتصحيح مسارها.**
- **المطلب الثالث: أسباب نجاة العبد المؤمن في الدنيا.**
- **المطلب الرابع: في زمن ابتلاء العالم بفيروس كورونا أين أعمالنا الصالحة التي ادخرناها لندعو الله بها–رأي الباحثة–.**
- **المطلب الخامس: الحكمة من ذكر اسم الله الخبير.**
- **المطلب السادس: من صفات الفاسقين الغفلة والنسيان ومعناهما.**
- **المطلب السابع: من صفات المؤمنين الفائزين.**

الفصل التمهيدي

تعريف عام بالسورة

بين يدي الفصل التمهيدي:

يركز هذا الفصل التمهيدي على التعريف بالمصطلحات الواردة في الدراسة، وتعريف عام بسورة الحشر، من حيث الجوّ العام للسورة، وعدد آيات السورة وعدد أسمائها، وسبب نزول السورة وزمن ومكان نزولها، وفضائلها، وأهداف السورة ومقاصدها ومحورها الرئيس، ومناسبات تتعلق بالسورة.

وقد مثَّل هذا الفصل التمهيدي توضيحًا عمليًّا لذلك، من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات الواردة في الدراسة

يبين هذا المبحث التعريف بمصطلحات الدراسة، من الناحيتين: اللغوية والاصطلاحية، وهي: التوجيهات، والتربية.

المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة واصطلاحًا

أولًا: التوجيهات لغة

أصل التوجيهات في اللغة ما يدل على مقابلة الشيء، والوجه مستقبِلٌ لكل شيء، ويمكن أن يُعَبَّر عن الذات بالوجه[1]، وقال ابن منظور[2]: "الوَجهُ: مَعرُوفٌ، وَالجَمعُ الوُجُوه، ووَجه الكَلامِ: السبيلُ الَّذِي تقصِّدهُ بهِ"[3]، ويقال: وجوه البقر، أي: يشبه بعضها بعضًا؛ لأن وجوه البقر تتشابه كثيرًا، ووجه البيت: الحد الذي يكون فيه بابه، وجاء في السنة النبوية قوله ﷺ: **(لَتُسَوُنَّ**

(١) انظر: مقاييس اللغة– ابن فارس– ٨٨/٦.

(٢) هو أبو الفضل: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، الإفريقي، ثم المصري، ولد سنة ٦٣٠هـ، وله كتاب: لسان العرب، جمعه من معظم معاجم اللغة، التي سبق تأليفها، مثل: تهذيب اللغة والجمهرة والمحكم والصحاح والنهاية، ومات سنة (٧١١هـ). (انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة– ابن حجر العسقلاني– ١٥/٦، ١٦، بغية الوعاة– السيوطي– ٢٤٨/١).

(٣) لساب العرب– ٥٥٥/١٣.

بَيْنَ صُفُوْفِكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ)[1]، ويدلّ على هذا قوله ﷺ: **(لَا تَخْتَلِفُوْا فَتَخْتَلِفَ قُلُوْبِكُمْ)**[2].

ثانيًا: التوجيهات اصطلاحًا

عرَّف مصطلح التوجيهات خلقٌ كثيرون، غير أنني أذكر أكثر التعريفات التصاقًا بهذه الدراسة، ومنها:

١. تعريف الكاتبة نائلة محمد أبو هليل بأنَّه: "التوجيه هو عبارة عن عملية منظّمة على شكل خطوات وتخطيطات، وإرشادات يضعها الريادي أو القائد عن أفراد وفئة معينة من الناس؛ ليساعدهم على تحقيق أهدافهم بالشكل الصحيح"[3].
٢. وتعريف الأستاذ نصر حميدان شقيرات بأنه: "**مجموعة من الإرشادات المباشرة، المستنبطة من منطوق ومفهوم النصوص القرآنية، بما يعالج كافة القضايا العقدية، والتشريعية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسلوكية، والعسكرية، والأمنية، وكافة القضايا التي تخص الفرد والمجتمع، وما هو أوسع من ذلك**"[4].

وتقصد الباحثة بالتوجيهات في هذه الدراسة: التَّوْصيات والتَّعْليمات والإرشادات التي يتزود بها الإنسان من تعاليم دينه، من خلال تفسير سور القرآن الكريم، وفهم معانيه.

المطلب الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحًا.

أولًا: التربية لغة

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصولًا لغوية ثلاثة:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الأذان- باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها- ١٤٥/١- حديث رقم (٧١٧).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه- أبواب الصفوف- باب تسوية الصفوف- ٧/٢- حديث رقم (٦٦٤)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده صحيح.

(٣) مفهوم التوجيه بشكل عام- ٢٩/ديسمبر/٢٠١٦م- الموقع الإلكتروني: mawdoo3.com.

(٤) التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة يوسف- رسالة ماجستير- إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم الدهشان- ص١٠.

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٣٩]، ومما يؤيد هذا الأصل قول ابن فارس: "الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو. تقول من ذلك: ربا الشيء يربو، إذا زاد. وربا الرابية يربوها، إذا علاها، وربا: أصابه الربو؛ والربو: علو النفس"[١].

الأصل الثاني: ربى يربى على وزن خفي يخفى، ومعناها: نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مد يمد بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه.

قال: وربيت الأمر أربه ربا، وربابا: أصلحته ومتنته[٢].

ولفظة التربية مصدر كلمة (ربّى) بالتضعيف، فيقال: ربّاه تربية؛ أي: أحسن القيام عليه، ووَلِيه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن، وأما الربّ فعلى ثلاثة أقسام: يكون الرب بمعنى المالك، ويكون الرب بمعنى السيد المطاع، ويكون الرب بمعنى المصلح، ورَبّ الشيءَ: إذا أصلحه[٣].

يقول الراغب الأصفهاني: "الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام"[٤]، وقال البيضاوي: الرب في الأصل اللغوي بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئًا[٥].

ثانيًا: التربية اصطلاحًا

عرَّف الدكتور محمود أبو دف مصطلح التربية بأنه: "هي عملية منهجية متدرجة، تهدف إلى تنشئة وتكوين الإنسان الصالح، وفقًا لغاية الخلق"[٦].

---

(١) مقاييس اللغة- ٤٨٣/٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع- عبد الرحمن النحلاوي- ص١٦.

(٣) انظر: لسان العرب- ابن منظور- ١٥٤٧/٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن- ص٣٣٦.

(٥) أصول التربية الإسلامية- الحازمي- ص١٩-٢٠.

(٦) مقدمة في التربية الإسلامية- ص٣.

وذكرت الأستاذة زينب يوسف أنَّ مصطلح التربية هو: "العملية المقصودة أو غير المقصودة التي اصطنعها المجتمع؛ لتنشئة الأجيال الجديدة بطريقة تسمح بتنمية طاقاتهم وإمكانياتهم[١]، إلى أقصى درجة ممكنة، في إطار ثقافي معيَّن قوامه المناهج والاتجاهات"[٢].

ويلاحظ أن التعريف الدكتور محمود أبو دف هو الأدقّ؛ لما فيه من انسجام واضح من منهجية القرآن التربوية.

المطلب الثالث: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحًا

أولًا: الأسلوب لغةً

ذكر بعض أهل اللغة تعريف الأسلوب من الناحية اللغوية، بقوله: "(والأُسْلُوب): السَّطْرُ من النَّخِيل، و(الطَّرِيقُ) يَأْخُذُ فِيه، وكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَدَ فَهُوَ أُسْلُوبٌ. والأُسْلُوبُ: الوَجْهُ والمَذْهَبُ، يُقَال: هُمْ فِي أُسْلُوب سُوْءٍ، ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب، وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه. وكلامُه عَلَى أَسَالِيبَ حَسَنة، والأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ، يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي أَفَانِين مِنْهُ، والأُسْلُوبُ: (عُنُقُ الأَسَد)؛ لأَنَّها لَا تُثْنَى"[٣]، "ويقال إِنَّ أَنْفَه لَفِي أُسْلُوبٍ إِذا كَانَ مُتكبِّرًا"[٤].

"والتربيب الْقيام على الشَّيْء والإصلاح والمعاهدة لَهُ يُقَال ربه ورباه وربه ببائين وربته بِالتَّاءِ كُله بِمَعْنى حضنه وَقَامَ عَلَيْهِ وَمعنى الحَدِيث هُنَا تَضْعِيف الله أجره فِي ذَلِك وتكثيره"[٥].

ثانيًا: الأسلوب اصطلاحًا

يمكن الخروج بخلاصة تعريفية لمصطلح الأسلوب بأنه: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام، أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك[٦].

---

(١) الصواب: إمكاناتهم.

(٢) من أساليب التربية في القرآن الكريم- ص١٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس- مرتضى الزبيدي- ٣/٧١.

(٤) لسان العرب- ابن منظور- ١/٤٧٣.

(٥) مشارق الأنوار عل صحاح الآثار- عياض السبتي- ١/٢٨٠.

(٦) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن- الزرقاني- ٢/٣٠٣.

المبحث الثاني

بين يدي سورة الحشر

المطلب الأول: جو السورة العام

سورة الحشر معانيها عظيمة، وآدابها جليلة، وتوجيهاتها كثيرة، كما باقي سور القرآن الكريم، وقد تضمنت آدابًا وتوجيهات ربانيّة، وهي مثل سائر السور المدنية عنيت بالأحكام التشريعية، مثل:

١. كتابة الله تعالى الجلاءَ على يهود بني النضير من المدينة.
٢. تفصيل أحكام الفيء، وهو الأراضي والدور والأموال الآيلة من العدو للمسلمين من غير قتال، وبيان مصارفه وتوزيعه على مختلف فئات المسلمين، وحكمة ذلك التوزيع.
٣. الأمر بالتقوى.
٤. تفصيل لعلاقة المنافقين باليهود، وتحالفهم على الباطل، وكشف أخلاق الفريقين، ومنها خذلان المنافقين من يحالفونهم وقت الأزمة، وجبن اليهود وخوفهم من مواجهة المؤمنين، وتشبيه المنافقين بالشيطان الذي يغري الإنسان بالسوء والضلال، ثم يتخلى عنه في الوقت العصيب.
٥. بيان عظمة شأن القرآن، وعظمة من أنزله واتصافه بأوصاف الجلال.
٦. إيراد بعض أسماء الله الحسنى[1].

المطلب الثاني: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها وعدد أسمائها

أولًا: عدد آيات السورة وكلماتها وحروفها

سورة الحشر من سور المفصل[2]، يبلغ عدد كلماتها (٤٤٥) كلمة، وعدد حروفها (١٩١٣) حرفًا، وعدد آياتها أربع وعشرون آيةً في جميع العدد[3]، وقد أخطأ من قال إنها نزلت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٦٣/٢٨، التفسير المنير- الزحيلي- ٦٣/٢٨، التفسير الواضح- محمد الحجازي- ٦٤١/٣.

(٢) انظر: الأساس في التفسير- سعيد حوى- ٣/١٠.

(٣) انظر: البيان في عد آي القرآن- أبو عمرو الداني- ص٢٤٣.

بعد سورة البينة، وقبل سورة النصر، وأنها تعتبر من أواخر ما نزل على النبي ﷺ، وأنها السورة الثامنة والتسعون في ترتيب النزول[1]؛ لأنها تتحدث عن غزوة بني النضير، كما سيأتي في سبب النزول.

وأما ترتيبها في المصحف، فهي السورة التاسعة والخمسون[2]، حيث تقع في الجزء الثامن والعشرين، والحزب الخامس والخمسين.

ثانيًا: عدد أسمائها

الاسم الأشهر للسورة هو سورة الحشر.

وورد اسم آخر للسورة، وهو سورة بني النضير، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: **(قُلْ سُورَةُ النَّضِيرِ)**[3]، فَابْنُ جُبَيْرٍ سَمَّاهَا بِاسْمِهَا الْمَشْهُورِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُسَمِّيهَا سُورَةَ بَنِي النَّضِيرِ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ تَسْمِيَة النبي ﷺ إِيَّاهَا (سُورَةَ الْحَشْرِ)؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَرَى تَسْمِيَتَهَا (سُورَةَ بَنِي النَّضِيرِ)؛ لِقَوْلِهِ لِابْنِ جُبَيْرٍ: "قُلْ بَنِي النَّضِيرِ"[4].

وَتَأَوَّلَ ابْنُ حَجْرٍ كَلَامَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَنَّهُ كَرِهَ تَسْمِيَتَهَا بِـ (الْحَشْرِ)؛ لِئَلَّا يَظُنَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَة[5]، وَهَذَا تَأَول بَعِيدٌ. وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَرَادَ أَنْ لَهَا اسْمَيْنِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ فِي قَوْلِهِ: قُلْ، لِلتَّخْيِيرِ؛ فَأَمَّا وَجْهُ تَسْمِيَتِهَا (الْحَشْرَ)؛ فَلِوُقُوعِ لفظ الْحَشْرِ فِيهَا، وَلِكَوْنِهَا ذُكِرَ فِيهَا حَشْرُ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ، أَيْ مِنْ قَرْيَتِهِمُ الْمُسَمَّاةِ الزُّهْرَةِ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا إِلَى بِلَادِ الشَّامِ إِلَى أَرِيحَا وَأَذْرُعَاتٍ، وَبَعْضُ بُيُوتِهِمْ خَرَجُوا إِلَى خَيْبَرَ، وَبَعْضُ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٦٣/٢٨.

(٢) انظر: التفسير الوسيط- طنطاوي- ٢٧٩/١٤.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب المغازي- باب حديث بني النضير...-٨٨/٥- حديث رقم (٤٠٢٩).

(٤) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٦٣/٢٨.

(٥) انظر: فتح الباري- ابن حجر- ٣٣٢/٧، ٣٣٣.

بُيُوتِهِمْ خَرجُوا إِلَى الحيوة، وَأَمَّا وَجْهُ تَسْمِيَتِهَا (سُورَةَ بَنِي النَّضِيرِ)، فَلِأَنَّ قِصَّةَ بَنِي النَّضِيرِ ذُكِرَتْ فِيهَا[١].

المطلب الثالث: سبب نزول السورة، وزمن ومكان النزول.

سورة الحشر نزلتْ على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وَكَانَ نُزُولُهَا عَقِبَ إِخْرَاجِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ بِلَادِهِمْ سَنَةَ ثلاث من الْهِجْرَةِ، كما ذكرت عروة بن الزبير[٢]، وقيل: نزلت في أوائل السنة الرابعة من الهجرة، بعد غزوة أحد وقبل غزوة الأحزاب[٣].

سبب نزول سورة الحشر وقوع غزوة بني النضير، ففي عهد النبي ﷺ كان يسكن المدينة المنورة ثلاث طوائف من اليهود، وهم (بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة)، فوضع النبي ﷺ بينهم وبين المسلمين العهود والمواثيق؛ حتى يأمن جانبهم، ورغم ذلك، إلا أنهم نقضوا مواثيق النبي ﷺ؛ وذلك لأن الغدر وعدم الالتزام بالعهود، والوفاء بها من طبع اليهود.

هذا وقد كان من بين الطوائف التي تسكن في المدينة آنذاك، يهود بني النضير، الذين قاموا بعقد اتفاقية يملأها المكر والخداع مع المشركين، ضد النبي ﷺ والمسلمين، حيث أظهروا لهم العداوة والبغضاء للمسلمين، فَحاصرهم النبي ﷺ [٤]، وأجلاهم النّبي ﷺ، وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئًا، وجاءهم من الله ما لم يكن ببالهم، وسيّرهم رسول الله ﷺ، وأجلاهم من المدينة، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات في الشام، وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر:٢]، أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله تعالى،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٦٣/٢٨.
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه معلَّقًا- كتاب المغازي- باب حديث بني النضير...- ٨٨/٥.
(٣) انظر: في ظلال القرآن- سيد قطب- ٣٥١٩/٦.
(٤) انظر: المصدر السابق نفسه- الصفحة نفسها.

وخالف رسوله ﷺ، وكذب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم[1].

"قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي بَنِي النَّضِيرِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَصَالَحَتْهُ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى أَنْ لَا يُقَاتِلُوهُ وَلَا يُقَاتِلُوا مَعَهُ فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا وَظَهَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَتْ بَنُو النَّضِيرِ: وَاللَّهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي وَجَدْنَا نَعْتَهُ فِي التَّوْرَاةِ لَا تُرَدُّ لَهُ رَايَةٌ، فَلَمَّا غَزَا أُحُدًا وَهُزِمَ الْمُسْلِمُونَ ارْتَابُوا وَأَظْهَرُوا الْعَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَكِبَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنَ الْيَهُودِ إِلَى مَكَّةَ فَأَتَوْا قُرَيْشًا فَحَالَفُوهُمْ وَعَاقَدُوهُمْ عَلَى أَنْ تَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَدَخَلَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَرْبَعِينَ، وَكَعْبٌ فِي أَرْبَعِينَ مِنَ الْيَهُودِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ الْمِيثَاقَ بَيْنَ الْأَسْتَارِ وَالْكَعْبَةِ، ثُمَّ رَجَعَ كَعْبٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا تَعَاقَدَ عَلَيْهِ كَعْبٌ وَأَبُو سُفْيَانَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَقَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ اطَّلَعَ مِنْهُمْ عَلَى خِيَانَةٍ حِينَ أَتَاهُمْ فِي دِيَةِ الْمُسْلِمَيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو ابْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ بِئْرِ مَعُونَةَ، فَهَمُّوا بِطَرْحِ حَجَرٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ فَعَصَمَهُ اللَّهُ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ.

فَلَمَّا قُتِلَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَكَانُوا بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا زَهْرَةُ، فَلَمَّا سَارَ إِلَيْهِمُ النَّبي ﷺ وَجَدَهُمْ يَنُوحُونَ عَلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ وَاعِيَةٌ عَلَى إِثْرِ وَاعِيَةٍ، وَبَاكِيَةٌ عَلَى إِثْرِ بَاكِيَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: ذَرْنَا نَبْكِ شَجْوَنا ثُمَّ ائْتَمِرْ أَمْرَكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: الْمَوْتُ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَتَنَادَوْا بِالْحَرْبِ، وَآذَنُوا بِالْقِتَالِ، وَدَسَّ الْمُنَافِقُونَ –عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ وَأَصْحَابُهُ –إِلَيْهِمْ: أَنْ لَا تَخْرُجُوا مِنَ الْحِصْنِ، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَنَحْنُ مَعَكُمْ وَلَا نَخْذُلُكُمْ وَلَنَنْصُرَنَّكُمْ وَلَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ، فَدَرَّبُوا عَلَى الْأَزِقَّةِ وَحَصَّنُوهَا، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: أَنِ اخْرُجْ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فَيَسْتَمِعُوا مِنْكَ فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلُّنَا فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ

(١) انظر: التفسير المنير– الزحيلي– ٢٨/٦٤، ٦٥.

حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي بَرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ؟ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: كَيْفَ نَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُّونَ رَجُلًا؟ اخْرُجْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَنَخْرُجُ إِلَيْكَ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ عُلَمَائِنَا فَيَسْتَمِعُوا مِنْكَ فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلُّنَا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَخَرَجَ ثَلَاثَةٌ مِنَ اليهود، واشتملوا عَلَى الْخَنَاجِرِ وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةٌ نَاصِحَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى أَخِيهَا وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَرَادَ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَخُوهَا سَرِيعًا حَتَّى أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَّهُ بِخَبَرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَاصَرَهُمْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَأَيِسُوا مِنْ نَصْرِ الْمُنَافِقِينَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الصُّلْحَ فَأَبَى عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَبِلُوا ذَلِكَ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلْقَةَ وَهِيَ السِّلَاحُ، وَعَلَى أَنْ يُخْلُوا لَهُمْ دِيَارَهَمْ وَعَقَارَهُمْ وَسَائِرَ أَمْوَالِهِمْ"(١).

المطلب الرابع: فضائل السورة.

سورة الحشر من السور التي وردَتْ في فضلها بعض الأحاديث في السنة؛ ولكن أغلب هذه الأحاديث ضعيفة أو متروكة لا يؤخذ بها؛ وذلك لجهالة أسانيدها، وعندما لا يجد علماء الحديث السند ولا يطلعون عليه؛ فهذا يعني أنها أحاديث ضعيفة وباطلة، وتذكر للاستئناس مع ضرورة التأكيد على أنَّ القرآن الكريم كلُّه خير، وتلاوة أية سورة من سور الكتاب فيها الأجر والثواب، وفيما يأتي بعض ما جاء من أحاديث منها الصحيح، والضعيف والحسن، مما جاء في فضل السورة:

عن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ المَنْزِلَةِ)**(٢).

---

(١) مصنف عبد الرزاق- عبد الرزاق الصنعاني-٥/٣٥٩-٣٦٠.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه- أبواب فضائل القرآن- ٥/١٨٢- حديث رقم (٢٩٢٢)- قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

المبحث الثاني

الأهداف والمقاصد ومحور السورة

المطلب الأول: المحور الأساس للسورة.

في هذه السورة معانٍ عجيبة من عدة نواحٍ، وبيان ذلك فيما يأتي(1):

أولًا: تتكلم السورة عن يهود بني النضير، وكيف أجلاهم النبي ﷺ من المدينة، وكيف وقف المنافقون في صف اليهود، وحاولوا مساعدتهم بالوعود فقط؛ لكنهم لم يعاونوهم حقيقية أبداً؛ لأنهم -كما هو معهود عنهم- لا يوفون بالعهود، ويقولون ما لا يفعلون، وهذا يأتي مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[الحشر:١١، ١٢]؛ فالسورة تبرز نوعين من الناس: المنتمي للإسلام، والمتبرئ منه.

ثانيًا: تعطي السورة نموذجًا ثانيًا عندما يتخلى الشيطان عن أتباعه من أهل الكفر؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[الحشر:١٦، ١٧].

ثالثًا: وصفت الآيات في السورة أصناف أهل الإيمان على مرّ الأجيال؛ فهم واحد من أصناف ثلاثة:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٢٨/٦٣-٦٥، التفسير المنير- الزحيلي- ٢٨/٦٣.

أ- المهاجرون، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحشر:٨].

ب-الأنصار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:٩].

ت-الأجيال المتعاقبة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، وقد وعظت السورة المؤمنين بتذكر يوم الحشر، ذلك اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه حسب ولا نسب وبيّنت الفراق بين أهل الجنة وأهل النار، ومصيرهم في الآخرة.

رابعًا: في السورة الكريمة آية هي من أجمل الآيات تصوّر عظمة هذا القرآن، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر:٢١]، ووجود هذه الآية في موقعها في السورة إثبات لليهود الذين ظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله فإذا كان الجبل الصلب العظيم يخشع إذا أنزل عليه القرآن فكيف بالحصون والقلاع؟ ومن أشدّ الجبل العظيم أم القلاع والحصون؟ فلا ناصر ولا معين إلا الله تعالى.

خامساً وأخيراً: ختمت السورة بآيات من قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤]، اشتملت على العديد من أسماء الله الحسنى، وهي كلها أسماء تدل على العظمة

والقوة، فكيف أيها المؤمن لا تنتمي لله الذي هذه بعض من صفاته والذي له الأسماء الحسنى سبحانه؟! ولا ننسى أن السورة ابتدأت ايضاً بتنزيه الله وتمجيده فالكون كله وما فيه من متناقضات وإنسان وحيوان ونبات وجماد كله شاهد على وحدانية الله وقدرته ناطق بعظمته وسلطانه سبحانه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[الحشر: ١].

المطلب الثاني: أهم مقاصد السورة.

الحديث عن مقاصد السور لا يكاد يكون مذكورًا في مجالس الدروس والمساجد، فرأت الباحثة أنه لا بد من الإشارة اليه؛ حتى نُعرّف الناس به، وحتى يكون طريقًا لفهم القرآن، ومعرفة مقاصده وأغراضه، من خلال التعرف على الموضوعات الأساسية، والأهداف الكبرى لكل سورة، وهذا العلم أشار إليه جمعٌ من المفسرين، بل اعتمده بعضُهم طريقًا لفهم آيات السورة، ومعرفة موضوعاتها، والربط بينها وذكر مناسبات هذه الآيات، وأيضًا لمعرفة المناسبات بين مقاطع السورة، وبين قصصها المذكورة فيها، وبين أولها وخاتمتها –كما سنبين إن شاء الله تعالى–؛ فالمقصد للسورة مما يعين على فهم كتاب الله تعالى فهمًا صحيحًا، ومن معرفة المقصد للسورة يتعرف إلى نظم السورة والمناسبات بين آيات السورة، وكذلك بمعرفة مقاصد السور تظهر بيان إعجاز القرآن وبلاغته، وهذا العلم مما يبعث رسوخ الإيمان في القلب، وبيان كيفية أن القرآن محكم.

و "وَقَعَ الِاتِّفَاقُ عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ بَنِي النَّضِيرِ، وَلَمْ يُعَيِّنُوا مَا هُوَ الْغَرَضُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَيَظْهَرُ أَنَّ الْمَقْصِدَ مِنْهَا حُكْمُ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ الِانْتِصَارِ عَلَيْهِمْ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْأُولَى مِنْهَا، أو بمعنى آخر تفصيلات غزوة بني النضير.

كما اشْتَمَلَتْ عَلَى أَنَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ دَالٌّ عَلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ، وَكَون مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكُهُ، وَأَنَّهُ الْغَالِبُ الْمُدَبِّرُ، وَعَلَى ذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى مَا يَسَّرَ مِنْ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ مَعَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَنَعَةِ وَالْحُصُونِ وَالْعُدَّةِ، وَتِلْكَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ تَأْيِيدِ رَسُول الله ﷺ وَغَلَبَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَذِكْرِ مَا أَجْرَاهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِتْلَافِ أَمْوَالِ بَنِي النَّضِيرِ وَأَحْكَامِ ذَلِكَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَتَعْيِينِ مُسْتَحِقِّيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعْظِيمِ شَأْنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ يَجِيئُونَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَشْفِ دَخَائِلِ الْمُنَافِقِينَ وَمَوَاعِيدِهِمْ لِبَنِي النَّضِيرِ أَنْ يَنْصُرُوهُمْ وَكَيْفَ كَذَبُوا

وَعْدَهُمْ، وَأَنْحَى عَلَى بَنِي النَّضِيرِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْجُبْنِ وَتَفَرُّقِ الْكَلِمَةِ وَتَنْظِيرِ حَالِ تَغْرِيرِ الْمُنَافِقِينَ لِلْيَهُودِ بِتَغْرِيرِ الشَّيْطَانِ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَتَنَصُّلِهِ مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَكَانَ عَاقِبَةُ الْجَمِيعِ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، ثُمَّ خِطَابُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَمْرِ بِالتَّقْوَى وَالْحَذَرِ مِنْ أَحْوَالِ أَصْحَابِ النَّارِ وَالتَّذْكِيرِ بِتَفَاوُتِ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ، وَبَيَانِ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ وَجَلَالَتِهِ وَاقْتِضَائِهِ خُشُوعَ أَهْلِهِ، وَتَخَلَّلَ ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى حِكْمَةِ شَرَائِعِ انْتِقَالِ الْأَمْوَالِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْوُجُوهِ الَّتِي نَظَّمَهَا الْإِسْلَامُ بِحَيْثُ لَا تَشُقُّ عَلَى أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، وَالْآمِرُ بِاتِّبَاعِ مَا يَشْرَعُهُ اللَّهُ على لِسَان رَسُول الله، وَخُتِمَتْ بِصِفَاتٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَأَنَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ؛ تَزَكِيَةً لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ، وتعريضًا بالكافرين"[1].

(١) التحرير والتنوير– ابن عاشور– ٢/٦٣، ٦٤.

المبحث الرابع

المناسبات في السورة

المطلب الأول: المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

يعدّ اسم السورةِ من أسماء يوم القيامة، ويرجع السبب في تسمية السورة الكريمة بهذا الاسم "الحشر" ومناسبته الى هدفها الرئيس؛ لِمَا ذكر فيها من قصة الحشر، وأن الله تعالى قد ذكر فيها حشر اليهود وجمعهم خارج المدينة المنورة، وهو الذي سيجمع الناس ويحشرهم يوم القيامة للحساب.

والله هو الذي أخرج عموم الذين كفروا من يهود بني النضير على وجه القهر؛ حيث ستروا ما في كتبهم من الشواهد التي تشهد لنبي الله محمد ﷺ، بأنه النبي الخاتم، وما في فطرهم الأولى من أن اتباع الحق أحق، ولما كان الوطن عديل الروح؛ لأنه للبدن كالبدن للروح، فكان الخروج منه في غاية العسر، دل على مزيد قهرهم به بأن قال (من ديارهم)، ولما كان منهم من جلا من المدينة الشريفة إلى خيبر، ولحق سائرهم بأرض الشام أرض المحشر، ولحق بعضهم بالحيرة، لوَّح إلى فتح خيبر وحشرهم منها حشراً ثانياً، بقوله معللاً أو موقتًا (الأول)، أي لأجل أول، أو عند أول (الحشر)، وفي ذلك إشارة إلى أن كل بلد حشروا إليه سيفتح، ويزلزلون منه زلزلة أخرى، لا تزال مصائبهم بأهل الإسلام قائمة حتى يكون الحشر الأعظم بالقيامة، والحشر: الجمع من مكان والسوق إلى غيره، وسمي أولاً؛ لأنهم أول من أجلي من اليهود من جزيرة العرب، والحشر الثاني لهم من خيبر على زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

وذكر بعض المفسرين أن يهود بني النضير كانوا من سِبْطٍ لم يصبْهُم جلاءٌ قط، وهم أولُ من أخرجَ من جزيرةِ العربِ إلى الشامِ، وهذا أولُ حشرِهِمْ[٢].

---

(١) انظر: نظم الدرر– البقاعي– ٤٠٧/١٩.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم– أبو السعود– ٢٢٥/٨.

المطلب الثاني: مناسبة أول السورة بآخرها.

بدأت السورة بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحشر:١]، وخُتمت بقوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الحشر:٢٤]، ختمت بتسبيح الله الذي له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، فيتناسق البدء والختام، مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله الحكيم[١]، وذلك لبيان مظاهر عزة الله وحكمته في العباد[٢].

فإذا كانت هناك العزّة، كانت معها القوة والحكمة، وكأنّ هذا تعليم للمؤمنين؛ لأنّ الله بأسمائه الحسنى يُعلمنا أن نكون أعزاء أقوياء، ويُعلمنا أن نكون حكماء، وأنّ القوة من غير حكمة ترتد على صاحبها، وأنّ الحكمة –أيضًا– من غير قوة قد تكون ذلاً وهوانًا.

فهذه الحقيقة التي وقعت وكانت في الوجود حقيقة تسبيح كل شيء في السماوات وكل شيء في الأرض لله، واتجاهها إليه بالتنزيه والتمجيد[٣].

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها "سورة المجادلة".

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه ثلاثة:

أولًا: ذكر في السورة السابقة من حادّ الله تعالى ورسوله ﷺ[٤]، ومن قتل من الصحابة أقرباءه يوم بدر، وفي أول هذه السورة ذكر من شاقّ الله تعالى ورسوله ﷺ، وما جرى بعد غزوة بني النضير من إجلاء اليهود، وقد حدثت الغزوة بعد بدر.

ثانيًا: أخبر الله في آخر السورة السابقة عن نصر الله تعالى للرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[المجادلة:٢١]، وأفاد في أول هذه إنجاز

(١) انظر: في ظلال القرآن– سيد قطب–٦/٥٣٢١.

(٢) انظر: أول مرة أتدبر القرآن– عادل محمد خليل– ص٢٢٧.

(٣) انظر: في ظلال القرآن– سيد قطب–٦/٥٣٢١.

(٤) انظر: تفسير المراغي– المراغي– ٢٨/٣٠.

النصر على اليهود، فقال عز من قائل: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[الحشر: ٢].

ثالثًا: كشف الله تعالى في السورة المتقدمة حال المنافقين واليهود وموادّة بعضهم ببعض، وذكر في هذه السورة ما حلّ بيهود بني النضير(١).

فكان مما تحدثت عنه سورة المجادلة فضح وجوه المنافقين، الذين يتناجون مع اليهود الذين يكيدون للإسلام، ويدبرون معهم ما يكيدون به للمؤمنين، وقد توعد الله هؤلاء المنافقين بالخزي في الدنيا، والمذلة والخسران والعذاب الأليم في الآخرة.

وهنا في سورة الحشر، يعرض على المنافقين بعض ما لقى أحلافهم وأولياؤهم من اليهود، من خزى، وذلة، ونكال، في هذه الدنيا، وإن هذا الخزي والذلة والنكال، ليتربص بهؤلاء المنافقين، إن هم ظلوا على نفاقهم، وسيلحقهم بإخوانهم الذين رأوا بأعينهم ما حلّ بهم.[٢]

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها "سورة الممتحنة".

كان مما تحدثت به سورة الحشر هذا الحديث الذي يكشف عن وجوه المنافقين، الذي جعلوا بينهم وبين الذين كفروا من أهل الكتاب مودة قائمة على العداوة والكيد للنبي ﷺ وللمؤمنين، وأن هذه المودة قد كانت شؤمًا وبلاءً على أهلها من هؤلاء وأولئك جميعًا.

وتبدأ سورة الممتحنة بهذا التحذير للمؤمنين، من أن يأخذوا هذا الاتجاه المهلك الذي اتخذه الذين نافقوا ممن كانوا في المؤمنين، فهذا التحذير الذي يجئ عقب هذا البلاء الذي حلّ بأحلاف الضلال، هو أشبه بالضرب على الحديد وهو ساخن -كما يقولون-؛ حيث يظهر أثر هذا الضرب عليه، ويستجيب للصورة التي يراد تشكيله عليها، فإنه لا ينتهِي الذي يتلو سورة (الحشر) من تلاوتها، حتى تلقاه سورة (الممتحنة)؛ لتعيده مرة أخرى إلى هذه الصورة التي تمثلت له مما حل بالمنافقين وأحلافهم من اليهود، ولتقيم بين يديه منها، هاوية يهوى إليها كل من يأخذ هذا الطريق الضال، فيجعل بينه وبين أعداء الله ورسوله ألفة ومودة. فإنه إن يفعل تردّى في هذه

---

(١) انظر: التفسير المنير- الزحيلي- ٦٢/٢.

[٢] التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ج١٤/٨٤٦.

الهاوية السحيقة التي تردّى فيها المنافقون الذين وقف على مصارعهم منذ قليل، فلينظر من كان له نظر، وليختر الطريق الذي يحلو له[1].

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن– الخطيب– ١٤/٨٨٩.

الفصل الأول
التوجيهاتُ التربوية المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المبحث الأول

التوجيهات التربوية الأخلاقية المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المطلب الأول: تسبيح الله ﷻ وتنزيهه شأن جميع المخلوقات واعترافاً بعظم قدرته.

تبدأ السورة بهذا النشيد القدسي الذي ينتظم الوجود كله، في سماواته وأرضه، مسبّحًا بحمد الله تعالى، في ولاء لعزته، وانقياد لسلطانه، وهذا النشيد، هو تقدمة حمد وشكر لله على ما أخذ به أهل الضلال والفساد من عقاب، فأنزلهم منازل الهون، وضرب على أيديهم الآثمة، التي طالما تطاولت على أولياء الله، وتصافحت على الكيد لهم، وإلحاق الضرر بهم.

فهذه نعمة عظمى تستحق من المؤمنين التسبيح بحمد الله، والشكر له، بل إن كل ما في السماوات والأرض يسبح بحمد الله، أن أحق الحق وأزهق الباطل[1].

وأصل التسبيح لغةً: الإبعاد عن السوء، وشرعًا: تنزيه الله تعالى، عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله[2]، والذي يتدبر القرآن الكريم، يجد أن الله تعالى قد ذكر فيه أن كل شيء في هذا الكون يسبح بحمده تعالى، كما ذكر ﷻ أنَّ الملائكة تسبح له، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠].

وكذلك الرعد، كما في قوله ﷻ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[الرعد: ١٣].

وكذلك الجبال والطير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۞ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ١٨، ١٩].

وكل ما في الكون، كما قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤].

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن– عبد الكريم الخطيب– ١٤/٨٧٤، ٨٧٥.

(٢) انظر: التفسير الوسيط– طنطاوي– ١٤/٢٨١.

نتوصل من خلال الآيات السابقة: أن الرأي الذي تطمئن إليه النفس هو أن التسبيح حقيقي؛ ولكن بلغة لا يعلمها إلا الله تعالى[1].

وذكر جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ لَفْظَ التَّسْبِيحِ مَحْمُولٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ فِي التَّنْزِيهِ وَالتَّحْمِيدِ[2].

والمعنى: سبح لله تعالى ونزَّهه عن كل ما لا يليق به، جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض من كائنات ومخلوقات. وهو -عز وجل -"الْعَزِيزُ" الذي لا يغلبه غالب الْحَكِيمُ في أقواله وأفعاله.

وقد افتتحت بعض السور -كسور الحديد والحشر والصف- بالفعل الماضي؛ لإفادة الثبوت والتأكيد، وأن التسبيح قد تم فعلًا.

وافتتحت بعض السور -كسورتي الجمعة والتغابن- بالفعل المضارع؛ (يسبح) لإفادة تجدد هذا التسبيح في كل وقت، وحدوثه في كل لحظة[3]، وافتتحت سورة من القرآن بالأمر بالتسبيح، وهي سورة الأعلى؛ لإفادة الطلب بالفعل بصيغة الإلزام، وافتتحت سورة من القرآن بصيغة المصدر، وهي سورة الإسراء.

رأي الباحثة في أثر التسبيح:

تنساب آيات سورة الحشر في الآذان الواعية، فتطهر القلوب من أضغانها، وتزرع الحب في أرجائها، ذلك ان تسبيح الله وتقديسه عن الشركاء هو سر الوجود والذوبان في بوتقة توحيده، والاستظلال تحت راية حمده التي ترفرفت بأسمائه الحسنى، كل ذلك أساس التجمع الإيماني المتسامي على حواجز المادة، وجذر لدوحة الصفات المثلى كالتكافل والإيثار، وينبوع رافد الحكمة والجهاد والعزة الإلهية.

وانسجامًا مع منظومة التسبيح الإلهية؛ لترتقي الى مسار نعم الله في ملكوته فقد سارت من ذابت نفسه وسبحت في ملكوته وأخرجت أفضل الخير وأفضل الصفات؛ فكان التكافل والإيثار، وتفجرت ينابيع الحكمة والجهاد والعزة الإلهية في قلبه، وتطهرت القلوب من أضغانها، وزرع الحب في أرجائها.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط- طنطاوي- ١٤/٢٨٢.

(٢) انظر: أضواء البيان- محمد الأمين الشنقيطي- ٨/٦.

(٣) انظر: التفسير الوسيط- طنطاوي- ١٤/٢٨١.

المطلب الثاني: استعراض مظاهر قدرة الله عز وجل دليل على عظمته تعالى.

إن توجيه نظرة إلى الآية الأولى في السورة بتسبيح الله وتحميده واستعراض مظاهر قدرته لهو دليل على قدرة وعظمة الله واستعراض مظاهر تلك القدرة، من خلال:

أولاً: إشعار لنا ولكل ما في الكون بأن الأمور لا تفلت من يد الله، وأنه إن ضاق اليوم فإن المستقبل له، الزمام بيده وهو الغالب على أمره، وقد تمثل هذا في مظاهر قدرة الله ﷻ في إخراج بني النضير[1]، ولذلك عندما بدأ ينكل بهؤلاء ذكر اسمه مقرونًا بالتسبيح والتحميد، وهو ﷻ يوجّه أنظار الصالحين إلى هذه الحقيقة كلما اشتدت عليهم الضوائق.

ثانيًا: من مظاهر قدرة الله توحيده وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ الشركة تنافي كمال العزة.

ثالثًا: من آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة، أي هو جلَّ وعلا الذي أخرج يهود بني النضير من مساكنهم بالمدينة المنورة (لأَوَّلِ الحشر)، أي في أول مرة حُشروا وأخرجوا فيها من جزيرة العرب؛ إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك[2].

رابعًا: أسماء الله تعالى تدلنا على ذاته وصفاته، وأسمائه من أمور الغيب التي لا يَعلمها الخلقُ إلا أن يعلمهم اللَّهُ إياها، وهذا لوحده يحتاج الى حمد الله على تعليمه لخلقه من خلال الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، "وعقل الإنسان قاصرٌ لا يمكنه إدراك ما يستحقه اللَّه تعالى من الأسماء"[3]؛ ليصلوا الى محبة عظيمة لله ﷻ فتقوى معرفة المرء بربه، ويقدره حق قدره، فتتجلى له معاني أسمائه وصفاته، ويقوي اعتصامه به، واعتماده عليه، وكان له نعم المولى، ونعم النصير.

خامسًا: قوله: (سَبَّحَ لِلَّهِ)، أي عظم الله وصلى وسجد للَّه، (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، من خلقه، كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[الإسراء: ٤٤].

سادسًا: استعراض مظاهر قدرته في ورود اسم الله ﷻ في قوله: (وَهُوَ الْعَزِيزُ)، أي: في انتقامهِ من أعدائهِ، مَنيعُ الجنابِ لا يعجزهُ شيء، (الْحَكِيمُ) في تدبير شؤون خلقه وفي قدره وشرعه[4]،

---

(١) انظر: التفسير الوسيط- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- ١٣٤٦/١٠.

(٢) انظر: صفوة التفاسير- الصابوني- ٣٢٩/٣.

(٣) النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى- أمين الأنصاري- ص٢٧.

(٤) انظر: التفسير المأمون على منهج التنزيل- مأمون حموش- ٦٦١/٧.

فهو منزه عن الضد والند والصاحبة والولد، وأنه يستحيل أن يشبه بشرًا، أو أن يشبهه بشر، وأنه لا يوصف بأنه والد ولا ولد.

سابعًا: من مظاهر قدرة الله تعالى ما هو مشاهد في هذا الكون مما يجريه الله ﷻ، منه ما شهدناه، ورأيناه، ومنه ما قرأنا عنه، أو رأينا صوره، أو بعض ذلك، ومنها إخراج بني النضير من ديارهم دون إراقة دماء ما ظَنَ المؤمنين أن يَخْرُجُوا، وَظَن يهود بني النضير (**أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ** حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ)، (فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا)، يدل على شدة بأس الله ﷻ، والله يرينا من آياته، وما أصابنا من المصائب فإنما هو بما كسبت أيدينا، ويعفو عن كثير.

رأي الباحثة في مظاهر قدرة الله تعالى:

افتتاح السورة باستقبال رحيق النور المنبعث من الآيات المباركات من سورة الحشر بالتسبيح:

- لأن الله قدوس يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو العزيز الحكيم.

- ولأنه عزيز، فإنه قهر الذين كفروا بالرسالة ومن حاربوها من أهل الكتاب، وأخرجهم حتى يوم الحشر من ديارهم بالرغم من تجذرهم فيها، فلم يظنوا بأنهم خارجون منها؛ لأنهم شاقوا الله حينما كفروا برسالته، ولأنهم شاقوا الرسول، ومن آيات عزة الله، أنه شديد العقاب بالنسبة إلى من يشاق الله.

وكل ذلك يثمر في القلب الخشية والخوف والرجاء، والمحبة والتعظيم والإجلال، والتوكل والتسليم لأوامره سبحانه وتعالى ويثمر العبودية لله ﷻ ظاهرًا، وثمرات العلم بهذه الأسماء باطنًا.

المطلب الثالث: معرفة الله التي تسوق إلى المحبة.

إن المتدبر لسورة الحشر يستيقظ على حقيقة، وهي: أننا ما عرفنا الله حق معرفته ولا قدرنا الله حق قدره، ولا عظمنا الله حق تعظيمه، وإن كان الإنسان سيندم على شيء فلن يندم مثل ندمه على تقصيره وتفريطه في معرفة ربه وخالقه ومولاه، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال :(**أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟)، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ،**

وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا)، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ (وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ)، قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: "إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ" وَسَاقَ الْحَدِيثَ[1].

ومعنى كلامه: أنه يريد أن يجعل الله تعالى وسيلة توصل إلى النبي ﷺ؛ لكن النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا الكلام غضِب، ورُئِي التغير في وجهه، ثم قال للأعرابي: ويحك أتدري ما الله ؟! ثم أخذ يسبح ويسبح عليه الصلاة والسلام.

هذا الأعرابي عرف قدر النبي ﷺ؛ لكنه جهِل قدر الله!!

أكبر مصيبة يوم أن يجهل الإنسان قدر ربه ﷻ...!

وإذا اختلت معرفة الله تعالى عند العبد اختلت عنده بقية الموازين من: المحبة والخوف والرجاء والخشية والتقوى والتعظيم والفرار والتوسل والاستغاثة والاستعانة وغيرها، فإذا ضعُف الله في قلوبنا ضعُفت العبودية، وإذا عظم الله في قلوبنا عظمت العبودية؛ لذلك نجد أن أكثر الناس تلذذًا في صلاتهم وصيامهم وحجهم وذكرهم وسائر عباداتهم هم الذين عرفوا من هو الله !!، وقد ذكر أهل العلم أنه إذا أردت أن تتعامل مع الله تعالى فلا بد أن تعرف من هو الله ﷻ[2]، ومن عظمة الله ﷻ أنه يعرف عباده بنفسه؛ ليعظموه ويُجلوه، وليعلموا أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولهذا كان النبي ﷺ حريصًا جدًا على أن يغرس هذه المعرفة في قلوب أصحابه ﵃.

المطلب الرابع: الآثار التعبدية والإيمانية لاسمي الله العزيز الحكيم.

اقتران اسم الله العزيز بالحكيم في الآية الكريمة له أسرار دقيقة، ومعانٍ بديعة؛ لأن العزة وحدها قد تحمل على شيء من الظلم، والقهر بغير الحق، هذا بالنسبة للمخلوقين، وقد تحمل العزة على أمور لا تليق بالله عز وجل، فهذه العزة إن لم يكن معها حكمة فإنها قد تحمل على أمور غير لائقة، فعزة الله ﷻ مقرونة بالحكمة، فلا يصدر منه مع عزته ﷻ، إلا ما يليق، وبهذا تكون العزة قد بلغت غايتها في الكمال؛ لأنها مزمومة، ومقرونة بالحكمة.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه- كتاب السنة- باب في الجهمية- ١٠٧/٧- حديث رقم (٤٧٢٦)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده ضعيف.

(٢) انظر: وقفات تربوية في سورة الحشر- نجلاء السبيل- ص١.

وتقدم العزيز على الحكيم؛ لأنه عزَّ فلما عز حكم، وربما يكون ذلك من قبيل تقديم السبب على المُسبَّب، كما يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله[1]، فهو الغالب الذي لا يعجزه شيء سبحانه، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله جميعاً يضع الأشياء في محالها التي تناسبها مناسبة تامة.

المعنى اللغوي لاسم الله "العزيز":

"العز" في الأصل: القوة والشدة والغلبة[2].

وجاء في الحديث القدسي: **(العِزُّ إِزَارِيْ)**[3]، واستعاذ النبي ﷺ بعزة الله تعالى: **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ)**[4]، ومعناه في حق الله تعالى: الله ﷻ هو العزيز بكل معاني العزة، كما قال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[فاطر:١٠]، وقوله: (رب العزة) العزة من الصفات الذاتية الملازمة للرب وهي راجعة لربوبيته تعالى[5].

الآثار التعبدية والإيمانية لاسم الله العزيز:

١. إن اسم الله "العزيز" يستلزم توحيده وعبادته وحده لا شريك له؛ إذ الشركة تنافي كمال العزة، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: "وهذه العزَّة مستلزمةٌ للوحدانية؛ إذ الشركة تُنقص العِزَّة، ومستلزمةٌ لصفات الكمال؛ لأن الشركة تنافي كمال العِزة، ومستلزمةٌ لنفي أضدادها..."[6].
٢. الإيمان بهذا الاسم يجعل المؤمن مُقدِماً، شجاعاً، ولا يكون ذليلاً، مضيعاً لأمر الله تعالى، وطاعته وعبادته؛ بسبب ما ينتابه من المخاوف التي تحجزه عن الامتثال، وهذا أمر لا إشكال فيه.

---

(١) انظر: بدائع الفوائد- ٦٢/١.

(٢) سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم- عبد العزيز بن ناصر الجليل- ٣٤٨/١٢.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد- باب الكبر- ص١٩٤- حديث رقم (٥٥٢)- قال الألباني: صحيح. (صحيح الجامع الصغير- ٣٨٧/١).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (وهو العزيز الحكيم)- ١١٧/٩- حديث رقم (٧٣٨٣).

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- عبد الله الغنيمان- ص١٤.

(٦) مدارج السالكين- ٢٤٢/٣.

٣. من كمال العزة تبرئته سبحانه من كل سوء وتنزيهه من كل شر ونقص، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "اسمه "العزيز" الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب فإن ذلك ينافي العزة التامة"[١].

٤. من كمال عزته ﷻ نفاذ حكمه وأمره في عباده وتصريف قلوبهم على ما يشاء، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وهذا يجعل العبد خائفاً من ربه سبحانه، لائذاً بجنابه، معتصماً به، متبرئاً من الحول والقوة ذليلاً حقيراً بين يدي ربه سبحانه، يسأل ربه حفظ قلبه وصلاح دينه ودنياه[٢].

٥. أن العبد إذا استشعر ذلك فإنه يستحضر أن الله تبارك وتعالى له الكمال المطلق، وأن العبد أولى بالنقص، والذل، والضعف، فلا يتكبر، ولا يتعالى، ولا يتعاظم، فالعزة جميعًا، والحمد جميعًا، والكمال بكل أنواعه، والغنى كله لله تعالى إذن ما الذي بقي للعبد!؟ فالعبد يصلح له الذل لربه، والتواضع، والاستكانة، وليس التعالي، فإن ذلك لا يصلح إلا لله تعالى.

٦. من الآثار التعبدية والإيمانية لاسم الله العزيز، شهود عزته في قضائه، فيعرف أنه مدَبَّر مقهور، ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته، فهو ذليل في قبضة عزيز حميد.

٧. يثمر الإيمان بهذا الاسم الكريم العزة في قلب المؤمن، وأن العبد إذا كان يريد المنعة، والعز فإنما يطلب ذلك من الله وحده؛ لأن الله له العزة جميعًا، العزة لا يملكها مخلوق، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[فاطر:١٠]؛ ولذلك ينبغي على الأمة جميعًا أن تدرك هذا المعنى الكبير، العظيم، فلا يرجون النصر من أعدائهم، ومهما ابتغى العبد العزة عند غير الله تعالى وفي غير دينه فلن يجدها، ولن يجد إلا الذل والضعف والهوان.

٨. أن الإيمان بهذا الاسم الكريم يجعل الإنسان لا يركن إلى الدنيا، يعني: بعض الناس يظن أن العز هو أن يملك المال، أن يملك المنصب، أن يكون آمراً، وناهياً، وهو أضعف من ذلك، الموت قد يأتيه في لحظة، فيجب عدم الركون الى شيء من هذه الدنيا الفانية وجعلها مصدر العزة والقوة، حتى لا يغتر العبد بماله أو جاهه أو ولده أو سلطانه ومنصبه، فالعز إنما يكون

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل– ص١٨٠.

(٢) انظر: مدارج السالكين– ابن القيم– ١/٢٢٢.

بطاعة الله ﷻ، والتقرب إليه، وحسن الصلة به، وليس بالأخذ بعرض الدنيا، واستجماع حطامها، فمن كان يظن أن العز بذلك فهو مخطئ.

رأي الباحثة وربط اسم الله "العزيز" بالواقع الذي تعيشه أمتنا:

الأمة الإسلامية في زماننا في آلامها، في جراحها، في مصائبها -كما هو الحال في أرض فلسطين وبلاد الشام- لا ينبغي أن تفكر، ولا أن يخطر ببالها أنها يمكن أن تنتصر من أعدائها، أو أن ينصفوها، أو أن يقدموا لها المدد، أو العون، أو السلاح، أبداً، ونحن لا نستبشر بهذا، ولا ننتظره منذ البداية، ونعلم أن هؤلاء لا يقدمون شيئاً إلا إذا علموا أنه يحقق مصالح يريدونها.

فهم لا يتركون أمتنا الإسلامية من الإذلال، والقهر، والإهانة، والابتزاز، لا يريدون بها خيراً، أبداً، فكيف يليق بأهل الإيمان أن يتطلعوا إلى أعدائهم أن ينصروهم؟!

ولا يعجب المسلم من ذلك؛ فالتاريخ ليس خيرًا كله، وتعلمنا أن هناك مازال من بين أمتنا –للأسف– من يعكر صفو صفحات تاريخنا العظيم، فنقول لهؤلاء ولغيرهم من ضعاف الإيمان أنه مهما ابتغت أمتنا العزة عند غير الله تعالى "العزيز الحكيم" وفي غير دينه فلن تجدها، ولن تجد إلا الذل والضعف والهوان.

المعنى اللغوي لاسم الله "الحكيم":

الحكيم: الذي أفعاله محكمة متقنة، لا تفاوت فيها ولا اضطراب، ومنه قيل: (بناء محكم)، أي قد أتقن وأحكم، فالله ﷻ حكيم كما وصف نفسه بذلك؛ لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض[1].

و(الْحَكِيمُ) الْعَالِمُ وَصَاحِبُ الْحِكْمَةِ. وَالْحَكِيمُ -أَيْضًا- الْمُتْقِنُ لِلْأُمُورِ[2].

قال السعدي رحمه الله تعالى: "الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه"[3].

---

(١) اشتقاق أسماء الله– أبو القاسم الزجاجي– ص٦٠.

(٢) مختار الصحاح– الرازي– ص٧٨.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى– ص١٨٦.

فلا يخلق شيئاً عبثا، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه، والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها، والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والاطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال(١).

الآثار التعبدية والإيمانية لاسم الله الحكيم:

١. أن الحكم لله وحده لا شريك له في حكمه، كما لا شريك له في عبادته.
٢. اللهُ سُبْحَانَهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ وَمَا يَشَاءُ هُوَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.
٣. كَلَامُ اللهِ حَكِيمٌ وَمُحْكَمٌ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهُوَ كَلَامُ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ وَرَبِّ العَالَمِينَ.
٤. وَالإِيمَانُ بِمَا سَبَقَ يَقْتَضِي تَحْكِيمَ كِتَابِ اللهِ جَلَّ شَأْنُهُ بَيْنَنَا؛ لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ كِتَابٌ مِثْلَ القُرْآنِ حَكِيمًا فِي كُلِّ شَيءٍ؛ لِأَنَّ مَا شَرَعَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الأَحْكَامِ وَالمُعَامَلَاتِ وَالقِصَاصِ وَالحُدُودِ وَتَقْسِيمِ المَوَارِيثِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ هِيَ فِي مُنْتَهَى الحِكْمَةِ؛ لِأَنَّهَا تَشْرِيعُ الحَكِيمِ العَلِيمِ سُبْحَانَهُ، الذِي لَا يَدْخُلُ حُكْمَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ، وَلِأَنَّهَا قَضَاءُ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَوَاضِعُ المَصْلَحَةِ فِي البَدْءِ وَالعَاقِبَةِ.
٥. الإِيْمَانُ يَقْتَضِي تَحْكِيمَ الرَّسُولِ بَيْنَنَا، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ الأَحْكَامِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَنْ يَتْرُكَ مَا سِوَاهَا مِنَ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ.

وأَمَّا مَنْ لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ وَتَرَكَ تَشْرِيعَ الحَكِيمِ العَلِيمِ، وَأَخَذَ بِآرَائِهِ وَمَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِ عَقْلُهُ مِنْ أَفْكَارٍ، أَوِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُ وَمَا تَشْتَهِيهُ نَفْسُهُ، فَقَدْ وَقَعَ فِي هَاوِيَةِ الكُفْرِ أَوِ الفِسْقِ التِي حَكَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ.

٦. اللهُ سُبْحَانَهُ يُؤْتِي حِكْمَتَهُ مَنْ يَشَاءُ، كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة:٢٦٩].

(١) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

٧. خَلْقُ اللهِ سُبْحَانَهُ مُحْكَمٌ لَا خَلَلَ فِيهِ وَلَا قُصُورَ، قَالَ الخَطَّابِيُّ رحمه الله: "وَمَعْنَى الإِحْكَامِ لِخَلْقِ الأَشْيَاءِ، إِنَّمَا يَنْصَرِفُ إِلَى اتْقَانِ التَّدْبِيرِ فِيهَا، وَحُسْنِ التَّقْدِيرِ لَهَا؛ إِذْ لَيْسَ كُلُّ الخَلِيقَةِ مَوْصُوفًا بِوَثَاقَةِ البِنْيَةِ، وَشَدَّةِ الأَسْرِ كَالبَقَّةِ، وَالنَّمْلَةِ، وَمَا أَشْبَهَهُمَا مِنْ ضِعَافِ الخَلْقِ، إِلَّا أَنَّ التَّدْبِيرَ فِيهِمَا، وَالدِّلَالَةَ بِهِمَ عَلَى كَوْنِ الصَّانِعِ وَإِثْبَاتِهِ لَيْسَ بِدُونِ الدِّلَالَةِ عَلَيْهِ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ وَسَائِرِ مَعَاظِمِ الخَلِيقَةِ"(١).

رأي الباحثة:

إن كل أمور المسلمين الصادقين طافت بين العزيز والحكيم صادقين في توحيد ألوهيته وأسمائه ومعرفته فكفاهم أمر دنياهم وأخراهم بحق ربوبيته عليهم.

المطلب الخامس: إسناد المشيئة الى الله ﷻ والأمور كلها بمشيئة الله وتوفيقه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: **(وَيْلَكَ أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**(٢).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ)**(٣).

الحديث واضح الدلالة على إثبات مرتبة المشيئة، وأن الله تعالى له المشيئة المطلقة، وأن للعباد مشيئة خاضعة لمشيئة الله تعالى، والنهي في الحديث إنما هو عن قرن مشيئة الله بمشيئة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث عطفها بالواو التي هي لمطلق الجمع من غير ترتيب ولا تعقيب، والرسول ﷺ مثل غيره من العباد، فالكل خاضعون لمشيئة الله، ومشيئتهم تابعة لمشيئة الله تعالى.

والله سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء ما عصى، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى، وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين

---

(١) الجامع لشعب الإيمان- ٢٢٧/١.

(٢) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى- كتاب عمل اليوم والليلة- ذكر الاختلاف على عبد الله بن يسار فيه- ٣٦٢/٩- حديث رقم (١٠٧٥٨)، حكمه عند الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه- أبواب الكفارات- باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت- ٢٥٢/٣- حديث رقم (٢١١٧)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: صحيح لغيره.

وكونه القائم بتدبير عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء، ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكوينه؛ إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره(١).

لذلك كان (سَبَّحَ لِلَّهِ ونزهه تنزيهًا لائقا بجنابه سبحانه مظاهر ما هو موجودٌ فِي السَّماواتِ وَما هو موجودٌ فِي الْأَرْضِ طوعا ورغبة بمشيئته تعالى، وَكيف لا وهُوَ الْعَزِيزُ بذاته المتعزز برداء العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الْحَكِيمُ المتقن في أفعاله المدبر لمصالح عباده كيف يشاء بالإرادة والاختيار، وبالجملة هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ بمقتضى عزته وحكمته المفسدين المسرفين الَّذِينَ كَفَرُوا بالله وبرسوله ألا وهو اجلاء بنى النضير مع انهم مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ المألوفة وأوطانهم؛ زجرًا وتذليلًا لهم واقعًا عليهم لِأَوَّلِ الْحَشْرِ، أي في أول حشرهم؛ إذ أجلى رسول الله ﷺ بني النضير أولًا من المدينة الى الشام، ثم أجلى بقيتهم عمر بن الخطاب ؓ في خلافته(٢).

فعلى مثل هذا يتعظ المتعظون؛ فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله ومشيئته، فلا يغتر العقلاء بقواهم المادية، بل عليهم أن يعتمدوا على الله أولاً وآخراً.

المطلب السادس: نصرة الله لعباده المؤمنين مشروط بنصرة العبد لربه.

وهذا يظهر جليا في وعد الله ﷻ الذي لا يتخلف في نصرته لرسوله والمؤمنين على بني النضير؛ فقد استجاب رسول الله ﷺ لأمر الله، واستجاب صحابة رسول الله ﷺ لأمر الله ولرسوله ﷺ مع الأخذ بالأسباب الحسية التي جعلها الله أسبابًا لا بدَّ منها لنصرته لهم، فنصره سبحانه هو نصر شريعته، وهو نصر دينه هذا هو نصره، نصر ما بعث به رسوله وأنزل به كتابه الكريم، فإذا قام المسلمون بنصر دينه والقيام بحقه ونصر رسوله ونصر أوليائه نصرهم الله على عدوهم ويسر أمورهم وجعل لهم العاقبة الحميدة، وهذا مصداقاً لقول الله تبارك و تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد:٧]، فالله تعالى أتى اليهود من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، كما قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَـٰرِ﴾[الحشر:٢]، أي: "فجاءهم بأس الله

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل– ابن القيم– ص٤٤.

(٢) انظر: الفواتح الإلهية– الشيخ علوان– ٢/٣٩٩.

من حيث لم يُقَدِّروا مجيئه حين أمر رسوله بقتالهم وإجلائهم من ديارهم، وأدخل الله في قلوبهم الخوف الشديد، يدمرون بيوتهم بأيديهم من داخلها لئلا ينتفع بها المسلمون، ويدمرها المسلمون من خارجها، فاتعظوا يا أصحاب الأبصار بما حلّ بهم بسبب كفرهم، فلا تكونوا مثلهم، فتنالوا جزاءهم وعقابهم الَّذي عوقبوا به"[1].

فالرعب الذي حلَّ ببني النضير "هو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ينفع معه عدد ولا عدة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخذول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبال"[2].

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم- جماعة من علماء التفسير- ص٥٤٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص٨٤٨.

المبحث الثاني

التوجيهات التربوية الجهادية المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المطلب الأول: الجوانب التربوية من عصمة النبي ﷺ من القتل.

تعريف العصمة لغةً: "العصمة في كلام العرب: المنع، وعِصْمة الله عبدَه: أن يعصمه ممَّا يوبِقُه، يقال: عصمه يعصمه عَصْمًا: منعه ووقاه، ويقال: عصمته من الطَّعام؛ أي: منعته عن تناوله، وعصمته من الكذب؛ أي: منعتُه منه"(١).

وعرَّف المتكلمون والمحدثون من أهل السنة العصمة في الشرع بتعريفات كثيرة، ومن أحسن التعريفات للعصمة وأسلمها ما ذكره القاضي عياض بأنها: "لطف من الله تعالى، يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار؛ تحقيقًا للابتلاء"(٢).

فالعصمة تعنى حفظ الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام عن مواقعة الذنوب الظاهرة والباطنة، وأن العناية الإلهية لم تنفك عنهم في كل أطوار حياتهم قبل النبوة وبعدها، على ما هو المعتمد –كما سيأتي تحقيقه–، فهي محيطة بهم تحرسهم من الوقوع في منهيٍّ عنه شرعاً أو عقلاً(٣).

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "إن عمرو بن أمية الضمري حين انصرف من بئر معونة لقي رجلين كلابيين معهما أمان من رسول الله ﷺ، فقتلهما ولم يعلم أن معهما أماناً من النبي ﷺ، ففداهما رسول الله ﷺ ومضى إلى بني النضير، ومعه أبو بكر وعمر وعلي، فتلقوه بنو النضير، فقالوا: مرحباً يا أبا القاسم، ماذا جئت له؟ قال: رجل من أصحابي قتل رجلين من كلاب معهما أمان مني، طلب منى ديتهما، فأريد أن تعينوني، قالوا: نعم والحب لك والكرامة يا أبا القاسم، اقعد حتى نجمع لك، فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الحصن، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وعلى بين يديه، وقد توامر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجراً ، وقال بعض أهل العلم: بل ألقوه، فأخذه جبرئيل عليه السلام، وأخبر النبي بما توامر الفسقة، وما هموا به، فقام رسول الله ﷺ واتبعه أبو بكر وعمر وعلي رضى الله عنهم"(٤).

---

(١) لسان العرب– ابن منظور– ١٢/٤٠٣.

(٢) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية– عماد الشربيني– ص٢٠.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

ويمكن استنباط الجوانب التربوية في عصمة رسول الله ﷺ في نقاط، منها:

١. توطيد إيمان المؤمنين، وتقوية محبتهم لرسول الله ﷺ، ومعرفتهم بمكانته العليا، وحفاوة الله تعالى به في تربيته حتى في الآيات المتشابهات التي يتعلق بها أعداء الإسلام ومقلدوهم من المسلمين، مما يظهر أن ما ورد من ظاهر تلك الآيات مما يمس عصمته غير مراد.
٢. أن الله تعالى جعل الاقتداء والمتابعة لرسوله ﷺ لازمة من محبته ﷻ الواجبة، ولازمة للهداية والفلاح في الدنيا والآخرة، فالعصمة سبيل الاقتداء بالنبي ﷺ.
٣. أن تلك الملازمة وسابقتها ما هي إلا شهادة من رب العزة لرسوله ﷺ على عصمته من الصغائر في كل أقواله وأفعاله.
٤. عصمة رسول الله ﷺ من جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، سرها، وجهرها، عمدها وسهوها، فقد كانت أقواله وأفعاله ﷺ وأحواله كلها تشريعاً تقتضي المتابعة والاقتداء، إلا ما ورد الدليل فيها على أنه من خصائصه ﷺ[1].
٥. العصمة سبيل حجية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.
٦. عصمته ﷺ في كل أمر بلغه عن ربه ﷻ[2].
٧. إثبات حجية قوله ﷺ في حق القرآن، وقوله في الأحاديث القدسية.
٨. عصمة رسول الله ﷺ من الكذب في الخبر البلاغي، وهذا له دلالته وأهميته في إثبات حجية القرآن الكريم[3].
٩. عصمة رسول الله ﷺ تدفع الشبهات عنه في عقله من الكفر والشرك، والضلال وغير ذلك، وبدنه من القتل.
١٠. عصمته ﷺ في تبليغ الوحي، وبيان أن عصمته ﷺ ضرورة دينية، وأنها سبيل حجية وحي الله تعالى من القرآن والسنة.

المطلب الثاني: هلاك الكافرين الظالمين سنة من سنن الله في أرضه.

لله في الأفراد سنن، وفي الأمم سنن، وفي المسلمين سنن، وفي الكافرين سنن، والسنن تعمل مجتمعة ولا تتخلف أو تتبدل، يخضع لها البشر في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في

---

(١) انظر: رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية- عماد الشربيني- ص٣٧.
(٢) انظر: المصدر السابق نفسه- ٣٠.
(٣) انظر: المصدر السابق نفسه- ص٣٣.

الحياة، ويترتب على ذلك نتائج كالنصر أو الهزيمة، والسعادة أو الشقاوة، والعز أو الذل، والرقي أو التخلف، والقوة أو الضعف، وفق مقادير ثابتة لا تقبل التخلف ولا تتعرض للتبديل، قال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣].

فسنَّة الله تعالى قانون ثابت لا يحابي أحداً، ونلاحظ هنا أن الله سبحانه ذكر ما يتعلق باليهود، وكيف أنه قصمهم بقوته وحوله، وليس بحول ولا قوة المسلمين؛ فسنة الله باقية في عباده المؤمنين، وقصم من يحيد عن أمره وشرعه، وتولى الأمر بنفسه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾[الحشر:٢][(١)].

فهزيمة بني النضير فيها دلالة على أن الله ﷻ هو المتكفل بنصرة نبيه ﷺ وأوليائه المؤمنين، و هو الذي كسر شوكة اليهود بعد أن تحصنوا في قلاعهم، و توهموا أنه لن يهزمهم أحد، فجاءت جنود لله سبحانه لتزعزع نفوسهم، وتنزل الهزيمة النفسية بهم، كما بيَّن ذلك ﷻ في قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢]، وهذا ما نجده في مواضع كثيرة من نصرة الله تعالى لأوليائه بعد تكالب الأعداء عليهم، والتذكير بالنصرة ليس بمتخلف لكل من دعا الى سبيل الله، فتلك هي سنة من سنن الله في أرضه في هلاك الكافرين الظالمين مع التنبيه على المؤمنين الأخذ بالأسباب، وسنة الله في نصر المؤمنين سنّة ماضية لا تتخلّف أبداً، وإنها تتحقق بتحقق عواملها وانتفاء عوائقها، وإن على المسلمين أن يأخذوا بهذه العوامل ويتجنبوا هذه العوائق كما أمر الله تعالى؛ ولكن مع هذا عليهم أن تكون ثقتهم بالله وتوكلهم عليه لا على أسباب النصر التي باشروها وأعدوها كما أمر الله، فاعتمادهم يكون على الله لا على ما أعدّوه من عوامل

(١) انظر: التفسير الموضوعي للقواعد والآثار الدعوية على ضوء دراسة سورة الحشر- د. راشد سعد العليمي- مجلة الزهراء- ص٣٦٤، ٣٦٥.

النصر وتجنب عوائقه، فتبقى قلوبهم معلقة بالله متطلعة إلى تأييده ومعونته معتمدة عليه وحده، وليس على ما باشروه من أسباب النصر[١].

وقد فقه المسلمون أوامر الله تعالى بالأخذ بأسباب النصر وعوامل الغلبة على أعدائهم، فكان القادة المسلمون يأمرون جنودهم بالأخذ بها.

من ذلك ما ذكره ابن كثير في أخبار معركة اليرموك مع الروم في فتوح الشام أنه "لما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة –قائد جيش المسلمين– جنده، فكان مما قاله: يا عباد الله، انصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار...، ثم قال لهم: وشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق، والزموا الصمت، إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله تعالى"[٢].

فقول أبي عبيدة ﷺ: "واستتروا بالدرق والزموا الصمت" أمر بالأخذ بالحذر المشروع، فيقاس عليه كل حذر مشروع تتطلبه ظروف المعركة، كما أن في موعظة أبي عبيدة تذكيرًا لجنوده بعوامل النصر، ولزوم أخذهم بها، كالصبر، وذكر الله، والعزم على نصرة الله[٣].

أهمية معرفة "السنن الإلهية":

١. الاعتبار من السنن الإلهية، والاعتبار: أن يقرن الشيء بمثله، فكيف ستعتبر بوقوع شيء إذا لم يكن قد وقع على نظير أمر سابق، فتقيس هذا على ما حصل من قبل، فيحصل الاعتبار بشيء آخر لم تأت نتيجته بعد؟ ولكن القياس على ما سبق على وفق السنة والقانون، يخبرك بالنتيجة قبل وقوعها، قال ﷻ: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر:٢].

٢. الوقوف مع السنن الربانية المستوحاة من سيرة رسول الله ﷺ لأقوامهم لَمِنَ الواجبات التي ينبغي للدعاة الى الله ﷻ أن يُلِمّوا بها و يعرفوها؛ وذلك ليستفيدوا منها في تفسير الأحداث والمواقف والنوازل ولا يستغربوها ويفاجَئوا بها؛ لكونها تحدث بأمر الله ﷻ وحكمته البالغة التي جعلت للأحداث والمتغيرات سننًا لا تتبدَّل ولا تتحول.

٣. التحذير والترغيب؛ فمن فعل مثل فعلهم جوزي مثل جزائهم.

---

(١) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد– د. عبد الكريم زيدان– ص٦٠.

(٢) البداية والنهاية– ٩/٥٥٤، ٥٥٥.

(٣) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد– د. عبد الكريم زيدان– ص٦١.

٤. الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في قاعدة النصر والتمكين، أو سنة النصر والتمكين، والسير على طريقهم؛ ليحصل له النصر والتمكين؛ لأن هنالك سنة إلهية في هذا الأمر[١].

٥. أن سنة الله سبحانه لا تتغير ولا تتبدل في الظالمين الكافرين المتمردين على شرع الله، هؤلاء الذين يفسدون في الأرض، لله فيهم سنة، فإذا سلكوا سبيل عاد وثمود، وقوم شعيب وقوم لوط، وبني النضير ونحو ذلك، فإن السنة ستنطبق عليهم.

٦. في معرفة هذه السنن معرفة بأسباب النصر والتمكين، وأسباب الهزيمة والخسران، وفي الغفلة عنها تفريط في الأخذ بأسباب النجاة، وإعراض عن هدي النبي ﷺ الذي سار في ضوء السنن النبوية؛ لأنه أعرف الناس بالله عز وجل وأسمائه وصفاته[٢].

رأي الباحثة:

كلمة لأصحاب البصر والبصيرة للتعلم من هذه الغزوة، ففيها دروس كثيرة؛ لنؤمن أنّ النصر لا محالة للمسلمين، وأنّ الغلبة ستكون للمؤمنين ولكن من هم أولئك المؤمنون؟ طبعاً هم الذين يكونون مع الله في السراء والضراء والذين يوفون بعهد الله، هم رجال ولكن ليسوا ككل الرجال ونساؤهم ليسوا ككل النساء نساء طاهرات نقيات يفقهون فقه الواقع غير متنطعات وليسوا كاسيات عاريات...، هم الّذين وصفهم الله تعالى بمحكم تنزيله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٧١].

ندعو الله أن يجعلنا من أولئك الذين سوف يسطّرون ملاحم الجهاد والبطولة لنكون خير خلف لخير سلف.

المطلب الثالث: تآمر يهود بني النضير على الرسول ﷺ والمسلمين صفة متأصلة فيهم.

---

(١) انظر: الموقع الرسمي للشيخ محمد صالح المنجد- مقال بعنوان "ماذا تستفيد من السنن الإلهية"، تاريخ النشر: ٨/ ١٠/ ١٤٣٢هـ- عبد العزيز بن ناصر الجليل- ١٠/٢٤٤.

(٢) انظر: سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم أفلا تتفكرون- عبد العزيز بن ناصر الجليل- ١٠/٢٤٤.

اتخذ النبي ﷺ منذ البداية مع اليهود أسلوب الداعية الحريص على أن تصل دعوته الى كافة الناس، ولمَّا هاجر إلى المدينة عاهدهم العهد المشهور الذي تداولته كتب السير والتاريخ.

لم يلتزم اليهود بعهدهم مع النبي ﷺ وأخذوا يكيدون للإسلام، و لحامل لوائه ﷺ، ويدبرون المؤامرات لقتله، ويدسُّون أعمالهم الخبيثة؛ كي يقضوا على الإسلام ودولته، فكان منهم المكر والخداع والخيانة ونقض العهود والمواثيق وغيرها من الطباع والصفات اللئيمة المذمومة الموجودة فيهم وفي يهود العصر الحاضر، وما يشاهده العالم بأسره عبر القنوات والوسائل الإعلامية المختلفة من ممارسات في فلسطين وغيرها إنما هو امتداد لطباع آبائهم وأجدادهم المتأصلة في نفوسهم وسُوَيْدَاءِ قلوبهم، والتي لن يَتَخَلَّوْا عنها كما هو مُقَرَّرٌ في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة[1]، وهذا دليله من السورة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٤]، أي: "هذا الذي فعل الله بهؤلاء اليهود ما فعل بهم من إخراجهم من ديارهم، وقذف الرعب في قلوبهم من المؤمنين، وجعل لهم في الآخرة عذاب النار بما فعلوا هم في الدنيا من مخالفتهم الله ورسوله في أمره ونهيه، وعصيانهم ربهم فيما أمرهم به من اتباع محمد ﷺ"[2].

المطلب الرابع: أوصاف اليهود من خلال السورة.

لا شكَّ أنّ سُنّةَ الله تعالى قائمة في عقاب المُستكبرين ومنهم اليهود، ممّن دخلوا عميقاً في مُستنقع الحقد، أصحاب النّفوس الخسيسة، ناقضي العهود، المجبولين على الخديعة والمكر، فلهم الخُسران في الدنيا والآخرة، فصفاتهم النتنة ظاهرة بجلاء، لا تُخطئها عقول ولا أفئدة، ومنها ما ذُكر في سورة الحشر، وهي:

١. الجُبن والرعب، فهم دائمو التملّص من أية مواجهة مباشرة، بل يُؤمّنون على أنفسهم في قُراهم المُحصّنة، ويختبئون خلفها، فإذا ما أجبروا على المواجهة فإنّهم لامحالةَ سيجبنون،

---

(١) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد- د. عبد الكريم زيدان- ص٦٠.

(٢) جامع البيان- الطبري- ٢٣/٢٦٨.

ويفرّون صاغرين، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾[الحشر:١٤]، أي: لا يبرزون إليكم ولا يقاتلونكم إلا قتالًا من وراء حيطان[١].

٢. العداوة الشديدة فيما بينهم؛ حيثُ إنّهم عندما يُوصفون بالبأس الشديد، فما هذا الوصف إلّا لحالهم إذا ما اقتتلوا فيما بينهم، سواءً أكانوا يهوداً ضدّ يهود، أم ضدّ منافقين، وهم عندما يُواجهون المؤمنين الحقّ يكونون جُبناء ضُعفاء.

٣. الاتحاد بين اليهود والمنافقين إنّما هو اتحاد ظاهري، فليس في قلوبهم شيء منه، فهم مُتفرّقون ليس بينهم أُلفة، ولا تعاضد صادق، ويعود سبب ذلك، إلى أنّ قلوبهم واهنة، ليس فيها ذرّة إيمان حقّ[٢].

٤. من صفاتهم -أيضاً- أنهم شاقُّوا الله ورسوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)، ومعنى مشاقتهم لله ورسوله أنهم عصوا ربهم واستباحوا حرماته وعطلوا أحكامه وشرائعه وأضاعوا حدوده وحقوقه، واليهود سادة هذه الخصال وأسباب انتشارها في العالمين.

٥. من صفاتهم أنهم فاسقون، كما قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[الحشر:٥]، والفاسقون هم العاصون الناقضون للعهود[٣].

٦. من صفاتهم -أيضًا- أنهم يخشون الناس أكثر مما يخشون الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[الحشر:١٣]، أي: "يخافونكم في السر أكثر من تخوفهم من اللَّه، أو من إظهارهم الخوف من اللَّه لكم؛ إذ لم يكن لهم خوف من اللَّه، (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) عظمة اللَّه؛ ليعلموا أنه الحقيق بأن يخاف"[٤].

---

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية- مكي بن أبي طالب- ٧٣٩٩/١١.

(٢) انظر: السنن الإلهية في السيرة النبوية- أبو اليسر رشيد كهوس- ص٥٤٢، ٥٤٣.

(٣) انظر: بحر العلوم- السمرقندي- ٤٢٦/٣.

(٤) انظر: غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني- شهاب الدين الكوراني- ص١٣٣.

٧. من صفاتهم أن مظهرهم يدل على الوحدة والجماعة؛ ولكن سرائرهم متفرقة ممزقة، يكره بعضهم بعضًا، لأنهم لا عقيدة جامعة ولا وحدة فكرية أو عاطفية، تربط بينهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر: ١٤]، وهذا الإحصاء يدل على أن اليهود قد استجمعوا ما يؤهلهم للضياع، وما يرشحهم للغضب الإلهي.

صفات أخرى لليهود في القرآن الكريم:

بيّن الله تعالى في كتابه العزيز أنّ اليهود أكثرُ الناس عداوةً وإشعالاً للفتن ضدّ المسلمين، فلم يسلم منهم أحد، حتى الواحد القهار، فقالوا نحن أغنياء والله فقير، فلهم من الصفات السيئة الذميمة، والمُتأصلة فيهم الكثير، ومنها(١):[٢]

- الكذبُ على الله، والصّد عن سبيله.
- الاعتداءُ، وعدم نهي أنفسهم عن المُنكر.
- نشرُ الفساد، والفاحشة في الأرض.
- أكثرُ النّاس حرصاً على الحياة.
- الغدرُ، والخيانة، ونقض العهود.
- أكلُ مال النّاس بالباطل.
- قتلُ الأنبياء.
- كتمانُ العلم.
- الذلّ والبخل.

(١) صفات اليهود– أمين الشقاوي– موقع الألوكة– تاريخ النشر: ٢٠٢١/٢/٦م.

[٢] مقال للكاتب أمين بن عبد الله الشقاوي (٢٦-٤-٢٠١٢م) (١٤٣٣/٦/٤ هجري)، "صفات اليهود"، www.alukah.net، اطّلع عليه بتاريخ ٦-٢-٢٠٢١م. بتصرّف

المطلب الخامس: إجلاء يهود بني النضير من المدينة مع عظم حصونهم بسبب إلقاء الله الرعب في قلوبهم.

أصاب يهود المدينة، الخوف والرعب، طيلة الفترة التي تفصل بين مقتل كعب بن الأشرف، وبين معركة أحد التي جرت في شوال للعام الثالث من الهجرة؛ ولكن الهزيمة التي حلت بالمسلمين في تلك المعركة، أحيت في نفوس المشركين والمنافقين الأمل من جديد، بتحقيق مطامعهم وأغراضهم، وأزالت من قلوب اليهود الهلع على المصير، ومما ساهم في تبديد هذا الهلع عندهم مقتل أصحاب الرجيع، وبئر معونة وبذلك لم يدم خوف اليهود طويلاً وعادوا إلى أساليب الدس والمكر والخداع، وشرعوا في حشد حصونهم بالسلاح والعتاد للانقضاض على المسلمين ودولتهم ، ثم صمموا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم والغدر به.

فكانت مؤامرة يهود بني النضير، التي أفشلها الله ﷻ والتي لم تستهدف شخص النبي ﷺ فحسب؛ بل كانت تستهدف كذلك دولة المدينة والدعوة الإسلامية برمتها؛ لذا صمم النبي ﷺ على محاربة بني النضير، الذين نقضوا العهد والمواثيق معه، وأمر أصحابه بالتهيؤ لقتالهم والسير إليهم.

فأرسل لهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا من المدينة، وأعطاهم مهلة عشرة أيام، وانقضت الأيام العشرة، ولم يخرجوا من ديارهم، فتحركت جيوش المسلمين صوبهم، وضربت عليهم الحصار لمدة خمس عشرة ليلة.

والمتأمل في آيات سورة الحشر يتبين له أن الله هو الذي أخرج يهود بني النضير من ديارهم إلى الشام، وهو أول الحشر، في حين أن كل الأسباب المادية معهم، حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم؛ لمتانتها وقوتها[(١)].

والقدرة الإلهية فاجأتهم من حيث لم يحتسبوا، **من خلال عوامل، منها:**

أولًا: الرعب جند من جنوده

وقد أرسل الله ﷻ جندًا من جنوده على قلوبهم التي لم يتوقعوا أنهم يهزمون بها، فألقى الله فيها الرعب، فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي محمد الصلابي- ص٢٠٦، ٢٠٧.

وهذا الأسلوب القرآني الفريد يربي الأمة بالأحداث والوقائع، وهو يختلف تمامًا عن طريقة أهل السير، ويمتاز بأنه يكشف الحقائق ويوضح الخفايا، ويربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو رب العالمين، ومن ذلك أنها بينت أن الذي أخرج بني النضير هو الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[الحشر:٢]، ثم أوضح سبحانه أنه لو لم يعاقبهم بالجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل، أما في الآخرة فلهم عذاب النار[١].

الخلاصة:

يهود بني النضير حسبوا لكل شيء، وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضية؛ لكن جاءتهم الهزيمة من مكان اطمأنوا إليه، وهو أنفسهم؛ فإذا الرعب يأتي من داخلهم، فإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة؛ لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات، فهو القادر على كل شيء، فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم، فإذا اتبعوا أمر الله أصلح الله لهم كل شيء، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا.

فهذه الغزوة درسٌ لنا جميعاً ولأمتنا الإسلامية في جميع العصور والأزمان تذكرنا أن طريق النصر قريب وهو الرجوع إلى الله والاعتماد عليه والتسليم لشريعته، وتقديره حق قدره، فإذا عرفنا ذلك وحققنا الإيمان في نفوسنا نصرنا الله ولو كان عدونا قويًا وكثيرًا، فإن الله لا يعجزه شيء، وأقرب شاهد واقعي لذلك هو إجلاء بني النضير، وهي عبرة فليُعتبر بها، والسعيد من اعتبر بغيره[٢].

المطلب السادس: جواز هدم ديار الكفار الأعداء، ومصادر قوتهم وأخذ أموالهم أثناء الحرب.

في هذه الغزوة استخدم رسول الله ﷺ –بتوجيه من الله "العزيز الحكيم"– الحرب النفسية؛ لتحطيم معنويات العدو، ولجأ إلى أسلوبٍ جديدٍ، تمثل في الآتي:

أولاً: قطع نخيل بني النضير، وهو أعز ما يملكون، وكان لذلك أعظم الأثر في هزيمتهم النفسية، وإضعاف روح المقاومة عندهم، واستسلامهم للرسول ﷺ، ونزولهم عند أمره.

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث– د. علي محمد الصلابي– ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه– ص٢١٠.

وهذا من الحرب النفسية، وهي قليلة التكاليف عظيمة الأثر، فحريٌ بالمسلمين أن يعوها ويعرفوا مصالحها ووسائلها المتنوعة والمتبدلة بتبدل الأزمان.

على أن هذا القطع والتخريب ليس على إطلاقه، بل تتحكم به المصلحة وفقه الموازنات؛ إذ إن هذه الممتلكات ستؤول إلى المسلمين فلا مسوغ لإتلافها عليهم ما لم يجلب الإتلاف مصلحةً أكبر من الإتلاف، كإخافة العدو وإخزائه[1].

ثانياً: الأصل في الشريعة الإسلامية هو عدم قطع الشجر وعدم تخريب البناء؛ لأن الهدف من الحرب ليس إيذاء الرعية؛ ولكن دفع أذى الراعي الظالم وبذلك وردت الآثار، وللشريعة في ذلك أحكام:

١. إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجبه ضرورةٌ حربيةٌ لا مناص منها، كأن يستتر العدو به ويتخذه وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين، فإنه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء، على أنه ضرورةٌ من ضرورات القتال، كما فعل النبي ﷺ هنا.

٢. كلام الفقهاء الذين أجازوا الهدم والقلع يجب أن يخرج على أساس هذه الضرورات، لا على أساس إيذاء العدو والإفساد المجرد، فالعدو ليس الشعب، إنما العدو هم الذين يحملون السلاح؛ ليقاتلوا.

والذي ننتهي إليه بالنسبة لما يكون في الحرب من هدم وتحريق وتخريب أنه يستفاد من مصادر الشريعة وأعمال النبي ﷺ في حروبه؛ فالإفساد والتخريب ليس مقصوداً لذاته لأنه مفسدةٌ، والشرع لا يأمر بالفساد، وإنما أجيز باعتباره وسيلةً لمصالح كبرى تعود على المسلمين تتمثل في النكاية بعدوهم وانكساره واستسلامه لهم، وهذا كما قلنا خاضعٌ لموازناتٍ دقيقةٍ تحدد مقدار الإفساد ومقدار المصالح المرجوة[2].

المطلب السابع: حشر اليهود بالشام مؤذن ببداية تجمع اليهود فيها ليتم وعد الله بزوالهم.

وَالْحَشْرُ: جَمْعُ نَاسٍ فِي مَكَانٍ، وحشر اليهود المراد به هنا: حشر يهود جزيرة العرب إلى أرض غيرها، أي جمعهم للخروج، وهو بهذا المعنى يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من متفرق ديار البلاد.

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي محمد الصلابي- ص٢١٠.

(٢) انظر: خاتم النبيين ﷺ- محمد أبو زهرة- ٢/٢٦٥-٢٦٩.

وليس المراد به: حشر يوم القيامة؛ إذ لا مناسبة له هنا، ولا يلائم ذكر لفظ أول لأن أول كل شيء إنما يكون متحد النوع مع ما أضيف هو إليه.

وسبق أن ابن عباس رضي الله عنهما احترز من هذا حين سمى هذه السورة سورة بني النضير[١]، وفي جعل هذا الإخراج وقتا لأول الحشر إيذان بأن حشرهم يتعاقب حتى يكمل إخراج جميع اليهود، وذلك ما أوصى به النبي ﷺ قبيل وفاته بمرسوم إلهي؛ إذ بيَّن أنه لا يبقى دينان في جزيرة العرب، وقد أنفذه عمر بن الخطاب ﷺ حين أجلى اليهود من جميع بلاد العرب، فَكَانَ أَوَّلَ جَلَاءٍ أَصَابَهُمْ جَلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ[٢].

قَالَ الْكِيَا الطَّبَرِيُّ: "وَمُصَالَحَةُ أَهْلِ الْحَرْبِ عَلَى الْجَلَاءِ مِنْ دِيَارِهِمْ مِنْ غير شيء لَا يَجُوزُ الْآنَ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ نُسِخَ، وَالْآنَ فَلَا بُدَّ مِنْ قِتَالِهِمْ أَوْ سَبْيِهِمْ أَوْ ضَرْبِ الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ"[٣].

والواقع أن المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب واحد لا شريك له، وهو: أنهم اغتصبوا أرضنا أرض الإسلام، أرض فلسطين، وشردوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم.

وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًا على الاعتراف بأن لهم حقًا فيما اغتصبوه من الأرض؛ إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية[٤].

وقد حسم العلامة القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين القضية سابقًا في مقال نشر له بعنوان (زوال إسرائيل أمر يقيني وتفصيلات الزوال خرافات)[٥].

التنبؤات بزوال إسرائيل من الخرافات؛ لكن زوال دولة اليهود أمر نوقن به، لأمرين:

الأمر الأول: أنها دولة قائمة على الظلم واغتصاب حقوق الآخرين، وتشريد أهل البلاد من أرضهم، والظلم لا يدوم، ولا بد أن يزول، فالله ﷻ يقول: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ٦٥/٢٨.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه- الصفحة نفسها.

(٣) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٣/١٨.

(٤) انظر: موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي- مقال بعنوان: السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود- تاريخ النشر: الأحد ٢٩/١١/٢٠٢٠م.

(٥) انظر: موقع التجديد- تاريخ النشر: ١١/١٠/٢٠٠٢م.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٥٢]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[الكهف:٥٩]، فالظلم لا بد أن ينتهي إلى الزوال ولو بعد حين.

الأمر الثاني: هو أن عندنا من الأدلة القرآنية القوية ما يطمئننا إلى أنه لا يمكن أن تستمر دولة اليهود؛ فالله تعالى يقول: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤]، ويقول عز من قائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[الأعراف:١٦٧]، وقال ﷻ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٨]، و في سنة رسول الله ﷺ ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)**[(١)].

وهذ حديث صحيح، فنحن سوف نقاتل اليهود، وسيكون كل شيء معنا ضد اليهود حتى الحجر والشجر "إلا شجر الغرقد"، كما جاء في الحديث الشريف "فإنه من شجر اليهود".

وقال الدكتور يوسف القرضاوي بلهجة الواثق من كلامه: "سيزول (الإسرائيليون) حتمًا، ويخرجون من فلسطين، ونحن لهذا اليوم بالمرصاد...، وعلينا أن نعدّ ونهيئ أنفسنا ونعدّ شبابنا لهذا اليوم"[(٢)]، واستدلّ على صحة كلامه بأن سنن الله في الناس تقضي بأن الظلم لا يستمر، وبناء عليه فلا بدّ أن يزول ظلم (إسرائيل) وعدوانها[(٣)].

المطلب الثامن: الحشر الأول لليهود في الدنيا بين يدي رسوله ﷺ هل هو عقاب.

الدروس المستفادة من الحشر الأول ليهود بني النضير يشير الى بداية وقوع العقاب عليهم، وتهيئة الأسباب لذلك، وأن هلاكهم متحقق في الوقوف في وجه الحق وتعذيب أهل الحق

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه– كتاب الفتن وأشراط الساعة– باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...– ٢٢٣٩/٤– حديث رقم (٢٩٢٢).

(٢) موقع القدس سماحة الشيخ يوسف القرضاوي– مقال بعنوان "إسرائيل ستزول وستعود القدس والأقصى للعرب والمسلمين"– السبت ٢٠١٢/٤/٢٨م– ١١:٣٤.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه– التاريخ نفسه.

أو مطاردتهم أو سجنهم، فهؤلاء اليهود لما عزموا على قتل الرسول ﷺ بإلقاء الرحى عليه من سطح البيت مكر الله بهم، فأذلهم وأخزاهم، وخرب بيوتهم ورحلهم من ديارهم بدون أن يتكلف المسلمون أية تكاليف في ذلك، وإنما دخلوا أرضهم بدون خيل ولا ركاب، أي بدون حرب ولا مشقة، و في ذلك إشارة للمسلمين بتجنب الغدر والخيانة ونقض العهد، حتى لا يقع لهم ما وقع لليهود، فاعتبروا يا أولي الأبصار!

المطلب التاسع: اليهود العدو الأخطر على الإطلاق، وليس الأقوى.

تعيش أمتنا العربية والإسلامية حالة من التيه، واختلاق أعداء وهميين والغفلة عن العدو الطاعن في الخاصرة، الأمة الإسلامية للأسف في حالة من الاضمحلال جعلتها لا تستطيع رؤية العدو الأول والأخطر والأوضح، الذي تقطر يداه من دماء هذه الأمة المسكينة؛ لذا وجب أن نعلي صوتنا باسم هذا العدو لتسمع الآذان الصماء وترى القلوب العمياء وتخرص ألسنة السفهاء عن التزلف إلى الأعداء.

إن عدونا الأول هو الصهيونية لا أقول الدولة العبرية بل أتحدث عن حركة وفكر، هذا الفكر المقيت الذي ينبني على استحقار كل مخلوق غير منتمٍ إلى الديانة اليهودية؛ بل العجيب استحقار حتى اليهودي غير المؤمن بالفكرة الصهيونية، هذا الفكر الذي يعمل لإشعال الحروب ويسعى في الأرض الفساد، وليس لديه مانع أن يسفك دم اليهود أنفسهم في سبيل نجاحه، وتحقيق مآربه الشيطانية، وأدل شيء على ذلك تفجير فندق الملك داود، الذي قضى فيه سبعة عشر يهودياً وكان من أعطى أوامر العملية هو مناحيم بيجين الذي كان قائداً لجماعة الأرجون الصهيونية آنذاك وكان ذلك في العام ١٩٤٦م[١].

اليهود العدو الأخطر على الإطلاق، وذلك من خلال الآتي:

(أ) لليهود منذ قرون خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع، لمصلحة اليهود وحدهم، وكان ينقحها حكماؤهم طورًا فطورًا حسب الأحوال، مع وحدة الغاية.

(ب) تتضح هذه الخطة السرية بما أثر عن اليهود من الحقد على الأديان، كما تتضح بالحرص على السيطرة العالمية.

---

(١) انظر: مدونة على موقع الجزيرة مباشر على العنكبونية- الكاتب أحمد جلال- هم العدو فاحذرهم- تاريخ النشر: ٢٠١٨/٣/٢٠م.

(ج) يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الاقطار، والاستعاضة عنها بحكومة ملكية استبدادية يهودية، ويهيئون كل الوسائل لإفساد الحكام وزعماء الشعوب، ومحاربة كل ذكاء يظهر بين الأميين (غير اليهود) مع الاستعانة على تحقيق ذلك كله بالنساء والمال والمناصب والمكايد، وما إلى ذلك من وسائل الفتنة، ويكون مقر الحكومة الاسرائيلية في القدس التي يسمونها أورشيلم أولاً.

(د) إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول، عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والمحافل الماسونية، والاندية على اختلاف نشاطها، والجمعيات العلنية من كل لون، ونقل الدول من التسامح إلى التطرف السياسي والديني، فالاشتراكية، فالإباحية، فالفوضوية، فاستحالة تطبيق مبادئ المساواة.

هذا كله مع التمسك بإبقاء الأمة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثر بالتعاليم التي تضرها، ولكنها تضر غيرها.

(ه) يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعاً فاسدة، والواجب لزيادة افسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام دولتهم.

(و) يجب أن يساس الناس كما تساس قطعان البهائم الحقيرة، وكل الأميين حتى الزعماء الممتازين منهم، إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم، واستعبادهم بالتهديد، أو المال، أو النساء، أو المناصب، أو نحوها.

(ز) يجب أن توضع تحت أيدي اليهود؛ لأنهم المحتكرون للذهب، كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح، وشركات السينما، ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها.

وإن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشبان، والقضاء على الضمائر، والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وإغراء الناس بالشهوات، والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة، وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، وإشاعة الرذيلة والانحلال؛ حتى تستنزف قوى الاميين استنزافًا، فلا تجد مفرًا من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

(ح) وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى، مع أحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام؛ كي لا

يستريح العالم أبدًا، فيضطر إلى الاستعانة باليهود لكشف كروبه، ويرضى صاغرًا مغتبطًا بالسلطة اليهودية العالمية.

(ط) الاستعانة بأمريكا والصين واليابان على تأديب أوروبا وإخضاعها[1].

وهم يقيناً ليسوا الأقوى بنص القرآن الكريم:

إنَّ ما أصاب يهود بني النضير من الطرد والجلاء عن المدينة والعذاب مشابه لما أصاب بني قينقاع وكفار قريش يوم بدر، من العقاب، فقد كان بين النضير وقريظة سنتان، وكانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة أشهر، ولهؤلاء الكفار في الآخرة عذاب مؤلم.

قال الله ﷻ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:١٤]، فقوله تعالى: {لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً} يعني اليهود {إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ} أي بالحيطان والدور؛ يظنون أنها تمنعهم منكم. {أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} أي من خلف حيطان يستترون بها؛ لجبنهم ورهبتهم[2].

وقوله تعالى: {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} يعني عداوة بعضهم لبعض، و {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} أي بالكلام والوعيد لنفعلن كذا.

المطلب العاشر: رحمة الإسلام في الجلاء.

إنه لشيء رائع حقًّا أن يرحم الله ﷻ أولئك الذين رفضوا عقيدته واعتنقوا، غيرها، وأولئك الذين لم يعترفوا بدينه أصلاً، بل إنه لشيء شديد الإبهار أن نرى رسول الله ﷺ يرحم ويَبَرُّ ويعطف ويحنو على أولئك الذين عذبوه وعذبوا أصحابه، وعلى أولئك الذين مارسوا معه ومع المسلمين أشد أنواع القسوة والعنف!!

وبرغم كثرة الروايات التي تحدثت عن غزوة بني النضير إلا أن المفسرين لم يتناولوها من هذا الجانب، وقد حاولت الباحثة استنباط المطلب من خلال أحداث السيرة لتلك الغزوة.

ومظاهر رحمة الإسلام في الجلاء تتمثل في عدة نقاط، منها[3]:

---

(١) انظر: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون- ترجمة محمد خليفة التونسي- ص٣١-٣٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٣٥/١، ٣٦.

(٣) أخذت معلومات السيرة من كتابي: صحيح السيرة النبوية- إبراهيم العلي- ص٢٤٣، السيرة النبوية كما

أولاً: صبر رسول الله ﷺ عليهم، حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد وقعة الرَّجِيع وبئر مَعُونة، وقاموا بمؤامرة تهدف القضاء على النبي ﷺ، فسولت لهم أنفسهم أن يمارسوا ما اعتادوا عليه مع الأنبياء، وهو قتلهم عليهم السلام، وهي ممارسات مرسخة تاريخيًّا حتى يومنا هذا.

ثانياً: إنذارهم، ولو شاء رسول الله ﷺ لباغتهم وقاتلهم، وقد خانوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين في مثل تلك الظروف العصيبة؟

ثالثاً: حصار بني النضير، وفي هذا رحمة رسول الله ﷺ بأصحابه وبالمؤمنين، ولا شك أن الموقف كان حرجاً بالنسبة لهم، فإن اشتباكهم بخصومهم في هذه الفترة المحرجة من تاريخهم لم يكن مأمون العواقب.

رابعاً: السماح ليهود بني النضير بالخروج، ولو شاء النبي ﷺ والمؤمنون لانتقموا منهم؛ ولكنهم سمحوا لهم بالخروج، بالرغم من أن الخائن عقابه القتل والخزي.

خامسًا: رسول الله ﷺ لم يقتل أي يهودي من بني النضير، ولم يَسْبِ نساءهم ولا أطفالهم، وإنما تم إجلاؤهم؛ لأنهم تآمروا على اغتياله ﷺ، ثم إن بعض أكابر المجرمين من بني النضير كرئيسهم حيي بن أخطب وأمثاله، لم يرتدعوا بالإجلاء عن المدينة، بل سعوا في تحزيب الأحزاب وتأليب القبائل، ودخلوا مع بني قريظة وحملوهم على الغدر.

سادساً: السماح لهم أَّن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فوافق رسول الله ﷺ، فخربوا بيوتهم، وحملوا على الإبل ما لا تطيق، وخرجوا.

هذه هي الرحمة التي ليس لها مثيل في حياة الناس؟! إنَّ هذا ببساطة هو الإسلام، دين من السماء يحكم حياة الناس في الأرض، وإنَّ هذا هو رسولنا، أعظم الخلق خُلُقًا وأدبًا، إننا لا نملك بعد رؤية أمثال هذه المواقف إلا أن نهتف بقول ربّنا ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

جاءت في الأحاديث الصحيحة- محمد الصوياني- ١٦٢/٢.

المطلب الحادي عشر: قذف الرعب في قلوب الكافرين وإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين لكونهما من جنود الله.

الله هو الذي قذف الرعب في قلوب بني النضير، قذف في قلوبهم قذيفة لا تراها العين المجردة، ولا ترصدها الأجهزة ولا الآلات، ولا الحسابات، ولا يمكن أن تردها الحصون ولا المتاريس ولا الأقفال، قذيفة لا تخيب، ستصل إلى عمق الإنسان لأن الذي قذف بها هو الله، الله قذف في قلوبهم قذيفة الرعب.

الرُّعب جنديٌّ من جنود الله:

الرعب جند من جنود الله تعالى، أرسله الله نقمة على اليهود وعلى الكافرين، ورحمة على المؤمنين، الرعب هو السلاح الأقوى في هذه الواقعة سلاح ادَّخره الله لعباده المؤمنين؛ لينصرهم به، سلاح يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.

كلمة "الرعب" ليست بمعنى الخوف، الخوف إذا دبَّ في القلب يصيب الإنسان القلق والضجر والتوتر، ثم يتعاظم الخوف والقلق ويزداد حتى يصل لما يسمى في علم النفس بـ "الرّهاب"؛ فلا يستطيع أن يدرس أو يذهب لعمله أو يقابل أحدًا...!

كل هذا يحدث نتيجة زيادة الخوف، فما بالك بالرعب...!

الرعب إذا دخل قلب الإنسان فإنه يخلع القلب خلعًا، فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه، بل في بعض الأحيان المرعوب قد يقتل نفسه...!

قال الله ﷻ: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾[الحشر:٢]، ولم يقل: "رمى".

والقذف: هو الرمي بشدة وقوة، وكأنها قنابل من العيار الثقيل، أصبحت تتابع على قلوبهم، ولا يعلمون من أين تأتي ؟![١].

(١) انظر: وقفات تربوية في سورة الحشر- نجلاء السبيل- موقع الباحث العلمي للكتب المصورة على الشبكة العنكبوتية- ١١-١٢.

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)**[1]، فَكَيْفَ لَا يُنْصَرُ بِهِ مَسِيرَةَ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَحَلَّةِ بَنِي النَّضِيرِ، وَهَذِهِ خصيصي لِمُحَمَّدٍ ﷺ دُونَ غيره؟!**[2]**.

وإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين، بنفس السلاح آية باهرة عظيمة جليلة، تدل على لطف الله بعباده المؤمنين، وحكمة رسول الله ﷺ وروعة تصرفه في المواقف الحرجة، حين تبين له غدر اليهود، وأوحى الله له بذلك؛ فإذا به ينصرف في هدوء تام، وسكينة بالغة، لا تشعر أحداً بتغير، ولا نية في الأمر الذي سيقدم عليه، وهذا موقف لا يحتاج إلى ضوضاء أو غوغائية أو تبادل آراء؛ بل يحتاج إلى موقف حاسم؛ فلينسحب أولاً من أرض الخيانة والغدر، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون.

فاعتبروا يا أهل التوحيد، يامن التففتم حول مائدة سورة الحشر؛ لأن الله هو العزيز الذي لا يمانع، العزيز الذي إذا أراد إذلال قوم أذ لهم بما يريد، ولذا يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة أسباب ولا مسببات فهو القادر على كل شيء.

المطلب الثاني عشر: معرفة عقلية من نتعامل معهم.

لا شك أن اليهود يعلمون بمقدم رسول الله ﷺ كما في الروايات الكثيرة، فلما بعث الله النبيَّ محمداً ﷺ ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه[3]، وكان اليهود في المدينة يعرفون أن النبي ﷺ رسول الله، وخاتم الأنبياء، وأنه ما جاء إلا بالدين الحق لجميع الناس، ولكن هذه المعرفة لم تكن لتهديهم إلى الحق واتباعه، بل على عكس ذلك، كانوا أول من عاداه، وأضمر الشر له ﷺ وللإسلام والمسلمين، وهم الذين كان حديثهم في التبشير به[4].

وهذا يدل على سعي اليهود وتخطيط العقلية اليهودية لتفترسنا، والقضاء على ديننا، وما يحدث من الأحداث الجسام التي استهدفت تصفية الإسلام في أماكن وجودهم، ولم يحرك العالم

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب التيمم- ٧٤/١- حديث رقم (٣٣٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٣/١٨.

(٣) انظر: الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري جمعًا ودراسة عقدية- يوسف بن حمودة الحوشان- ص٣٨٧-٣٩٠.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه- ص٣٩١.

الإسلامي ساكنًا، بل إن العلاقات طيبة بين الدول العربية والإسلامية، وبين الحكام الطغاة الملوثة أيديهم القذرة بدماء المسلمين والعرب.

ولمعرفة عقلية اليهود لا بد من معرفة خصال الأشخاص الذين نتعامل معهم؛ للوقاية منهم ونذكر جملة من هذه الخصال، فيما يأتي:

أولاً: الزهو والاستعلاء، وأصل هذا هو اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وأن عنصرهم أسمى من العناصر الأخرى.

ثانياً: غرورهم وتعلقهم بكواذب الأماني والآمال، فهم يزعمون أن الله سيغفر لهم جميع السيئات والمنكرات، وأنهم ليسوا كغيرهم يحاسبون على الصغير والكبير.

ثالثاً: الجبن والحرص على الحياة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ضعف العقيدة والاستغراق في النزعة المادية، وحب الحياة مهما كانت ويجبنون على التضحية ولو قلَّت[١].

وهذا لا يمنع من أن يكون اليهود مهرة في إثارة وتدبير المؤامرات والعمل من وراء ستار؛ لأن ذلك لا يكلفهم أية تضحية.

رابعاً: الإجرام والإفساد في الأرض بالغدر، وإفساد الخلق وإشعال الحروب وقتل الأنبياء والمصلحين[٢].

إن التعاليم التي يقدمها اليهود وعلماؤهم تنضح بكل شر، ومن هذه التعاليم الفاسدة تظهر لنا عقليتهم:

١ –" اليهود أحب إلى الله من الملائكة وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، فمن يصفع اليهودي كمن يصفع الله".

٢ –التفرقة في العقوبة بينهم وبين غيرهم: إذا ضرب أممي[٣] إسرائيلياً يستحق الموت".

٣ –بقاء الأشياء مرهون بوجود اليهود.

والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو الفرق بين اليهود وبين باقي الأمميين.

٤ –أصل الناس غير اليهود.

---

(١) انظر: اليهود في القرآن– سيد سابق التهامي– ١/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه– ٢/٣.

(٣) الأممي كل إنسان غير يهودي.

" إن الكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي، أو يعطيه لحمًا؛ بل يعطيه للكلب".

٥ –الجنة خاصة باليهود دون غيرهم، "الشعب المختار فقط هو الذي يستحق فقط الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير".

٦ –لماذا خلق الله الناس غير اليهود؟ "إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة، وإذا كان الأجنبي أي غير اليهودي –قد خلق على هيئة الإنسان فما ذلك إلا ليكون لائقاً لخدمة اليهود التي خلقت لأجلهم".

٧ –معاملتهم للناس "إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر، أقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين".

٨ –تحريضهم على النهب، "إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأممي ماله المفقود وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب".

٩ –ملك إسرائيل: "وفي ذلك اليوم قطع الرب من إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات".

١٠ –أسلوب الحرب: "حين تقترب من مدينة؛ لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك".

وأن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما الأطفال والنساء والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمة فتغتنمها لنفسك، لا ترهب وجودهم؛ لأن الرب إلهك إله عظيم ومخوف؛ ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً؛ لئلا تكثر عليك وحوش البريّة.

ويدفع الرب إلهك إمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك فتحو اسمهم من تحت السماء، والقاعدة التي جعلوها في الحياة هي قاعدة التلمود القائلة:

(يلزم أن تكون طاهراً من الطاهرين ودنساً مع الدنسين).

هذه أفكار اليهود وتعاليمهم وعقليتهم التي يحاولون أن يطبقوها وهي من أخطر التعاليم وأضرها بالمجتمع البشري جميعه، ولا بد من مواجهة هذا الخطر باليقظة والوعي والإعداد[1].

لذلك تناول القرآنُ الكريم قضية اليهود من أول يوم في العهد المكي في مرحلة بناء العقائد، ولم تؤخر الى المرحلة المدنية، من أول يوم يبني في عقيدتك كمسلم معرفة طبيعة الشخصية اليهودية الغدارة ومخاطر اليهود.

المطلب الثالث عشر: اللبيب من اعتبر بغيره {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}.

هذه آية جليلة الشأن في الكتاب العزيز، سرت مسرى المثل، وذاعت على الألسنة والأقلام؛ لأنها تعني وجوب الاستفادة من تراكم الخبرات البشرية، وأخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم السابقة، والمعاصرة، وتوفيراً للجهد، واختصاراً للطريق، وفراراً من عذاب الله تعالى ...

وقد قص الله تعالى علينا في سورة الحشر قصة جلاء بني النضير من المدينة إلى خيبر والشام، مبيناً وقوع ما ليس في الحسبان، فقال تباركت أسماؤه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[الحشر: ٢].

قَوْلُهُ تعالى:{ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ} أَيِ اتَّعِظُوا يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ[2].

{ فَاعْتَبِرُوا} أي فَاتَّعِظُوا وَانْظُرُوا فِيمَا نَزَلَ بِهِمْ {يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} يَا ذَوِي الْعُقُولِ وَالْبَصَائِرِ[3].

وهنا يقع في القلب أن من لا يعتبر فهو إنسان أعمى لا يبصر، وَمَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِغَيْرِهِ اعْتُبِرَ فِي نَفْسِهِ.

هذه الآية هي الدليل الوحيد الذي استخدمه العلماء على مشروعية القياس في الإسلام، قَوْلُهُ تعالى:{ فَاعْتَبِرُوا} أي قيسوا، {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}، والمعنى: فتأملوا فيما نزل بهؤلاء، والسبب الذي استحقوا به ذلك، فاحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم، وهذا دليل

---

(١) انظر: اليهود في القرآن– سيد سابق التهامي– ١/٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن– القرطبي– ١٨/٥.

(٣) انظر: معالم التنزيل– البغوي– ٨/٧٠.

على جواز القياس، وحجيته عند جماهير العلماء ومنهم الأئمة الأربعة، ولم يخالف في ذلك سوى الظاهرية وبعض المعتزلة وبعض الرافضة.

والدليل على كون القياس حجة من وجوه كثيرة، نكتفي منها بما يأتي:

قوله تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر:٢].

وجه الاستدلال أن الله أمر بالاعتبار بحال الكفار، والمراد بالاعتبار أن يقيس المرء حاله بحالهم؛ ليعلم أنه إن فعل مثل فعلهم استحق جزاء مثل جزائهم، وما أمر الله به فهو واجب[١]، وقوله تباركت أسماؤه: {فَاعْتَبِرُوا}، العبرة هي الدرس والعظة، وفي اصلاح العلماء هي: أحداث ووقائع تجري بأمر الله، وهي شاهد على صدق سنن الله التي بنى عليها الكون وسيره بها، وهي من أعظم مقاصد قصص القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود:١٢٠].

وقد أشار القرآن الكريم إلى مواطن العبرة في هذه الموقعة، وإلى هذا التهديد الذي أعلنه لكل من يسلك سبل المكر المزري، والحقد المستبد؛ فقال تباركت أسماؤه: {يَاأُولِي الأَبْصَارِ}، ويظهر من الآية الكريمة الاعتبار من وجوه:

- أن الذي يقف في وجه الحق، ويصد الناس عنه، ويطارد دعاة الحق منهزم لا محالة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[آل عمران:١٢].

- الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف وباق حتى يرث الله الأرض وما عليها، وستكون للباطل جولات وللحق جولات؛ ولكن العاقبة لأهل الحق في نهاية المطاف.

- الاعتبار يكون بتجنب ما ارتكبه اليهود من خيانة وغدر؛ حتى لا يحدث نفس المصير الذي حدث لهم من الهزيمة والذل والهوان[٢].

من ينتفع بالعبرة؟

---

(١) انظر: أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله- عياض السلمي- ص١٧٣.

(٢) انظر: قم فأنذر "أم لم يعرفوا رسولهم"- د. محمد العريفي- ٦/١٠٦٤.

لا ينتفع بالعبرة إلا العقلاء: أصحاب النظر الكريم، والرأي السديد، والعقل الرشيد، من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ومن كان في قلبه خشية من العزيز الحميد، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[يوسف:١١١][(١)].

من لا ينتفع بالعبرة؟

صنفان من الناس لا ينتفعون بالعبرة أبدا: المتكبرون والمعطلون.

- المتكبر: يرى الكلَّ حقيرًا إذا قاسه بنفسه، فهو يرى نفسه أعلى من أن يعتبر بحدث أو يهزه موقف، وهذا الوصف متحقق في اليهود، وهؤلاء محرومون من الفهم، مصروفون عن الحق مخذولون عن التوفيق، كما قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦][(٢)].
- المعطلون لأسماعهم وأبصارهم وعقولهم: وهم كالحيوان؛ لا يعتبر بالحدث الذي يجري أمامه، يرى الخطر بعينه والناس هلكى، ثم يعود بعد ذلك فيفعل الفعل نفسه، وهؤلاء هم المرشحون لنار جهنم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[الأعراف:١٧٩].

مثال في الاعتبار:

أن نزن الأمور بحقائقها لا بمجرد ظواهرها؛ فالمسلمون في حُنَيْنٍ كثيرون، وقالوا: "لن نهزم اليوم من قلة"؛ فهزموا شر هزيمة، وفي بدر كانوا قلة ونصرهم الله وهم أذلة، فليست الأمور توزن بالقلة والكثرة الظاهرة، بل قلة معها الله منصورة لا محالة، وكثرة معها الشيطان مقهورة لا محالة،

---

(١) انظر: خواطر دعوية- هاشم المشهداني- موقع إسلام ويب- تاريخ النشر: ٢٠١٨/٤/١٧م.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه.

كما قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩][1].

الخلاصة:

في عالمنا الإسلامي اليوم كثيرٌ من الأخطاء وأصناف القصور على المستويات كافة، ووجود الأخطاء أمر طبيعي؛ ذلك لأن حركة الزمن تدع الكثير من الجديد بالياً، وتوجب استمرار الاجتهاد والتكييف بين المبدأ والمصلحة، وبين الوسائل والغايات، وبين الأساليب والأهداف، وخلال عمليات التكييف هذه تحصل مفارقات تحسب للأمة تارة وعليها تارة أخرى.

والأمة الحية اليقظة لا تكف أبداً عن عمليات المراجعة وقياس أداء المناهج والأساليب والأصول، كما لا تمل من بحث المعوقات وطرح الحلول لها.

وإذا كان الآخرون يحتاجون إلى نوعين من المراجعة؛ فإننا بحمد الله نسير في طريق لأحبة رسمها الأصفياء الأولون من رسل الله وأوليائه، ومن ثم فإننا بحاجة إلى نوع واحد منها، وهو التأكد من موافقة خطانا لروح الشريعة الغراء ونصوصها ومدى توفر الشروط النفسية والاجتماعية التي يجب توفرها في حياة خير أمة أخرجت للناس[2].

وتتشخص هذه المراجعة في المفردات التالية:

١. امتلاك الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء، وأنواع التقصير في مسيرتنا الحياتية.
٢. التفريق الدقيق بين الأمراض وأعراضها؛ حتى لا نعالج مظاهر المرض وأعراضه، ونترك حقيقته؛ فيكون العلاج مؤقتاً.
٣. البحث في البنى التحتية لتلك الأخطاء؛ للوقوف على عللها الأولى، وأسبابها الحقيقية؛ اهتداء بقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].
٤. التغيير في برامجنا وأساليبنا، بما يتناسب مع نتائج تلك المراجعات.
٥. وضع صمام الأمان الذي يحول دون تكرار الوقوع في تلك الأخطاء.

---

(١) انظر: خواطر دعوية- هاشم المشهداني- موقع إسلام ويب- تاريخ النشر: ٢٠١٨/٤/١٧م.

(٢) انظر: فاعتبروا يا أولي الأبصار- أ. د. عبد الكريم بكار، الموقع الرسمي له.

٦. غرس روح تحمل المسؤولية في أفراد الأمة والتربية على الشجاعة الأدبية الباعثة على محاصرة الخطأ والنقد البناء، وتنمية روح المبادرة الفردية لديهم.

وإذا فعلنا هذا فإنا نكون قد ضمنّا استمرار الثقة بأصولنا الاعتقادية والفكرية، وأوينا إلى ركن شديد يعصمنا من الأعاصير العاتية والانهيارات المدمرة.

وليس هذا على وارثة تراث الأنبياء والمكلفة بتبليغ الكلمة الأخيرة بعزيز، ولله الأمر من قبل ومن بعد[1].

المطلب الرابع عشر: دفع شر الأعداء وأذاهم عن المسلمين ودينهم وبلادهم هو الهدف من الجهاد.

لا يحزن المسلم لفرحة ظالم أو لغلبة باطل؛ فإن للباطل جولة وللحق جولات، ودولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة[2].

الجهاد عبادة من العبادات التي فرضها الإسلام على أتباعه المسلمين، وقد تناول كثير من المفكرين آثار الجهاد الأخروية، ودرجات المجاهدين، وما أُعد لهم من حياة دائمة خالدة ومغانم لا حدود لها.

ولكننا نريد أن نشير هنا إلى أثر الجهاد في حياة المسلمين الدنيوية؛ ليتبين لنا أي فوز سينالونه لو أقبلوا عليه بإخلاص لله، وأية خسارة سوف تحيق بهم إن هم أهملوه أو حتى لم يقدروه حق قدره.

إن أثر الجهاد في حياة المسلمين له أبعاد ثلاثة مترابطة متشابكة، هي: البعد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

أولاً: البعد الاقتصادي

ويتلخص في أمرين:

١. إنَّ المعروف أن ثروات الأمة الإسلامية من أغنى أمم العالم؛ فلا بد من وجود القوة العسكرية التي تحمي هذه الثروات من عبث العابثين وطمع الطامعين بروح الجهاد كعبادة فرضها علينا ديننا وحتمتها عقيدتنا، وإلا فإننا بركوننا إلى الدنيا وتركنا عبادة الجهاد نلقي بأنفسنا إلى

---

(١) انظر: فاعتبروا يا أولي الأبصار – أ. د. عبد الكريم بكار، الموقع الرسمي له.

(٢) انظر: خواطر دعوية– هاشم المشهداني– موقع إسلام ويب– تاريخ النشر: ٢٠١٨/٤/١٧م.

التهلكة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥]، أي أنفقوا في سبيل الله، ولا تتركوا الجهاد في سبيله[١].

قال أبو أيوب الأنصاري ﷺ عن هذه الآية: "إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار أنا لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام قلنا معشر الأنصار خفية من رسول الله ﷺ أنَّا قد تركنا أهلنا وأموالنا أمن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله الخبر من السماء ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها، وندع الجهاد"[٢].

٢. الجهاد في سبيل الله يعني دوام تعبئة جهود الأمة المختلفة؛ تحقيقًا لحمايتها، والدفاع عنها، وضمان حريتها في تبليغ الدعوة التي تحمل رسالتها، دون عائق أو إرهاب[٣].

ثانيًا: البعد الاجتماعي

الجهاد في سبيل الله يصهر المسلمين جميعًا في بوتقة واحدة هي بوتقة المصير الواحد؛ إذ إن الذين يجاهدون في سبيل مبدأ واحد، ويشتركون في معركة شريفة، جمعتهم عقيدة واحدة، يد على من سواهم، عدوهم واحد، وغايتهم واحدة، واستراتيجيتهم واحدة، ومنطلقهم إلى ذلك كله عقيدة واحدة[٤].

فإذا كان أعداء الإسلام -وهم كثيرون مختلفون- اجتمعوا على شيء واحد هو العداء للإسلام، والرغبة في تذويب شخصية المسلمين والقضاء عليهم، فإن الجهاد من أهم الوسائل إلى توحيد صفوف المسلمين، وجمع شتاتهم.

ولما كان الجهاد من أصعب وأشق العبادات الإسلامية لما فيه من التضحية بالمال والدم فإن النتائج المترتبة عليه غاية في القوة؛ لما في هذا البذل والعطاء من السخاء بأغلى ما يملك

---

(١) انظر: أثر الجهاد في حياة المسلمين- د. أحمد سليمان- الشاملة الذهبية- ص١.

(٢) جامع البيان- الطبري- ٢/٢٠٤.

(٣) انظر: أثر الجهاد في حياة المسلمين- د. أحمد سليمان- الشاملة الذهبية- ص٣.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه-الصفحة نفسها.

الإنسان مما يقوي الروابط الاجتماعية إلى أقوى حد، ويتسامى إلى أشرف غاية؛ لأنه يجعل هذه الروابط في خطٍّ مساوٍ لخط الحياة نفسها.

ثالثًا: البعد السياسي

هذا البعد للجهاد جعل المسلمين يظهرون كقوة لها وزنها، الذي يحترمه الشرق والغرب في عالم اليوم نتيجة التفافهم حول عقيدة واحدة، عقيدة متميزة غير منحازة، بدلًا من محاولة كل من الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي الاحتواء لهم، أو السيطرة عليهم.

لذلك كان للجهاد أهمية كبيرة في المحافظة على شخصية أمتنا الإسلامية، بل وتأثيرها على اتجاهات الأحداث العالمية، وفي ذلك الخير كل الخير لها وللعالم كله، باعتبار أن المسلمين هم الأمة الوسط وبخاصة بعد ما ثبت من فشل كل من النظرتين الغربية والشرقية في تحقيق الأمن والاستقرار للعالم وإفلاسهما في هذا المجال إفلاسًا واضحًا دعا المفكرين إلى التطلع نحو نظرية جديدة تعيد للعالم توازنه وثقته، وليس هناك –من وجهة نظرنا– أقدر من الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة على تحقيق ذلك.

أضف إلى ذلك أن عبادة الجهاد تؤدي سياسيًا إلى تطهير صفوف الأمة الإسلامية من العملاء لأعدائها، الخائنين لدينها، سواء أكان هؤلاء العملاء والخونة حكامًا ضعفاء همه البقاء في الحكم في حراسة حراب أعداء الأمة الإسلامية أم كانوا مفكرين انهزاميين يضعفون من شأن الأمة، بما يبثونها في روعها من الأفكار الهدامة لقيامها وأصالتها وانتمائها للإسلام، فيسلبونها بذلك أسباب أحقيتها لوصف الله لها بالخيرية والوسيطة والشهادة، بل يسلبونها بذلك مبررات وجودها وسبب بقائها في الحياة.

أضف إلى ذلك، تحرير الأرض الإسلامية المستعبدة، ورفع الظلم عن المسلمين المضطهدين في أي مكان في العالم[1].

وها نحن هنا في فلسطين ندفع فاتورة الشرف والكرامة عن الأمة، مع أقذر أمم الأرض.

وها هي الحركة الإسلامية في فلسطين تخوض الصراع بمفردها متسلحة بإيمانها بالله، وثقتها بموعوده.

---

(١) انظر: أثر الجهاد في حياة المسلمين– د. أحمد سليمان– الشاملة الذهبية– ص٤.

وهاهم اليهود قد جاءوا بخيلهم وخيلائهم وقد حشدوا كل أمم الأرض من خلفهم؛ ليقضوا على آخر معاقل الإسلام في فلسطين في غزة بعد أن فشلوا في كسر إرادتنا بكل وسائلهم، يعدون للأمر عدته، ونحن وبإذن الله قد أعددنا للأمر عدته بما تيسر في قلوبنا من إيمان وصبر وثبات، وبما تيسر في أيدينا من وسائل.

اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربنا، إلى من تكلنا، إلى بعيد يتجهمنا، أم إلى عدو ملكته أمرنا.

اللهم نشكو إليك دماء سفكت.. وأعراضا هتكت.. وحرمات انتهكت .. وأطفالًا يتمت .. ونساء رملت .. وأمهات ثكلت .. وبيوتًا خربت .. ومزارع أتلفت .. نشكو إليك .. تشتت شملنا .. وتشرذم جمعنا .. وتفرق سبلنا .. ودوام الخلف بيننا .. نشكو إليك ضعف قومنا وعجز الأمة من حولنا وغلبة أعدائنا!!

المطلب الخامس عشر: جواز هدم ديار الكفار الأعداء، ومصادر قوتهم وأخذ أموالهم أثناء الحرب.

تخريب ممتلكات الأعداء:

لمَّا نزل رسول الله ﷺ بجيشه، وحاصر بني النَّضير تحصَّنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النَّخل، والتَّحريق فيها، فنادوه يا محمد! قد كنتَ تنهى عن الفساد، وتعيبه على مَنْ صنعه، فما بال قطع النَّخل، وتحريقها؟، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[الحشر:٥]، وقد توسَّع الشَّيخ محمَّد أبو زهرة في شرح هذه الآية، فقال ما ملخَّصه بعد أن ساق اراءَ الفقهاء في ذلك: والذي ننتهي إليه بالنِّسبة لما يكون في الحرب مِنْ هدمٍ، وتحريقٍ، وتخريبٍ: أنه يُستفاد من مصادر الشَّريعة، وأعمال النَّبيّ صلى الله عليه وسلم في حروبه:

- أنَّ الأصل هو عدم قطع الشَّجر، وعدم تخريب البناء؛ لأنَّ الهدف من الحرب ليس إيذاءَ الرَّعية، ولكن دفع أذى الرَّاعي الظالم، وبذلك وردت الآثار.

- أنَّه إذا تبيَّن: أنَّ قطع الشَّجر، وهدم البناء توجبه ضرورةٌ حربيَّة لا مناص منها؛ كأن يستتر العدوُّ به، ويتَّخذه وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين؛ فإنَّه لا مناصَ من قطع الأشجار، وهدم البناء؛ على أنَّه ضرورةٌ من ضرورات القتال، كما فعل النَّبيُّ ﷺ هنا، وفي حصن ثَقِيف.

- أنَّ كلام الفقهاء الَّذين أجازوا الهدم، والقلع يجب أن يُخرَّج على أساس هذه الضَّرورات، لا على أساس إيذاء العدوِّ، والإفساد المجرَّد، فالعدوُّ ليس الشَّعب، إنَّما العدوُّ هم الَّذين يحملون السِّلاح؛ ليقاتلوا[1].

هَذِهِ الْآيَةُ {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} بمعنى أَيُّ شَيْءٍ قَطَعْتُمْ مِنْ نَخْلَةٍ {أَوْ تَرَكْتُمُوهَا}، أَيْ لَمْ تَقْطَعُوهَا {فَبِإِذْنِ اللَّهِ}، أَيْ فَبِأَمْرِهِ وَحُكْمِهِ الْمُقْتَضِي لِلْمَصْلَحَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَهي {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} نَزَلَتْ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى جَوَازِ هَدْمِ دِيَارِ الْكُفَّارِ، وَقَطْعِ أَشْجَارِهِمْ فِيهِ جَوَازُ قَطْعِ شَجَرِ الْكُفَّارِ وَإِحْرَاقِهِ، وَبِهِ قَالَ الْجُمْهُور، وَقِيلَ: لَا يَجُوزُ، وقيل: يَجُوزُ ذَلِكَ؛ لأَنَّ الْمَقْصُودَ كَبْتُ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَكَسْرُ شَوْكَتِهِمْ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ ذَلِكَ، فَيَفْعَلُونَ مَا يُمَكِّنُهُمْ مِنَ التَّحْرِيقِ وَقَطْعِ الْأَشْجَارِ، وَإِفْسَادِ الزَّرْعِ؛ لَكِنَّ هَذَا إِذَا لَمْ يَغْلِبْ عَلَى الظَّنِّ أَنَّهُمْ مَأْخُوذُونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ أَنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ وَأَنَّ الْفَتْحَ بَادٍ كُرِهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِفْسَادٌ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْحَاجَةِ وَمَا أُبِيحَ إِلَّا لَهَا[2].

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي الصلابي- ١/٢١٠، ٢١١.

(٢) انظر: آداب الجهاد في سبيل الله- علي نايف الشحود- ص١٣٢.

المبحث الثالث

الإسلام دين التكافل الاجتماعي

المطلب الأول: الفيء والغنائم حق للمسلمين المنتصرين على أعدائهم وله مصارفه في الإسلام.

المسلمون في العهد الأول فئتان:

مهاجرون، وأنصار: ومن عدل الله ضرورة استمرار هذين النموذجين الى يوم القيامة، أنه ﷻ يصف المهاجرين بأنهم فقراء، هذا الفقر ليس مِن كسلهم، وليس من ضعف حيلتهم؛ ولكن بسبب انتمائهم إلى الدين واستقامتهم، بسبب مؤاثرتهم رضوان الله ﷻ، وما كان ذنبُهم حتى أُخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ إلا أنهم قالوا: ربنا الله، وهذه كانت نيتهم وقصدهم عندما هاجروا، فكان من رحمة الله أن يأتي بعد الفقر الفضل، فكانت أموال يهود بني النضير بعد خروجهم من المدينة بقيت بساتينهم وأراضيهم وبيوتهم التي ردها الله تعالى على رسوله ﷺ من غير قتال ولا حرب ولا مشقة للنبي ﷺ خاصة يضعها حيث شاء، فقسمها النبي ﷺ بين المهاجرين؛ لشدة حاجتهم، ولم يعط الأنصار منها شيئًا إلا ثلاثة نفر محتاجين، هم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف[1]، والحارث بن الصمة[2].

تنقسم الأموال التي للدولة فيها حق التدخل إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: الصدقات والزكوات: وهي ما أخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم، فتصرف إلى الفقراء والمساكين والعاملين عليها، وهم الأصناف الثمانية المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٦٠].

(١) انظر: دور الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي– د. يوسف القرضاوي– ص٤٠٧.

(٢) انظر: التفسير المنير– د. وهبة الزحيلي– ٨٧/٢٨.

ثانياً: الغنائم: الغنيمة: ما حصل من الكفار عنوة بإيجاف خيل وركاب، والغنى هو: حصول ما ينافي الضر وصفة النقص، ونقيضه الحاجة[١]، وهي ما يحصل في أيدي المسلمين من أموال الكافرين بالحرب والقهر والغلبة.

ثالثًا: الفيء: وهو ما رجع للمسلمين من أموال الكفار عفوا صفوا من غير قتال ولا إسراع خيل ولا ركاب، كالصلح والجزية والخراج والعشور المأخوذة من تجار الكفار، ومثله أن يهرب المشركون ويتركوا أموالهم، أو يموت أحد منهم في دار الإسلام، ولا وارث له.

أموال الفيء: هي-كما قال ابن عباس رضي الله عنهما- قريظة والنضير، وهما بالمدينة وغيرهما، جعلها الله تعالى لرسوله ﷺ[٢].

هل الفيء والغنيمة بمعنى واحد؟

الفيء والغنيمة متفقان من وجهين، ومختلفان من وجهين:

أولاً: وجه اتفاقِهِمَا

أ- أنَّ كل واحدٍ من المَالَين واصلٌ بالكفر.

ب- أنَّ مَصرِفَ خُمُسِهِما واحدٌ.

ثانياً: وجه افتراقِهِمَا

أ- أنَّ مالَ الفيءِ مأخوذٌ عفوًا، ومَالَ الغنيمةِ مأخوذٌ قَهراً.

ب- أنَّ مصرف أربعة أخماسِ الفيء مخالف الغنيمة لِمَصرف أربَعةِ أخماس الغنيمةِ[٣].

وتقسم مصارف الفيء في رأي الشافعية والحنابلة إلى خمسة أسهم:

- أولاً: سهم المصالح (سهم الله تعالى ورسوله ﷺ)، أي يصرف لمصالح المسلمين العامة، كالثغور وقضاة البلاد وعلماء الشرع والأئمة والمؤذنين، ولو أغنياء ونحوهم[٤].
- ثانيًا: سهم لذوي القربى، وهم بنو هاشم من أولاد فاطمة رضي الله عنها وغيرها.
- ثالثًا: أسهم أخرى إلى ما نص الله عليهم (سهم فقراء اليتامى) و(المساكين)، و(أبناء السبيل)، وهم الغرباء في الطريق.

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف- المناوي- ص٥٤٢.

(٢) انظر: التفسير المنير- د. وهبة الزحيلي- ٢٨/٨٧.

(٣) انظر: الأحكام السلطانية- الماوردي- ص٢٠٠.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه- ص٨٦.

ملاحظة: هَذَا الْفَيْءُ لَا خُمُسَ فِيهِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْأَئِمَّةِ كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ، وَإِنَّمَا يَرَى تَخْمِيسَهُ الشَّافِعِيُّ، وَبَعْضُ أَصْحَابِ أَحْمَدَ[1].

الحكمة من قسمة الفيء، وتقدير الله هذا التقدير[2]:

ذكرها الله تباركت أسماؤه في السورة فقال عز من قائل: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[الحشر:٧]، أي حكمنا بهذه القسمة بين هؤلاء المذكورين؛ لئلا يكون تداول الأموال محصورا بين الأغنياء، ولا يصيب الفقراء منه شيء، فيغلب الأغنياء الفقراء، ويقسمونه بينهم، وهذا مبدأ إغناء الجميع، وتحقيق السيولة للكل[3].

وبذلك قضى الإسلام على الطبقية وتجمع الثروة في يد فئة قليلة، وحرمان الأكثرية من سيولة المال.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد نقل المفسّرون أنّ الرّسول ﷺ بعد حادثة بني النضير قسّم الأموال المتبقية بين المهاجرين من ذوي الحاجة والمسكنة على ثلاثة أشخاص من طائفة الأنصار، وهذا دليل آخر على عمومية مفهوم الآية، وإذا لم تكن بعض الروايات متناسبة معها، فينبغي ترجيح ظاهر القرآن[4].

وذكر ابن شهاب الزهري[5] أنَّ أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله، ولم يسرع عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ خالصة، فقسَّمهما رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط أحداً من الأنصار منها شيئًا إلا رجلين كانا فقيرين، سمّاك بن خرشة أبو

---

(١) انظر: الفتاوى الكبرى– ابن تيمية– ٢١٨/٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن– السعدي– ص١٠٠٣،١٠٠٢.

(٣) انظر: التفسير المنير– الزحيلي– ٨١/٢٨.

(٤) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

(٥) هو أبو بكر: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، الزهري، وهو أحد الأعلام التابعين، وقد رأى عشرة من الصحابة ﷺ، وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري ﷺ، ولد سنة خمسين من الهجرة، وتوفي سنة (١٢٤هـ). (انظر: وفيات الأعيان– ابن خلكان– ١٧٧/٤، الوافي بالوفيات– صلاح الدين الصفدي– ١٨/٥).

دجانة، وسهل بن حنيف[1][2]، أعطاهما النبي ﷺ أرضاً من أرض النضير، وإنما سموا المهاجرين؛ لأنهم هجروا المشركين وفارقوهم[3].

فائدة(١): قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾.

استدل بها من قال إن الفيء لا يصرف منه شيء للمعتدين للقتال؛ بل يصرف أربعة أخماس، خمسه إلى الأربعة ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ويصرف الخمس والأخماس الأربعة الباقية التي كانت لرسول الله ﷺ إلى مصالح المسلمين[4].

فائدة(٢): عقَّب الشيخ سعيد حوى على تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: "أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء؛ كيلا يبقى مأكله يتقلب عليها الأغنياء، ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء، أقول: دل هذا التعليل على أن من الأهداف المراعاة في نظام المال في الإسلام ألا يتجمع المال بيد الأغنياء، ومن ثم حرم الله ﷻ الربا والاحتكار، وشرع نظام الإرث"[5].

رأي الباحثة:

شرائع الإسلام كلها ومنها التكافل الاجتماعي بين المسلمين، شرعت لنبلغ أسمى مراحل الاخوة الإيمانية في علاقاتنا بإخوة الإسلام؛ لذلك أولَ عملٍ قام به الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة بناء المسجد، ثم مؤاخاتُه بين المهاجرين والأنصار؛ ليعيشوا بهم واحد، ألا وهو التوحيد والدعوة إلى الله تباركت أسماؤه، فكانوا صحابة رسول الله ﷺ يتربون بالأحداث على التوحيد وتعظيم منهج الله، ونشر دينه في جميع البلدان، والاستعداد ليوم القيامة، وكل ما تفيض به كتب الشريعة الإسلاميَّة من الأحكام المتعلقة بمختلف شؤون الاقتصاد والمال، يُبغى من ورائه إقامة مجتمعٍ عادلٍ متحاب تتقارب فيه طبقاتُ الناس، وفئاتهم، ويُقضى فيه على أسباب الثغرات، ولو

---

(١) هو أبو ثابت: سهل بن حنيف، الأنصاري الأوسي، والد أبي أمامة بن سهل، وأخو عثمان بن حنيف، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وحدَّث عنه ابناه: أبو أمامة وأبو عبد الله وآخرون، ومات بالكوفة سنة ثمانٍ وثلاثين من الهجرة، وصلى عليه عليٌّ بن أبي طالب ﷺ. (انظر: سير أعلام النبلاء- الذهبي- ٢/٣٢٥).

(٢) انظر: دور الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي- د. يوسف القرضاوي- ص٤٠٧.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان- ٣/٣٣٩.

(٤) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل- السيوطي- ص٢٥٨.

(٥) انظر: الأساس في التفسير- ١٠/٥٨٢٢.

طبقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشؤون المال من أحياء الشريعة التي منها الزكاة، ومنع للربا، والقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات؛ ليعيش الناسُ كلُّهم في بحبوحة من العيش، قد يتفاوتون في الرزق؛ ولكنهم جميعاً مكتفون، وليس فيهم كَلٌّ على آخر.

والقرآن الكريم يبني بهذه المجموعة المباركة مجتمعَ القدوة ومنارة التأسي؛ ليستضيء المسلمون من بعدهم بنورهم الساطع، ويقتفوا آثارهم الواضحة، فيستعصون على محاولات الهدم والتخريب التي يسعى إليها أعداءهم في كل زمان.

المطلب الثاني: مظاهر تطور السياسة المالية الإسلامية بعد غزوة بني النضير.

اهتم الفكر المالي في عصر الرسالة بسياسة الإنفاق العام، فلم يكتفِ بالأسس والقواعد التي وضعها للموارد المالية للدولة للإسلامية؛ بل اهتم ببيان مصارف هذه الموارد؛ حتى لا يذهب المال إلى من لا يستحقه، وقسم الشارع مصارف الموارد المالية الاسلامية إلى مصارف لها مورد مخصص، مثل: زكاة المال والفطر والغنائم والفيء والتي خصصت لبنود معينة لا يمكن الحياد عنها، ومصارف غير مخصصة تصرف في كل الشئون العامة للمسلمين، مثل: رواتب الولاة والقضاء والدواوين والمشروعات[1].

- تطوير السِّياسة الماليَّة بعد غزوة بني النضير:

بيَّن ﷻ حكم الأموال الَّتي أخذها المسلمون من بني النَّضير بعد أن تمَّ إجلاؤهم، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[الحشر:٦]، فبين الله تباركت أسماؤه:

١. أن الأموال الَّتي عادت إلى المسلمين من بني النَّضير قد تفضَّل بها عليهم بدون قتالٍ شديدٍ؛ وذلك لأنَّ المسلمين مَشَوْا إلى أعدائهم، ولم يركبوا خيلاً، ولا إبلاً، وافتتحها ﷺ صلحاً، وأجلاهم، وأخذ أموالهم، ووضعها حيث أمره الله؛ فقد "كانت أموال بني النَّضير ممَّا أفاء الله

(١) انظر: السياسة المالية للدولة في عصر الرسالة- د. حسن عربان- ص٢٨.

على رسوله ممَّا لم يُوجف عليه المسلمون بخيلٍ، ولا ركابٍ، فكانت للنَّبي ﷺ خاصَّةً ينفق منها بما يأتي:

أ- **(يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاَحِ وَالكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ)**[1].

ب- ثمَّ بيَّن المولى ﷻ أحكام الفيء في قرى الكفار عامَّة، ولهذا تصرَّف فيه -أي: الفيء- كما يشاء، فردَّه على المسلمين في وجوه البرِّ، والمصالح الَّتي ذكرها الله ﷻ في هذه الآيات.

٢. ومع أنَّه ﷺ يعلم: أنَّ الفيء كان خاصَّاً له، إلا أنَّه جمع الأنصار، وسألهم عن قسمة أموال بني النضير[2]؛ لتطييب نفوسهم، وهذا من الهدي النَّبويِّ الكريم في سياسة الأمور، وكانت الغايةُ من هذا التَّوزيع تخفيفَ العبء عن الأنصار، وهكذا انتقل المهاجرون إلى دُورِ بني النَّضير، وأُعيدت دُورُ الأنصار إلى أصحابها، واستغنى بعض المهاجرين ممَّا يمكن أن يقال فيه: إنَّ الأزمة قد بدأت بالانفراج.

"فلمَّا غنم ﷺ أموال بني النَّضير؛ دعا ثابت بن قيس، فقال: (ادعُ لي قومك)، قال ثابت: الخزرج؟ فقال ﷺ: (الأنصارُ كلُّها)، فدعا له الأوس، والخزرج، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثمَّ ذكر الأنصار، وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالهم إيَّاهم في منازلهم، وأموالهم، وأثرتهم على أنفسهم، ثمَّ قال: (إن أحببتُم قسمتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النَّضير -وكان المهاجرون على ما هم عليه من السُّكنى في منازلكم، وأموالكم-، وإن أحببتم أعطيتُهم، واخرجوا من دوركم)[3]، فقال سعد بن عبادة، أو سعد بن معاذ أو كلاهما رضي الله عنهما: يا رسولَ الله! بل تقسم بين المهاجرين، ويكونون في دورنا، كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا وسلَّمنا يا رسول الله.

٣-قسمة أموال بني النَّضير، أوجدت تطوُّراً كبيراً في السِّياسة الماليَّة للدَّولة الإسلاميَّة؛ فقد كانت الغنائم الحربيَّة قبل هذه الغزوة، تقسم بين المحاربين بعد أن تأخذ الدَّولةُ الإسلاميَّةُ خُمْسَها؛

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الجهاد والسير- باب المجن ومن يترس بترس صاحبه- ٣٨/٤- حديث رقم (٢٩٠٤).

(٢) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي الصلابي- ٢١١/٢، ٢١٢.

(٣) الحاكم في الإكليل كما في فتح الباري- ٤٢٢/٧، ٤٢٣.

لتصرف في مصارف معينةٍ حدَّدها القرآن الكريم، وبعد غزوة بني النَّضير أصبحت هناك سياسةٌ ماليَّةٌ جديدةٌ متعلقة بالغنائم، وهي أنَّ الغنائم الحربيَّة أصبحت حسب السِّياسة الجديدة على نوعين:

- غنائم استولى عليها المجاهدون بحدِّ سيوفهم، وهذه الغنائم تقسم بين المجاهدين بعد أن تأخذ الدَّولة خُمْسَها؛ لتصرفه في مصارفه الخاصَّة.

- غنائم يوقعها الله بأيدي المجاهدين دون قتالٍ؛ وهذا النَّوع يختصُّ رئيس الدَّولة الإسلاميَّة، بالتَّصرُّف فيه حسب ما يرى المصلحة في ذلك، يعالج به الأوضاع الاقتصاديَّة في البلاد؛ فينقذ الفقراء من فقرهم، أو يشتري به سلاحاً، أو يبني به مدينةً، أو يصلح به طرقاً... إلخ، وهذا يعني: أنَّه قد أصبح لرئيس الدَّولة الإسلاميَّة ميزانيَّة خاصَّةً يتصرَّف فيها تصرُّفاً سريعاً حسب مقتضيات المصلحة[1].

المطلب الثالث: مشروعية الوقف.

الْوَقْفِ لغةً: هُوَ وَالتَّحْبِيسُ وَالتَّسْبِيلُ بِمَعْنًى، وَهُوَ لُغَةً الْحَبْسُ، يُقَالُ: وَقَفْت كَذَا: أَيْ حَبَسْته، وَلَا يُقَالُ: أَوْقَفْته إلَّا فِي لُغَةٍ تَمِيمِيَّةٍ وَهِيَ رَدِيئَةٌ وَعَلَيْهَا الْعَامَّةُ، وَهُوَ عَكْسُ حَبَسَ فَإِنَّ الْفَصِيحَ أَحْبِسُ، وَأَمَّا حَبَسَ فَلُغَةٌ رَدِيئَةٌ.

الوقف شرعاً: حَبْسُ مَالٍ يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ بِقَطْعِ التَّصَرُّفِ فِي رَقَبَتِهِ عَلَى مَصْرَفٍ مُبَاحٍ مَوْجُودٍ، وَيُجْمَعُ عَلَى وُقُوفٍ وَأَوْقَافٍ، وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢][2].

والقولُ بصِحَّةِ الوَقْفِ قولُ أكثرَ أَهْلِ العِلْمِ مِن السَّلَفِ ومَن بعدَهم، وذكر جابر أنه لم يَكُنْ أَحَدٌ مِن أَصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ذو مَقْدِرَةٍ إلَّا وَقَفَ[3].

فالوقف من خصائص أهل الإسلام، وقربة من القُرَب الموجبة لعظيم الثواب، وقد تكاثرت الأدلة الشرعية حول مشروعية الوقف، وتنوعت دلالاتها وتعددت مظاهرها، وهكذا اختلفت الروايات في تحديد ظهور أول نشاط للوقف في التاريخ الإسلامي:

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي الصلابي- ٢/٢١١.

(٢) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج- الخطيب الشربيني- ٣/٥٣٠.

(٣) انظر: الشرح الكبير- ابن قدامة- ١٦/٣٦٢.

فيرى بعضهم أنَّ أول وقفٍ هو وقفُ رسول الله ﷺ لبساتين مخيريق بعد غزوة أحد، فإنه أوصى إن أصيب فأمواله لرسول الله ﷺ، فلما قتل قبضها النبي ﷺ، وتصدق بثمرها في سبيل الله تعالى، وكانت سبعة حوائط تقع في بني النضير(١)، فجعل إنتاجها وقفًا في سبيل الصدقة، كما أصاب عمر بن الخطاب ﷺ أرضًا بخيبر فاستشار رسول الله ﷺ بشأنها، فخيَّره النبي ﷺ بين حبسها أصلًا، وبين التصدُّق بها، فأوقفها في سيبل الله، واشترى عثمان بئر رومة بماله الخاص من يهودي وجعلها في سبيل الله، وكذلك أبو طلحة أوقف نخله ببيرُحاء(٢)، فالوقف في عصر الرسالة أصبح مؤسسة اجتماعية تسهم في إشباع الحاجات العامة.

حكمة مشروعية الوقف:

يرغب من وسَّع الله عليهم من ذوي الغنى واليسار، أن يتزودوا من الطاعات ويكثروا من القربات، فيخصصوا شيئًا من أموالهم العينية ما يبقى أصله وتستمر منفعته، منه خشية أن يؤول المال بعد مفارقة الحياة إلى من لا يحفظه ولا يصونه، فينمحي بسبب التصرف السيئ أثره ويُنسى ذكره، وينقطع عمله، ويصبح عَقِبُه من ذوي الفاقة والإعسار، ودفعًا لكل هذه التوقعات ومشاركة في أعمال الخيرات شُرع الوقف في الحياة ليباشر الواقف ذلك بنفسه، ويضعه في موضعه الذي يريده ويتمناه وليستمر مصرف ريعه بعد الوفاة كما كان في الحياة.

والوقف سبب رئيسٌ في قيام المساجد والمدارس، ونحوها من أعمال الخير، والمحافظة عليها، فإن أغلب المساجد على مدى التاريخ قامت على الأوقاف، بل إن كلَّ ما يحتاجه المسجد من فرش وتنظيف ورَزْقِ القائمين عليه كان مدعومًا بهذه الأوقاف(٣).

بعض فوائد الوقف:

١. الأوقاف الإسلامية كانت شرياناً حيوياً جداً في المجتمعات الإسلامية السابقة.
٢. يُعَدُّ الوقف من أعظم أسباب تقدم المسلمين.
٣. تحسنت الأحوال الصحية لمرضى المسلمين، وازدهر الطب عندما أنشئت بالأوقاف المستشفيات.

---

(١) انظر: البحر المديد- ابن عجيبة- ٨/٧.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الزكاة- باب الزكاة على الأقارب- ١١٩/٢- حديث رقم (١٤٦١).

(٣) انظر: أحكام الوقف والوصية والفرق بينهما- صالح السدلان- ص٧، ٨.

٤. أدت الأوقاف إلى نهضة زراعية وصناعية، وتوفير البنية التحتية في المدن؛ بسبب وجود القناطر الخيرية والآبار والجسور وشق الطرق، وكلّها من الأوقاف.

٥. تحقق الأمن الغذائي للمسلمين بوجود مزارع أوقفت ثمارها لبلد المسلمين، وللفقراء فيها.

٦. الوقف حقق التكافل الاجتماعي العام بين المسلمين، وفي نطاق الأسرة الواحدة خصوصاً.

٧. الأوقاف مصدر عظيم لسد الحاجات، فهي مصدر عظيم لكي تستوعب أموال المحسنين في أمور خيرية مستمرة.

٨. إن الوقف يحقق مصلحة عامة للأمة بتوفير احتياجاتها، ودعم تطويرها ورقيها.

٩. إن القضية ليست فقط صرف على الفقراء، بل إعانة على إخراج علماء ينفعون الأمة.

١٠. كان في العهود الإسلامية الماضية انتشار عظيم للمدارس والمكتبات والأربطة، وحلق العلم والتأليف نتيجة الأوقاف.

١١. للأوقاف آثار تنموية في تشغيل وتوظيف الطاقات، وتشجيع الاستثمارات، وتحقيق التكافل الأسري والعائلي، وبناء المساكن للفقراء، وتزويج الشباب، ورعاية المعوقين، والمقعدين والعجزة، وتسوير المقابر وتخصيصها، وإيقاف وقفها، وتجهيز لوازم التغسيل والتكفين للموتى.

١٢. وكذلك أنشأت مكتبات زودت بمراجع، وجامعات أقيمت، ودعاة كفلوا، ودور تعليم، ومراكز صحية.

١٣. كانت الأوقاف تهيئ أجواء علمية عظيمة تفرغ الطلبة؛ لكي يصيروا علماء، وتفرغ علماء لكي يؤلفوا المؤلفات، ولذلك نهضت الأمة نهضة علمية شرعية، وحتى في المجالات الدنيوية كالطب والفلك، وغيره، نتيجة توفير أوقاف تفرغ العلماء وطلبة العلم والباحثين والدعاة والمجاهدين في سبيل الله.

فما أحوج المجتمعات الإسلامية اليوم لهذه الأوقاف، وما أحوج المجتمعات الإسلامية اليوم لهذه الشرايين الحيوية في ضبطها وإيجادها وتمويل وصرف الأموال الناتجة عنها.

المطلب الرابع: العدالة الاجتماعية في توزيع مقدرات الأمة.

من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية: العدل، حتى جعل القرآن إقامة القسط –أي العدل– بين الناس هومن أهداف الرسالات السماوية كلها.

والمراد بالعدل: أن يعطى كل ذي حق حقه، سواء أكان ذو الحق فرداً أم جماعة أم شيئاً من الأشياء أم معنى من المعاني، بلا طغيان ولا إخسار، فلا يبخس حقه ولا يجور على حق غيره[1].

ولا يستطيع المسلمون العيش بلا أنظمة وقوانين تحكمهم، فالقوانين هي وسيلة الحفاظ على الحقوق وهي الوسيلة التي تصان فيها كرامة الفرد، وتستغل فيها الثروات، وتحدد بها المسؤوليات والواجبات المناطة بالجهات والأفراد والجماعات؛ لذلك لا وجود للدولة بلا قوانين تنظمها وتديرها، ولا وجود للدولة –أيضاً– بلا عدالة تضمن تطبيق القوانين على جميع الناس بلا استثناء أو تمييز، فالعدالة هي مفهوم إنساني مهم جداً، ويعني المساواة بين جميع الأفراد في حقوقهم وواجباتهم كلّ حسب قدرته وظرفه فليس من العدالة معاملة القوي والضعيف بنفس المعاملة، ويندرج تحت هذا المصطلح تكافؤ الفرص بين جميع الأفراد وتوزيع المقدرات والثروات والمكتسبات بالمساواة.

وتحقيق العدالة في المجتمع ليس بالموضوع السهل؛ لأنها تسبب حالة من الاستقرار النفسي للمسلمين، فغياب العدالة من المجتمعات هو مدعاة للفوضى وانتشار الظلم والفساد والفقر وإهدار الحقوق، فتصبح هذه البيئة خصبة للتعصب والانحدار الأخلاقي.

فالعدالة هي الصمام الذي يحفظ الدول والمجتمعات، فليست العبرة في عدم وجود الموارد؛ ولكن العبرة في أن يشعر الجميع بأنّ نقص الموارد حالة عامة يتأثر بها الجميع.

العدالة الاجتماعية هي عبارة عن نظام اجتماعي اقتصادي، يهدف إلى تذليل وإزالة الفوارق الاقتصادية بين طبقات المجتمع الواحد، حيث تعمل على توفير المعاملة العادلة وتوفير الحصة التشاركية من خيرات المجتمع للجميع[2].

فولي الأمر يقوم نيابة عن المجتمع بإعطاء الفقراء والمحتاجين من الأملاك العامة المنقولة والعقارية، لا ليسدّ رمقهم ويقضي حاجتهم الآنية فقط، وإنما ليملّكهم من الثروة ما يلبي حاجاتهم المختلفة باستمرار، خصوصاً عند حدوث تفاوت كبير في توزيع الثروات في المجتمع، وتكدس الأموال في أيدي فئة قليلة، ولهذا السبب وزّع النبي ﷺ فيء بني النضير، وقسم أرضهم

---

(١) انظر: مقال بعنوان العدل– الموقع الرسمي للدكتور يوسف القرضاوي– تاريخ النشر: ٢٠١٩/٩/١٦م.

(٢) انظر مقال بعنوان (معايير العدالة الاجتماعية)، نشر بتاريخ ٢٠١٧/٢/٢٠م، على موقع البلاغ، للكاتب عمار كاظم، https://www.balagh.com/.

على فقراء المهاجرين، الذين كانوا يعتمدون في سكناهم على أراضٍ وبيوتٍ للأنصار(١)، فجمع رسول الله ﷺ الأنصار وسألهم عن قسمة أموال بني النضير، لتطييب نفوسهم، وهذا الهدي النَّبويّ الكريم من هذا التَّوزيع، غايته تحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع مقدرات الأمة وتخفيفَ العبء عن الأنصار، فأُعيدت دُورُ الأنصار إلى أصحابها، واستغنى بعض المهاجرين ممَّا يمكن أن يقال فيه: إنَّ الأزمة قد بدأت بالانفراج.

ذُكر لنا أنَّ الرجل من المهاجرين كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها، وروى جعفر بن أبى المغيرة، عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالا: كان ناس من المهاجرين لَيْسَ لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنَّهم فقراء وجعل لهم سهمًا في الزكاة وهم الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم، كانوا مائة رجل، {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ} أي: رزقًا في الجنة {وَرِضْوَانًا} أي: مرضاة ربهم، {وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في الجهاد في سبيل الله(٢).

المطلب الخامس: وجوب امتثال جميع أوامر الرسول، واجتناب جميع نواهيه.

من أعظم ما تقرب به المتقربون لله ﷻ طاعة رسوله ﷺ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعة النبي ﷺ، وألزمهم بها في مواضع كثيرة من القرآن العظيم، وكذا على لسان نبيه ﷺ، وهذا الأمر معلوم من الدين بالضرورة، ولا يسع أحد إنكاره، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٧]، قَالَ الشَّيْخُ الشنقيطي(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمُقَدِّمَةِ: "إِنَّ السُّنَةَ كُلَّهَا مُنْدَرِجَةٌ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَيْ: أَنَّهَا مُلْزِمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَيَكُونُ الْأَخْذُ بِالسُّنَّةِ أَخْذًا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٣،٤](٤).

---

(١) انظر: تحقيق العدالة الاجتماعية بنظام الملكية المتعددة– الظاهر قانة– الشاملة الذهبية– ص٨.

(٢) انظر: الكشف والبيان– الثعلبي– ٢٢٢/٢٦.

(٣) الشنقيطي: (أحمد بن الأمين الشنقيطي: عالم بالأدب، من أهل شنقيط، نزل بالقاهرة وتوفي بها، من كتبه (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) و (الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع) ولد سنة ١٢٨٩هـ وتوفي سنة ١٣٣١هـ) كتاب الأعلام، الزركلي ج١٠١/١

(٤) انظر: أضواء البيان– ٣٧/٨.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمركم بخير وإنما ينهى عن شر"[١].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حُكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله ﷺ"[٢].

شبهة:

هل يمكن أن يُفهم كتاب الله "القرآن العظيم" بمعزل عن السُنَة:

لا يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن سُنَّة النبي ﷺ بحال من الأحوال، بل لا يمكن أن يُفهم كتاب الله بمعزل عن السُنَة، وأي دعوة لفصل أحدهما عن الآخر إنما هي دعوة ضلال وانحراف، وهي في الحقيقة دعوة إلى هدم الدين، وتقويض أركانه والقضاء عليه من أساسه، واعتقاد بعضهم أن القرآن يكفيهم ضلال، ورد للقرآن الذي أمرنا صراحة بطاعة النبي ﷺ في كل ما أمر ونهى، حيث قال تقدست أسماؤه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٧].

واجبنا نحو امتثال جميع أوامر الرسول، واجتناب جميع نواهيه:

١. طاعته ﷺ فيها كالتزامنا بطاعة الله، مثال: صلاة الجنازة، زكاة الفطر، تحريم الذهب، الأمر بحضور الجماعات، وتغسيل الميت، وتكفينه ودفنه، وغير ذلك من أمور جاءت بها السُنَّة النبوية ولم ترِدْ في كتاب الله ﷻ، قال ﷺ: **(مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)**[٣].

٢. معرفتنا ويقيننا بعصمة النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله، وكل ما أمر به، أو نهى عنه، ووجه ذلك أن من وجبت طاعته طاعة مطلقة بلا قيد ولا شرط وجب أن يكون معصومًا، وما كان الله ليأمرنا أمرًا مطلقًا باتباع كل ما جاء بالسُنَّة النبوية، إلا لعلمه سبحانه بعصمة

---

(١) تفسير القرآن العظيم- ٤/٤٠٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن- ص٨٥٠.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب توقيره ﷺ...- ٤/١٨٣٠- حديث رقم (١٣٣٧).

صاحب هذه السُنة صلوات الله وسلامه عليه، في جَدِّه وضحكه، ورضاه وغضبه، وصحته ومرضه، وفي حلّه وترحاله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٣، ٤].

٣. لزوم آثار السلف في طاعة أوامر الرسول، واجتناب جميع نواهيه، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"[١]، وقال: "إياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق"، والسنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة في أقواله وأفعاله، وما تركه من قول وعمل[٢].

٤. الله تبارك وتعالى ينفي الإيمان عمن لم يحَكِّم الرسول ﷺ في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وما سنَّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم، فبحكم الله سنَّه"[٣].

٥. أن يعلم المسلم أن مخالَفة أمرَ اللهِ ومعادَاة رَسولَه، فإنَّ اللهَ عِقابَهُ له شَديد، وعَذابَهُ أليم[٤].

وأخيراً نقول: ستظل سُنَّة النبي ﷺ على مدى الأجيال والقرون، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها نبراسًا للمسلمين، تضيء لهم حياتهم، ولئن انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه، فإن الله قد حفظ لنا كتابه وسنة نبيه ﷺ، فهما طريق الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: **(إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ)**[٥].

---

(١) شرح الاعتقاد- اللالكائي- ٨٦/١.

(٢) انظر: الصراط أصول منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والعمل- عبد الرحمن بن عبد الخالق- ص٤٠.

(٣) لب اللباب في تحرير الأنساب- السيوطي- ص١.

(٤) انظر: الواضح في التفسير- محمد خير رمضان- ص١٣٥٢.

(٥) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه- كتاب العلم- فأما حديث عبد الله بن نمير- ١٧٢/١- حديث رقم (٣١٩)- قال الألباني: الحديث صحيح. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة- الألباني- ٣٥٦/٤).

المطلب السادس: الأثر التربوي والأخلاقي لغزوة بني النضير على المسلمين.

تمر السنون والأعوام، وتظل سيرة وغزوات النبي ﷺ عامة ومع اليهود خاصة، نبراسًا وهاديًا، يضيء لنا الطريق، في تعاملنا مع أعداء الأمس واليوم والغد، ومن ذلك الآثار التربوية والأخلاقية لغزوة بني النضير على المسلمين، والتي تمثلت في عدة نقاط، نذكر منها على سبيل الذكر وليس الحصر الآتي:

١. إدراك أن جميع الكائنات والجمادات وكل ما خلقه الله تعالى مما يدركه الإنسان ومما لا يدركه يُسبح بحمد الله تعالى بطريقته الخاصة، وإثبات قدرة الله ﷻ على تغيير الأحوال وتبديل الحال وتصريف الأمور كيف يشاء ﷻ، فلا يقف أمام قوته وقدرته شيء.

٢. سورة الحشر وقصة بني النضير خاصة، تعطينا عبرة من خلال سياق السورة الخاص فيما يخدم السياق العام للقرآن، ومن أجل أن يكون ذلك معينا على الفهم(١)، فالجزاء من جنس العمل، والمكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، فمن غدر ومكر ولفَّ ودار فإنَّ لفَّه ومكره سينقلب عليه في النهاية، وإخراج يهود بني النضير من المدينة، وقد تجردوا من المال والسلاح؛ نتيجة لنقضهم العهد والميثاق.

٣. تحقق وعد الله تعالى لنبيه ﷺ، بحفظه وحمايته، في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة:٦٧]، فقد أخبره الله بما يدبره اليهود لقتله، ما يحمل الناس على الإيمان بالنبوة.

٤. قيام رسول الله ﷺ بقطع الأشجار والنخيل أثناء محاصرة اليهود، بأمر من الله تعالى، وهذا لا يتم تطبيقه في جميع حالات الحرب إلا في أمور معينة، وهنا تتجلى الحكمة من الامتثال لأوامر الله تعالى؛ لأنه أعلى وأعلم.

٥. جاءت السورة لتؤكد مدى كراهية اليهود للمسلمين، واتسامهم بنقض العهود منذ فجر التاريخ.

٦. أن لله جنودًا لنصرة عباده المؤمنين، والرعب جنديٌّ من جنوده لبني النضير، حتى انهارت معنوياتهم وضعفت نفسياتهم، فاستسلموا وخربوا بيوتهم بأيديهم، وفي ذلك تربية

---

(١) انظر: الأساس في التفسير– سعيد حوى– ٥٨١٦/١٠.

للأفراد والأمة على أن النصر من الله ﷻ، وربط الأحداث بفاعلها الحقيقي وهو الله رب العالمين، وبيان أن جنود الله كثيرة لا يعلمها أحد إلا الله.

٧. وجوب الخضوع لأوامر الله ﷻ ورسوله ﷺ، والتشريعات المختصة بالمال والثروة وتقسيم الغنائم؛ وذلك لأن الله يأمر بكل ما هو خير وينهى عن كل فساد؛ حيث يؤكد على تحقيق العدالة الاجتماعية، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الحشر:٧].

٨. بيان للناس أن يعلموا أن الله –الذي أجلى هؤلاء وأزالهم بعد أن ظنَّ اليهود أن حصونهم مانعتهم– قادرٌ على أن يزيل غيرهم من الكافرين والمتكبرين والظالمين، بشرط أن يصلح الناس أحوالهم، ويُقبلوا على منهج ربهم، وينصروا دينه، فإذا حققوا ذلك فإنَّ الله سينصرهم وسيهلك عدوهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج:٤٠].

٩. بيان جواز القطع والحرق في أرض العدو للمصالح الحربية، وأن ذلك ليس من الفساد في الأرض، وَيَجُوزُ حِصَارُ الْكُفَّارِ فِي الْبِلَادِ وَالْقِلَاعِ وَغَيْرِهَا، وَإِرْسَالُ الْمَاءِ عَلَيْهِمْ، وَقَطْعُهُ عَنْهُمْ، وَرَمْيُهُمْ بِنَارٍ وَمَنْجَنِيقٍ وَغَيْرِهِمَا وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ نِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾[التوبة:٥][1]، مع بيان أن الأصل في أخلاقيات الحرب والقتال في الإسلام عدم الإفساد: وتحريم الإفساد في الأرض، بقطع أسباب الحياة فيها، وتخريب ما يحتاج إليه الناس، مما لا ضرورة في الحرب إليه، وذلك مثل قطع الشجر، وتحريق المزارع، وهدم المنازل، وتخريب العامر، وتلويث مياه الشرب، ونحو ذلك مما تفعله بعض الجيوش؛ نكاية بأعدائها، وانتقامًا منهم[2].

١٠. كما أن في سورة الحشر إشارة واضحة إلى أن الهلاك متحقق في الوقوف في وجه الحق وتعذيب أهل الحق أو مطاردتهم أو سجنهم، فهؤلاء اليهود لما عزموا على قتل الرسول ﷺ بإلقاء الرحى عليه من سطح البيت، مكر الله بهم فأذلهم وأخزاهم وخرَّب بيوتهم ورحلهم

---

(١) انظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج– شهاب الدين الرملي– ٦٤/٨.

(٢) انظر: تهذيب فقه الجهاد– د. يوسف القرضاوي– ص٢٨٦.

من ديارهم بدون أن يتكلف المسلمون أية تكاليف في ذلك، وإنما دخلوا أرضهم بدون خيل ولا ركاب؛ أي بدون حرب ولا مشقة.

١١. في السورة إشارة للمسلمين بتجنُّب الغدر والابتعاد عن الخيانة ونقض العهد؛ حتى لا يقع لهم ما وقع لليهود، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

١٢. كما أن من الدروس العظيمة بيان حال المنافقين وكشف العلاقة الوطيدة بينهم وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، حتى إن الله ﷻ سمَّاهم (إخوانهم) للذين كفروا من أهل الكتاب، فعلاقة المنافقين باليهود علاقة حميمة، وصلتهم بهم صلة قوية، يعقدون معهم المؤامرات ويتآمرون معهم ضد المسلمين ويعدونهم بالدفاع عنهم ونصرتهم وحمايتهم من المسلمين، وذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١٣. إبراز فضل التعاون والاتحاد عن طريق التذكير بفضل المهاجرين والأنصار؛ حيث إن العلاقة بين المسلمين جاءت لتقوم على مبادئ التعاون والمساعدة والتكافل، وتؤكد هذه السورة -أيضًا- على صدق القرآن الكريم وإعجازه؛ لخوضه في نوايا المنافقين واليهود والوقوف على صفاتهم الجلية مثل الغدر والخيانة والجبن؛ ولذلك يجب اتخاذ الاحتياطات للحذر منهم في كل زمان ومكان.

١٤. وصى الله ﷻ المؤمنين بالتزام التقوى، والاستعداد للآخرة، والتمسك بحبله المتين، ألا وهو القرآن العظيم.

١٥. تعليم الناس مدى تنزيه المولى ﷻ عن كل نقص أو عيب؛ حيث ذكرت السورة مجموعة من أسماء الله الحسنى التي تُبرز سماته الفريدة ﷻ؛ وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[الحشر: ٢٤].

١٦. في السورة إشارة إلى أن النصر قريب إذا سلك الناس طريقه، وفي غزوة بني النضير خاصة درس عظيم للأمة تذكرهم أن نصر الله قريب، وأن طريق النصر هو الرجوع إلى الله تعالى والاعتماد عليه والتسليم لشريعته وأنه تعالى لا يعجزه شيء، والسعيد من اعتبر بغيره، أمَّا إذا تنكَّب الناس الطريق، وأخذوا يبحثون عن النصر والعز والتمكين في المناهج الأرضية

كالديمقراطية والعلمانية والليبرالية والاشتراكية، أو غيرها من المناهج الطاغوتية، فإنَّ النصر سيكون بعيدًا بل محالاً، وتمر السنون والأعوام، وتظل سيرة وغزوات النبي ﷺ عامة، ومع اليهود خاصة؛ نبراسًا وهاديًا، يضيء لنا الطريق، في تعاملنا مع أعداء الأمس واليوم والغد[1].

الدروس المستفادة من غزوة بني النضير:

١. من أهم الدروس المستفادة من هذه الغزوة هو إظهار صفات الغدر والخيانة في نفوس اليهود والمنافقين، وهذه الحقيقة أثبتها التاريخ والواقع إلى وقتنا هذا.
٢. قدرة الله ﷻ على تبديل وتغيير الأحوال من حال إلى حال على حسب إرادته ﷻ؛ حيث كان اليهود لديهم حصون منيعة، وكانت قوتهم تفوق قوة المسلمين؛ ولكن شاءت قدرة الله ﷻ أن تخرّ قواهم وحصونهم أمام المسلمين، ويتركوها للمسلمين.
٣. تحمل هذه الغزوة الكثير من القيم منها تربية الأجيال القادمة وأفراد الأمة على أن النصر والتوفيق من الله ﷻ.
٤. يجب على المسلمين الابتعاد عن الغدر والخيانة ونكث العهود والمواثيق؛ حتى لا يحدث لهم مثل ما حدث لليهود.
٥. من الدروس المستفادة من هذه الغزوة –أيضًا– هو أن الله ﷻ كشف العلاقة الوثيقة التي تربط اليهود والمنافقين وأهل الكتاب من النصارى[2].
٦. قيام رسول الله ﷺ وأصحابه بتحقيق شروط التمكين، فحققوا الإيمان بكل معانيه وكافة أركانه، ومارسوا العمل الصالح بكل أنواعه وحرصوا على كل أنواع الخير وصنوف البر، وعبدوا الله عبودية شاملة في كافة شؤون حياتهم، وحاربوا الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه، وأخذوا بأسباب التمكين المادية والمعنوية ، حتى أقاموا دولتهم في المدينة.

---

(١) انظر: غزوة بني النضير والدروس المستفادة– موقع إسلام ويب– تاريخ النشر: ٢٠١١/٦/٢٣م.

(٢) انظر: موضوع عن غزوة بني النضير– كتابة Randa Abdulhameedمنذ ٨ أشهر موضوع عن غزوة بني النضير | معلومة ثقافية.

الفصل الثاني

التوجيهات التربوية النفسية المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المبحث الأول

التوجيهات التربوية النفسية للمؤمنين المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المطلب الأول: رابطة العقيدة والإيمان أوثق من رابطة النسب والصهر.

الأخوة في الله هي من أوثق عرى الإيمان، وقد أثبت الله رابطة الأخوة بين المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحُجُرات:١٠]، فهي رابطة عُقدت بعَقد الله لها، ما أجمله من شعور، أن نشعر بأن كلَّ مُوحِّدٍ على وجه الأرض هو أخ لنا، لنا و له حقوق مشتركة، وقد شبه الرسول ﷺ الأخوة الإيمانية بالجسد الواحد، فقال: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)**(١)، فرابطة الأخوة في الله هي فوقَ كلِّ الأخُوَّات الأخرى؛ فوق أخوة النسب والقبيلة والوطن وغيرها(٢).

وقد تمثلت الأخوة في الله من خلال سورة الحشر بين الأنصار والمهاجرين، مستكملة حلاوة الإيمان في نفوسهم واستكمال عراه، ومن قوة الإيمان في قلوبهم مثله الله تباركت أسماؤه بالدار التي يسكنونها، هذا الإيمان القوي له ثمرات مباركة، فقد صفى وغسل قلوبهم تماماً، فهم لا يحقدون على إخوانهم ولا يتحاملون عليهم، ولا يحسدونهم؛ لأن الله ﷻ أعطاهم من الفيء، ولم يعط الأنصار، لا لأن الله ميزهم وقدَّمهم بالسبق والشرف والهجرة، وكأن قلوبهم لا تعرف الحسد ولا تشم له رائحة.

فالإنسان كلما زاد حسده قلت بركته، وكلما قل حسده زادت بركته، بركة في كلامه، في فكره، في تخطيطه، في ماله، في صحته؛ لأن القلب صافٍ سليم، وكل ما يُغرف منه يخرج نقيًّا طاهرًا مُباركاً.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، وَأَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)**(٣)؛ لذلك فإنَّ أولَ عملٍ قام به الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة -بعد بناء

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب- باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم- ١٩٩٩/٤- حديث رقم (٢٥٨٦).

(٢) انظر: الأخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية- عبد العزيز الحميدي- ص٢٤.

(٣) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه- كتاب النكاح- ١٧٨/٢- حديث رقم (٢٦٩٤)- قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

المسجد- هو مؤاخاتُه بين المهاجرين والأنصار، فكانت مِنَّةً أنعم بها الله تعالى على صحابته ومن ثم على عباده الصالحين.

وبهذه المؤاخاة شُدَّتْ لَبِنَاتُ المجتمع الإسلامي إلى بعضها ببعض، وارتفع صرحُ الدولة الإسلامية عالياً متيناً، فاستعصى على محاولات الهدم والتخريب التي سعى بها يهودُ المدينة وأعوانُهم من المنافقين والمرجفين، وبرغم ذلك كان الرسول ﷺ معهم يسدد خطواتهم ويوجِّه أعمالَهم، والقرآن الكريم يبني بهذه المجموعة المباركة مجتمعَ القدوة ومنارة التأسي؛ ليستضيء المسلمون من بعدهم بنورهم الساطع، ويقتفوا آثارهم الواضحة.

وقد وضع القرآن الكريم مصالح المسلم وعلاقاته الدنيوية كلها في كفة، ووضع حب الله ورسوله والجهاد في سبيل العقيدة في كفة أخرى، وحذر المؤمنين وتوعدهم إن هم غلّبوا مصالحهم وعلاقاتهم الاجتماعية على مصلحة العقيدة[١]، وقد جعل الإسلام رابطة العقيدة هي الأساس الأول في ارتباط الناس وتآلفهم وأن أقرَّ بعض الأواصر الأخرى إذا انضوت تحت هذا الأصل مثل الأرحام التي حث الإسلام على وصلها[٢].

فأساس الارتباط في الإسلام هو العقيدة التي قد تقتضي مصلحتها التفريق بين المرء وأبيه أو ابنه أو زوجته أو عشيرته، وهكذا قاتل أبو عبيدة ﷺ أباه -وهو يمجد الأصنام-، فقتله عندما التقى به في معركة بدر الكبرى، ورأى أبو حذيفة ﷺ أباه المشرك، وهو يُسْحب ليُرْمَى في القليب ببدر، دون أن ينكر قلبه ذلك[٣].

وفي زمان المادية الطاغية المعاصر الذي نعيشه -حيث يقاس المرء ويوقر بما لديه من أموال ونفوذ- ما أحوجنا في هذا الزمان إلى معنى الأخوة في الله! وما أعوزنا إلى أن نتحلى به وننشره بين المسلمين؛ حتى نجد حلاوة الإيمان، ونتذوق نعيم الأخوة الخالصة، فإن للأخوة الصادقة حلاوةً لا يعرفها إلاّ من عاشها، حلاوةٌ لا تدرك بمجرد العلم والمعرفة، وإنما بالتطبيق العملي.

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدِّثين في نقد روايات السيرة النبوية- د. أكرم ضياء العمري- ٢٥١/١.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه- ٢٤٩/١.

(٣) انظر: المصدر السابق نفسه- الصفحة نفسها.

وإنَّ الذين عاشوا الأخوة في الله، وجدوا الطمأنينة والسلام في عالم يعاني من القلق والتوتر، وتيقنوا أن الأخ الحقيقي ليس بالضرورة أن تلده أمك، فرُزقوا بالعديد من الإخوان ينتشرون في بقاع الأرض، بعضهم رأوهم وعايشوهم، وبعضهم ربما لم يروهم وإنما سمعوا عنهم؛ تبادلوا معهم الحب الصافي والمودة الخالصة على تباعد المسافات.

قال العلماء الأخوة ومراتبها على ثلاث مراتب:

أدناها: أن يقوم الأخ بحاجة أخيه من فضل ماله، فإذا سنحت له حاجة، وكانت عنده فضل، أعطاه إبتداءً ولم يحوجه الى السؤال، فإن أحوجه الى السؤال، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك، "قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه، وروي أن رجلاً جاء إلى أبي هريرة ﷺ، فقال: إني أريد أنْ أؤاخيك في الله ﷻ، فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني، قال: لا تكون بدرهمك ودينارك أحقّ مني، قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال: فاذهب عني"[1].

المرتبة الثالثة: وهي العليا أن تؤثره على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين، ومنتهى درجات المتحابين.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج مني إليه، فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان الى آخر، فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الأول، بعد أن تداوله سبعة، فكانت هذه المرتبة العليا من الإيثار، هي مرتبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ لذلك مدحهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩][2].

ومثال ذلك –أيضاً– مؤاخاة رسول الله ﷺ للكثير من الصحابة ﷺ، روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك ﷺ أن الصحابي الجليل سعد بن الربيع ﷺ أخاه النبي ﷺ مع الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ، قال له سعد يا أخي: هذان بستانان فأختر واحد منهما، وهذان

---

(١) نواقض الأخوة– أبو ناصر – ص٣.

(٢) انظر: الحب في الله وحقوق الأخوة– أحمد فريد– ص٢٧، ٢٨.

دكانان فاختر واحدة منهما، فقد نزل عن نصف مال لأخيه، قال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ وكان نبيل النفس[1]: بارك الله لك في مالك دلني على السوق، يعني ظهرت مؤاثرة من الأنصار لا توصف وظهرت عفة من المهاجرين لا توصف، فبقدر ما كان الأنصار أسخياء بقدر ما كان المهاجرون متمتعين بالعفة، لم يسجل التاريخ، ولا السيرة أن صحابياً واحداً مهاجراً أخذ من أنصاري شيئاً، مع أن الأنصار عرضوا نصف ممتلكاتهم على المهاجرين، فالمؤاخاة كانت حقيقية، ولم تكن هذه المؤاخاة فقط للإيواء المالي والاقتصادي والسكني للمهاجرين ﷺ؛ ولكن كانت مؤاخاة في كل شيء، وكان الأخ يطمئن على أخيه في أمور الآخرة، كما كان يطمئن عليه في أمور الدنيا[2].

وخلاصة القول: إن المجتمع المدني الذي أقامه الإسلام كان مجتمعاً عقديًّا يرتبط بالإسلام، ولا يعرف الموالاة إلا لله ولرسوله والمؤمنين، وهو أعلى أنواع الارتباط وأرقاه؛ إذ يتصل بوحدة العقيدة والفكر والروح فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهذا المجتمع مفتوح لمن أراد أن ينتمي إليه مهما كان لونه أو جنسه على أن ينخلع من صفاته الجاهلية ويكتسب الشخصية الإسلامية؛ ليتمتع بسائر حقوق المسلمين.

رأي الباحثة:

استطاع أعداء أمتنا الإسلامية اليوم –بسبب قلة وعينا و جهلنا و بُعدنا عن منهج الله– تفكيك علاقتنا بعضنا ببعض، بعد أن احتلوا بلادنا وخربوا بلاد المسلمين، فأفسدوا شبابنا وبناتنا وجعلوا الهم الأكبر لمجتمعاتنا الإسلامية الحصول على الشهوات والرغبات، فضاعت منا أكبر العوامل في بناء مجتمعاتنا وصياغة أخلاقنا على المنهج الإسلامي، ألا وهي تَمَثُّلُ روحِ الأخوة في الله، ونشرها ذلك أن أُوْلَى علامات العافية لهذه المجتمعات هو الشعور بالجسد الواحد، محبةً وفرحًا وألمًا ونُصرة، الأخوة في الله كفيلة –بإذن الله– بإحداث النهضة الاجتماعية التي ننشدها، وعودة المجتمع الإسلامي إلى مفهوم الجسد الواحد، مجتمعًا تسوده المحبة والألفة، والصفاء والنقاء، والتعاون والتناصح، فالقلوب الموصولة بالله تعالى لا يعيقها شيء عن بلوغ القصد وتحقيق أهداف الرسالة، ورسالة الإسلام جاءت لتعطي صورة لأمثل دولة قامت على أساس أخوة

---

(١) انظر: السيرة النبوية– راغب السرجاني– ٧/١٦.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

العقيدة، إذن فنسب الميلاد والذرية غير نسب العقيدة والولاء، فالأول يشترك الناس فيه أجمعون، أما الثاني فهو الفرقان بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان، والإسلام أتى بعدم التفريق بين البشر؛ بسبب أجناسهم وألوانهم وقبائلهم، وإنما بالتفريق بينهم على أساس عقائدهم وأديانهم وأخلاقهم وأعمالهم، أما ما لا يد فيه للإنسان ولا اختيار فلم يقع التفريق بسببه، وهذا من محاسن الشريعة وجمالها وعدلها بين البشر، ضمت أمثل مجتمع ظهر في تاريخ البشر، نموذج ينبغي على المسلمين في كل زمان ومكان أن يحتذوه ليكفلوا لأنفسهم سعادة الدارين ويبتعدوا عن الشقاء و الضنك والضياع وسط ركام الجاهلية الذي يزحف عليهم من كل مكان ولا منجي لهم إلا بالعودة إلى الله تعالى والاقتداء بهدي رسوله ﷺ.

المطلب الثاني: من صفات المهاجرين التي تدل على صدقهم في دينهم.

من هم المهاجرون؟

المهاجرون والأنصار هم أصحاب رسول الله ﷺ وتلاميذه، وهم أفضل هذه الأمة، بل أفضل البشر عمومًا بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام[١].

سبب تسميتهم بالمهاجرين:

هم الذي أسلموا قبل فتح مكة وهاجروا إلى الرسول ﷺ في المدينة واستوطنوها، وتركوا بلادهم وأموالهم وأهليهم، رغبة فيما عند الله، وابتغاء مرضاته، ونصرة لهذا الدين[٢].

فليست هجرتهم للراحة أو الاستجمام من عناء طال صبرهم عليه، ولا هي فرصة للترويح عن النفس بالسير في الأرض، والاطلاع على عوالم جديدة لم تتح لهم فرصة الاطلاع عليها، ولكنها في الحقيقة عناء يضاف إلى عنائهم وجهد يتحملونه فوق طاقاتهم، ووحشة تضاف إلى ما هم فيه من غربة في بلادهم، فالهجرة انتقالٌ من الوطن إلى أرض جديدة؟ ومن يضمن للمهاجر

---

(١) من هم المهاجرون والأنصار؟ www.islamqa.info، 19-7-2014، اطّلع عليه بتاريخ ١٢-٢-٢٠٢١م.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه.

السعادة والأمن في تلك الأرض الجديدة؟ أليس في الهجرة مفارقة الأحباب والخلان؟ ومن يكفل للمهاجر من يعوضه عن أحبابه وخلانه، وأنى للمهاجر الاستقرار والأنس وهو غريب شريد؟[١]

دوافع الهجرة لأصحاب رسول الله ﷺ وغايتها:

يقول الله تباركت أسماؤه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحشر:٨]، و "فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَصْفٌ شَامِلٌ لِلْمُهَاجِرِينَ فِي دَوَافِعِ الْهِجْرَةِ، أَنَّهُمْ: يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، وَغَايَتُهَا، وَهِيَ: وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْحُكْمُ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ: أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[٢].

من صفات المهاجرين من خلال سورة الحشر:

١. الفقر: وهي أوّلُ صفةٍ للمهاجرين، دلّت عليها الآية الكريمة في قوله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ)، فقراء المهاجرين: هم الذين اضطرهم كفار مكة إلى الخروج منها، وإلى ترك أموالهم وديارهم فيها، طلبا لمرضاة الله وفضله ورزقه في الدنيا، وثوابه ورضوانه في الآخرة، ونصرة الله تعالى ورسوله ﷺ بمجاهدة الكفار، وإعلاء كلمة الله ودينه[٣]، وقد كانت لهم بيوت، وكان لديهم أموال، وأولاد، وأهل، لكنهم تركوها وأخرجوا منها كلها، فأصبحوا فقراء، وهذه الصفة تبيّن أن المهاجرين أكثر تضحية من الأنصار؛ لأن الأنصار واسوا إخوانهم المهاجرين ببعض أموالهم، وممتلكاتهم، وهم مستقرّون في ديارهم؛ لكن المهاجرين لم ينزلوا عن بعض أموالهم فقط، بل تركوها كلها.
٢. الهجرة: وهي ثاني صفة للمهاجرين دلّت عليها الآية الكريمة في قوله تعالى: (الْمُهَاجِرِينَ).
٣. الخروج من ديارهم وأموالهم: وهي ثالث صفة للمهاجرين دلّت عليها الآية الكريمة في قوله تعالى: (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)، أي: أن كفار مكة المكرمة هم الذين أحوجوهم للخروج منها، تاركين فيها ديارهم وأموالهم.

---

(١) انظر: الهجرة النبوية دراسة وتحليل– د. محمد السيد الوكيل– ص١٦٩.

(٢) أضواء البيان– محمد الأمين الشنقيطي– ٤٢/٨.

(٣) انظر: التفسير المنير– د. وهبة الزحيلي– ٨٣/٢٨.

٤. ابتغاء فضل الله ورضوانه: وهي رابع صفة للمهاجرين دلّت عليها الآية الكريمة في قوله تعالى: (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)، والمراد بالفضل الذي يرجونه هو: أن يكون ثوابهم الجنة، والمقصود بالرضوان، هو الرضوان الوارد في قوله تعالى: (وَرِضوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكبَرُ).
٥. نصرة الله العظيم ورسوله الكريم: وهي خامس صفة للمهاجرين دلّت عليها الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)، والمقصود أنهم ينصرون الله تعالى ورسوله ﷺ بأنفسهم وأموالهم.
٦. الصدق: وهي سادس صفة للمهاجرين دلّت عليها الآية الكريمة في قوله تعالى: (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)، والمقصود إنهم صادقين في دينهم بدليل أنهم هجروا متاع الدنيا، وتحمّلوا الشدائد من أجله صادقين القلوب وصادقين الألسنة وصادقين الأعمال، وأمرنا الله تباركت أسماؤه أن نكون معهم.

المطلب الثالث: الإنفاق والصدقة لها أثر عظيم على النفس والمجتمع.

أعطى ﷺ كماً هائلاً من الأحاديث التي تشجع على الأخوة، وترفع من أجرها بين صحابته الكرام، ومنها الْإِنْفَاقُ مِمَّا يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ وَيَحْرِصُ عَلَيْهِ، وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢]، وقد جَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَحْتَ ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ **(رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ»)**[١].

وَمِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا أنه تم بدون منة من الأنصار، وبأدب من المهاجرين كانت الطائفتان تفعلان ذلك الأمر وهما يرجوان من الله ﷺ أجراً وثواباً وجنة عن الأخوة في الله، فرفعوا من قيمة الأخوة في قلوبهم، وبالتالي كان لها أثر فعال حقيقي واقعي في حياتهم، أذاب كل الفوارق بينهم فالمهاجرون والأنصار أمة واحدة.

والْإِنْفَاقِ فِي الْقُرْآنِ مراتِب ثَلَاثَة:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الأذان- باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد- ١٣٣/١- حديث رقم (٦٦٠).

المرتبة الأولى: الإنفاق من بعض المال بصفة عامة، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

المرتبة الثانية: الإنفاق مما يحبه الإنسان ويحرص عليه، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الإنسان:٨]، وَهَذَا أَخَصُّ مِنَ الْأَوَّلِ.

المرتبة الثالثة: الإنفاق مع الإيثار على النفس، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:٩]، فَهِيَ أَخَصُّ مِنَ الْخَاصِّ الْأَوَّلِ.

وَتُعَدُّ الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى هِيَ الْحَدُّ الْأَدْنَى فِي الْوَاجِبِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَا الزَّكَاةُ، وَهِيَ تَشْمَلُ النَّافِلَةَ، وَتَصْدُقُ عَلَى أَدْنَى شَيْءٍ وَلَوْ شِقِّ تَمْرَةٍ، وَتُعَدُّ الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ الْحَدُّ الْأَقْصَى؛ لِأَنَّهَا إِيثَارٌ لِلْغَيْرِ عَلَى خَاصَّةِ النَّفْسِ، والمرتبة الثانية هي الوسطى بينهما، وهي الحد الوسط بين الاكتفاء بأقل الواجب، وبين الإيثار على النفس وهي ميزان التوسط لعامة الناس[١].

وللإنفاق جوانب متعددة، وأحكام متفاوتة، وتنحصر في الآتي: نوع ما يقع منه الإنفاق، الجهة المنفق عليها، موقف المنفق، وصورة الإنفاق.

- أما ما يقع منه الإنفاق: فقد بينه تعالى أولًا من كسب حلال؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[البقرة:٢٦٧].
- أما الجهة المنفق عليها: فكما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢١٥]، فبدأ بالوالدين برًّا لهما ، وثنى بالأقربين[٢].

---

(١) انظر: أضواء البيان– محمد الأمين الشنقيطي– ٤٦/٨، ٤٧.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

وقال ﷺ: (**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**)[1]، ثم اليتامى وهذا واجب إنساني وتكافل اجتماعي؛ لأن يتيم اليوم منفق الغد، وولد الأبوين اليوم قد يكون يتيمًا غدًا، أي: أن من أحسن إلى اليتيم اليوم قد يترك أيتامًا، فيحسن عليهم ذلك اليتيم الذي أحسنت إليه بالأمس.

وجاء بالقاعدة العامة التي يحاسب الله تعالى عليها ويجازي صاحبها، (وما تفعلوا من خير) أي: مطلقًا؛ فإن الله به عليم، وكفى في ذلك علمه تعالى.

- أما موقف المنفق وصورة الإنفاق: فإن هذا هو سر النفقة في الإسلام، وفلسفة الإنفاق كلها تظهر في هذا الجانب، مما تميز به الإسلام دون غيره من جميع الأديان أو النظم؛ لأنه يركز على الحفاظ على شعور وإحساس المسكين، بحيث لا يشعره بجرح المسكنة، ولا ذلة الفاقة.

ثم فاضل بين الكلمة الطيبة والصدقة المؤذية في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة:٢٦٣].

وأَفْهَمَ المنفقين أن المن والأذى يبطل الصدقة؛ لما فيه من جرح شعور المسكين، وحثَّ على إخفائها إمعانًا في الحفاظ على شعوره وإحساسه في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة:٢٧١]، (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) أي: مع الآداب السابقة، (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)، أي: لكم أنتم في حفظ ثوابها.

ومن خصائص الإسلام في هذا الباب أنه كما أدب الأغنياء في طريقة الإنفاق فقد أدب الفقراء في طريقة الأخذ، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه- أبواب الزكاة- باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة- ٣/٣٨- حديث رقم (٦٥٨)، حكم الألباني: صحيح.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣][١].

المطلب الرابع: المحبة والكرم والإيثار صفة من صفات الأنصار.

أقام الإسلام المجتمع المدني على أساس الحب والتكافل، وتكفلت تعاليم الإسلام بتدعيم هذا الحب وإشاعته في المجتمع، ففي الحديث النبوي **(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)**[٢]، فيعيش المؤمنون بعيداً عن الأثرة والاستغلال وهم يتعاونون في مواجهة أعباء الحياة.

وعلاقات المؤمنين قائمة على الاحترام المتبادل؛ فلا يستعلي غني على فقير، ولا حاكم على محكوم، ولا قوي على ضعيف، كما قال ﷺ: **(بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ)**[٣].

وقد تفتر العلاقة بين المسلم وأخيه أو تنقطع ساعة غضب؛ لكن انقطاعها لا يستمر فوق ثلاث ليال[٤].

وظاهر النصوص تدل بمفهومها أن صفة الإيثار خاصة بالأنصار لم يشاركهم في هذه الصفات غيرهم:

ولكن في الآيات ما يدل على مشاركة المهاجرين الأنصار في هذا الوصف الكريم، وهو الإيثار على النفس؛ لأن حقيقة الإيثار على النفس هو بذل المال للغير عند حاجته مقدمًا غيره على نفسه، وهذا المعنى بالذات سبق أن كان من المهاجرين أنفسهم المنصوص عليه في قوله

---

(١) انظر: أضواء البيان- محمد الأمين الشنقيطي- ٤٦/٨-٤٨.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الإيمان- باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه- ١٢/١- حديث رقم (١٣).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب البر والصلة والآداب- باب تحريم ظلم المسلم...- ١٩٨٦/٤- حديث رقم (٢٥٦٤).

(٤) انظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدِّثين في نقد روايات السيرة النبوية- د. أكرم ضياء العمري- ٢٥٣/١.

تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾[الحشر:٨]، فكانت لهم ديار، وكانت عندهم أموال وأخرجوا منها كلها، فلئن كان الأنصار واسوا إخوانهم المهاجرين ببعض أموالهم، وقاسموهم ممتلكاتهم، فإن المهاجرين لم ينزلوا عن بعض أموالهم فحسب، بل تركوها كلها: أموالهم، وديارهم، وأولادهم، وأهلهم، فصاروا فقراء بعد إخراجهم من ديارهم وأموالهم، ومن يخرج من كل ماله ودياره، ويترك أهله وأولاده لا يكون أقل تضحية ممن آثر غيره ببعض ماله، وهو مستقر في أهله ودياره، فكأن الله عوضهم بهذا الفيء عما فات عنهم[١].

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله: أنه ﷺ قال للأنصار ما يشعر بهذا المعنى، وهو قوله ﷺ: إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم، فقالوا يا رسول الله! أموالنا بيننا قطائع الحديث، فقال رسول الله ﷺ: أو غير ذلك، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر، قالوا: نعم يا رسول الله[٢].

أي أن الأنصار عرفوا ذلك للمهاجرين، فقد استوى المهاجرون مع الأنصار في هذا الوصف المثالي الكريم، وكان خلقًا لكثيرين منهم بعد الهجرة، كما فعل الصديق ﷺ حين تصدق بكل ماله، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال ﷺ: أبقيت لهم الله ورسوله، وكذلك عائشة الصديقة رضي الله عنها حينما كانت صائمة، وليس عندها سوى قرص من الشعير، وجاء سائل، فقالت لبريرة: ادفعي إليه ما عندك، فقالت لها: ليس إلا ما ستفطرين عليه، فقالت لها: ادفعيه إليه، ولعلها أحوج إليه الآن، أو كما قالت[٣].

ولما أقام رَّسول الله ﷺ نظام المؤاخاة ربط الأمَّة بعضها ببعض، على أساس الإخاء الكامل بينهم، هذا الإخاء الَّذي تذوب فيه عصبيَّات الجاهليَّة، فلا حَميَّة إلا للإسلام، وتسقط به فوارق النَّسب، واللَّون، والوطن، فلا يتأخَّر أحدٌ، أو يتقدَّم، إلا بمروءته، وتقواه، كفالة سريعة للمهاجرين عن طريق المؤاخاة.

وقد جعل الرَّسولُ ﷺ هذه الأخوَّة عقداً نافذاً، لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدِّماء، والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة، ولا يقوم لها أثرٌ، وكانت عواطف الإيثار، والمواساة،

---

(١) انظر: أضواء البيان- محمد الأمين الشنقيطي- ٤٣/٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم-٨/٧٠.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في سننه-كتاب المناقب-٥/٦١٤-حديث رقم(٣٦٧٥)، حكم الألباني: صحيح.

والمؤانسة تمتزج في هذه الأُخوَّة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال، والسَّبب الَّذي أدَّى إلى تقوية هذه الأُخوَّة بين المهاجرين والأنصار هو أنَّ أهل هذا المجتمع، ممَّن التقوا على دين الله وحده، نشَّأهم دينهم الَّذي اعتنقوه، على أن يقولوا، ويفعلوا، وعلَّمهم الإيمانَ، والعملَ جميعاً، فهم أبعد ما يكونون عن الشِّعارات الَّتي لا تتجاوز أطراف الألسنة، وكانوا على النَّحو الَّذي حكاه الله عنهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور: ٥١].

وبذلك الَّذي درج عليه المسلمون كفل البقاء، والاستمرار لهذه المحبة و الأخوَّة، الَّتي شدَّ الله بها أَزْرَ دينه، ورسوله ﷺ، حتَّى آتت ثمارَها في كلِّ أطوار الدَّعوة، طوال حياته ﷺ، وامتدَّ أثرها، فجمع كلمة المهاجرين والأنصار عند استخلاف الصِّدِّيق ﷺ دون أن تطوِّع لهم أنفسهم (أي: للأنصار) أن يحدثوا صدعاً في شمل الأمَّة، مستجيبين في ذلك لشهوات السُّلطة، وغريزة السَّيطرة؛ لذلك فإنَّ سياسة المؤاخاة بين المهاجرين، والأنصار نوع من السَّبق السِّياسيِّ: الَّذي اتَّبعه رسول الله ﷺ، في تأصيل المودة، وتمكينها في مشاعر المهاجرين، والأنصار، الَّذين سهروا جميعاً على رعاية هذه المودَّة، وذلك الإخاء؛ بل كانوا يتسابقون في تنفيذ بنوده، ولا سيما الأنصار، الَّذين لا يجد الكُتَّاب، والباحثون مهما تساموا إلى ذروة البيان، خيراً من حديث الله عنهم[1].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩]، ونلحظ في الآية السَّابقة: أنَّ الله تعالى شهد للأنصار ﷺ جميعاً، وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين بخمس شهادات:

١. تبوَّؤوا الدَّار، والإيمان من قبلهم.
٢. يحبُّون من هاجر إليهم.
٣. لا يجدون في صدورهم حاجةً ممَّا أُوتوا.

---

(١) انظر: دروس وعبر من الهجرة النبوية– علي بن نايف الشحود– ص٧١.

٤. ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

٥. ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون[١].

فجعل الأنصار الإيمان مستقرًا ووطنًا لهم، ومحبتهم إخوانهم المهاجرين، وترفعوا عن الجشع والطمع والحسد والحزازة، وإيثارهم المحتاجين على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة، واتصافهم بالجود والبعد عن الشح؛ لذا وصفوا بأنهم المفلحون الظافرون بما أرادوا.

وبالمهاجرين، والأنصار تكوَّنت للإسلام قاعدةٌ صلبةٌ من أصلب العناصر عوداً في المجتمع العربيِّ، بفضل الله أولاً، ثم بمحبة الأنصار لإخوانهم وبكرمهم وإيثارهم إخوانهم من المهاجرين[٢]، إنه الإيمان والحب والأخوة الصادقة... إنه الإيثار، خلق الإيثار الذي نحن بحاجة إلى تعزيزه في زماننا.

المطلب الخامس: صفة الإيثار مع وجود الخصاصة لها أثر عظيم على تعميق الحب في الله.

صفة الإيثار خلق عظيم، أعظم من قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[الإنسان:٨][٣]، ودرجة عالية جدًّا في كمال الإيمان أن يبذل الإنسان ما يحب مع حاجته إليه، وليتضح المعنى لا بد من معرفة نقيضها، وهو (الشح والبخل).

الشح: هو شدة الحرص على الشيء، والشح أشد من البخل؛ إذ إن الشح بخلٌ وزيادة طمع ونهم وحرص شديد، ففي الحديث: **(وَإِيَّاكُمْ والشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)**[٤] .

والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله[٥]، هذا نتيجة حالة نفسية احتلت القلب فأمرضته، فهو شحيح قبل حصوله، وبخيل بعد حصوله، فالبخل هو عبارة عن ثمرة الشح، فالشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فهو يسير في طريق الشح، ومَنْ لم يبخل فقد ابتعد

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي الصلابي- ٢/٢١١.

(٢) انظر: التفسير المنير- د. وهبة الزحيلي- ٢٨/٨٤.

(٣) انظر: أضواء البيان- الشنقيطي- ٨/٤٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده- مسند المكثرين من الصحابة- مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- ١١/٢٦- حديث رقم (٦٤٨٧)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده صحيح.

(٥) انظر: فوائد من الكتاب القيم لابن القيم الوابل الصيب بطريقة سؤال وجواب- غافل بن منوخ الرخيص- ص١٢.

عن طريق الشح، وذلك هو الصحيح، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:٩].

وفي التعبير عن السلامة من شح النفس وبخلها وحرصها في الآية الكريمة بلفظ الوقاية منه للإشارة الى أن الشح عدو راصد، يتربص بالنفس الإنسانية في أية لحظة يغفل فيها الإنسان عن حراسة نفسه منه، فإذا غفل الإنسان عن هذا العدو دخل على نفسه، واستولى عليها، فمن يوق بمعونة الله وتوفيقه شح النفس حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق: (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه، ومن ذلك الفوز بثواب الجنة والنجاة من النار[١].

والإيثار مصدر آثر يُؤْثِر إيثَارًا، بمعنى التَّقديم والاختيار والاختصاص، فآثره إيثارًا اختاره وفضله، ويقال: آثره على نفسه، والشيء بالشيء خصه به، والإيثَار في الاصلاح هو: "أن يقدِّم غيره على نفسه في النَّفع له، والدَّفع عنه، وهو النِّهاية في الأخوة"[٢]، ومنه قوله تباركت أسماؤه: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)، الْخَصَاصَةُ الِانْفِرَادُ بِالْحَاجَةِ أَيْ: وَلَوْ كَانَ بِهِمْ فَاقَةٌ وَحَاجَةٌ[٣]، ولا يراد في معنى الآية التساوي في الأكل والتشاح؛ لأن قوله عليه الصلاة والسلام: (**طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**)[٤] دليل على الأثرة التي كانوا يمتدحون بها والتقنع بالكفاية، وقد همَّ عمر بن الخطاب في سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: لن يهلك أحد عن نصف قوته[٥].

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- نخبة من علماء التفسير- د. مصطفى مسلم- ص٧٠، ٧١.

(٢) التعريفات- الجرجاني- ص٤٠.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- ٤/٤٠٦.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الأطعمة- باب طعام الواحد يكفي الاثنين- ٧/٧١- حديث رقم (٥٣٩٢).

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري- ابن بطال- ٩/٤٧١.

قال الحسن البصري (وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً)، يعني الحسد {مِمَّا أُوتُوا} قال قتادة يعني فيما أعطى إخوانهم[1].

وكان الأنصاري يستضيف أخاه من المهاجرين، وليس في بيته من الزاد إلا قوت صبيانه، فيؤثره على نفسه وعياله قائلًا لزوجه: نومي صبيانك واطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف، ونجلس معه إلى المائدة نوهمه أننا نأكل معه، ولا نأكل، ويجلسون إلى المائدة ويأكل الضيف وحده ويبيت الزوجان طاويين، ويغدو الأنصاري على النبي ﷺ فيقول له: **(لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ)** فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[2]، خصاصة أي تعب –جوع –فقر –احتياج –لا تجد شيء وتؤثر أخاك[3].

هؤلاء هم الأنصار..! هؤلاء هم أهل المدينة بسماحة نفوسهم وكرم أخلاقهم وجودهم، وهذه الدرجة لا يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا إذا وُقي شح نفسه، ولا تتصور أن الإيثار عندهم ﷺ لا يكون إلا في الأموال فقط؛ ولكن في الأرواح –أيضًا–، والأمثلة على ذلك كثيرة في سيرة الصحابة الكرام ﷺ أجمعين، وأما الجود بالنفس فكان منه لمحة في معركة اليرموك حكاها حذيفة العدوي بقوله: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي –ومعي شيء من الماء– وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إلى ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات ﷺ أجمعين[4].

بهذه الأخوة الإيمانية التي سكنت قلوبهم واستعمرتها مدح الله مواقفهم العظيمة في كتابه الكريم، وهذه درجة عالية جدًّا في كمال الإيمان، أن يبذل الإنسان ما يحب مع حاجته إليه، وهذه دعوة لجميع المسلمين بإخراج الشح من بيوتهم، ومن جيوبهم ليرزقوا سخاء النفس، ويتذوقوا حلاوة الإيثار لذة غريبة كلما أعطيت كأنك أنت الذي أخذت.

---

(١) انظر: أضواء البيان– محمد الأمين الشنقيطي– ٨/٤٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه– كتاب تفسير القرآن– باب قوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [الحشر: ٩]– ٦/١٤٨– حديث رقم (٤٨٨٩).

(٣) انظر: أسباب نزول القرآن– الواحدي– ص٢٨١.

(٤) انظر: موسوعة الأسرة المسلمة– علي بن نايف الشحود– ٤/٧٧٤.

ويبقى صنيع الأنصار منارَ هدايةٍ وإشعاعٍ للإنسانية في ظل تيه المطامع والأثرة والشحّ والإمساك ما أقبل ليلٌ، وأدبر نهارٌ، ودعي الناس للبذل والسخاء والإيثار.

نسأل الله أن يوصلنا لهذه الدرجات، وأن يقينا شح أنفسنا، وأن يُجملنا بحسن الخلق ويصرف عنا كل قبح وشر وسوء.

المطلب السادس: وجوب محبة الصحابة من المهاجرين والأنصار.

فَضْلُ المهاجرين والأنصار، والتَّابعين لهم بإحسان:

فَضْلُ المهاجرين: بيَّنت الآيات الكريمةُ في سورة الحشر، فضلَ المهاجرين على غيرهم، فهم لهم الدَّرجة الأولى، فقد اشتملت الآيات على أوصافهم الجميلة، وشهد الله لهم بالصِّدق، قال تعالى: **﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾**[الحشر:٨][1].

فَضْلُ الأنصار: وَضَّحَت الآيات فضلَ الأنصار، وقد وصفهم الله بهذه الصفات، قال تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾**[الحشر:٩]، فعندما دخل الإسلام بشاشة قلوب الأنصار ﷺ كانت منهم المواقف المشرفة الرائعة، التي كان لها الأثر الكبير في نصرة الإسلام والمسلمين، وقد ضرب الأنصار المثل الأعلى في الحب والإيثار لإخوانهم المهاجرين حين قدموا عليهم مهاجرين بدينهم، لا يملكون شيئًا، فقدم لهم الأنصار كل شيء، وقد كان إيثارهم شيئًا خياليًا لا يصدق.

فَضْلُ التَّابعين لهم بإحسان: وهم المتتبِّعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الدَّاعون في السِّرِّ، والعلانية لإخوانهم الَّذين سبقوهم بالإيمان، قال تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**

---

(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث- د. علي الصلابي- ٢/٢١٢.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]، وهكذا تحدَّثت السُّورة الكريمة عن صورٍ مشرقةٍ للمهاجرين، والأنصار، والتَّابعين لهم بإحسان.

لذلك فإنَّ حب أصحاب النبي ﷺ دينٌ يدين المسلم به، وقربى يتقرب بها إلى الله تعالى؛ إذ هو من أولى معاني الحب في الله وموالاة أهل الإيمان التي أمر الله ﷻ بها، ومنها محبة الصحابة من المهاجرين والأنصار، فحبهم في سويداء القلب.

كما أن محبتهم من أصول أهل السنة والجماعة المقررة لديهم حب صحابة رسول الله ﷺ الكرام، والذب عنهم وهو أصل من أصول الإسلام؛ لأنهم صحابة خاتم الأنبياء عليه السلام، وهم نقلة التشريع، وقد اختارهم الله سبحانه وتعالى لصحبة نبيه ﷺ رضوان الله عليهم جميعًا[١].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيْرًا، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ"[٢].

ومن ثمَّ قام العلماء ببيان عقيدة أهل الإيمان "عقيدة أهل السنة والجماعة" في أصحاب النبي ﷺ وذكروا ذلك في كتب العقيدة، وبينوا فضائلهم ومناقبهم، ووجوب محبتهم؛ فهم أعدل العدول وأولى الأولياء وخير الناس بعد أنبياء الله ﷻ، كما قال ﷺ: **(خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)**[٣].

ومن هذه الأقوال: قول أبي جعفر الطحاوي: "وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"[٤].

---

(١) انظر: تحفة الأخيار بمحبة الصحابة الأبرار- البنكاني- ص٦.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الجنائز- باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما- ١٠٣/٢- حديث رقم (١٣٩٢).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الشهادات- باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد- ١٧١/٣- حديث رقم (٢٦٥١).

(٤) انظر: تحفة الأخيار بمحبة الصحبة الأبرار- البنكاني- ص٢.

لذلك نهى رسول الله ﷺ عن سب أصحابه ﷺ، فقد قال ﷺ: **(لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ)**(١)، وقال ﷺ: **(لعن الله من سب أصحابي)**(٢).

وأفضل من ذلك كله مدحهم الله تعالى في كتابه، ورضي عنهم أجمعين. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

من أدلة وجوب محبة الصحابة الكرام ﷺ:

١. أن النبي ﷺ جعل حبه مرتبًا على حبهم، فمن أحب النبي ﷺ أحب أصحابه، ومن أبغضهم كان بغضه لهم من بغض النبي ﷺ، كما قال ﷺ: **(اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)**(٣).

٢. ومن أدلة وجوب محبة الصحابة الكرام ﷺ أن النبي ﷺ جعل حب الصحابة علامة الإيمان، وبغضهم علامة النفاق، قال ﷺ: **(آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ)**(٤)، فجعل محبة الأنصار علامة على الإيمان، وبغضهم علامة على النفاق.

٣. وحق المهاجرين في المحبة أعلى وأوفى وأعظم وأكبر؛ لأنهم أفضل من الأنصار منزلة وأعلى مقامًا، فقد جمع الله لهم الهجرة والنصرة وقدمهم ذكرًا في كتابه في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب أصحاب النبي ﷺ- باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا- ٨/٥- حديث رقم (٣٦٧٣).

(٢) صحيح الجامع الصغير- الألباني- ٩٠٩/٢- وقال حسن.

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه- أبواب المناقب- باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ- ٦٩٦/٥- حديث رقم (٣٨٦٢)- قال الألباني: ضعيف.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب مناقب الأنصار- باب حب الأنصار- ٣٢/٥- حديث رقم (٣٧٨٤).

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة:١٠٠].

٤. ومن موجبات محبة الصحابة ﭫ أن الله اصطفاهم فجعلهم أصحاب خاتم رسله وأنصاره، فذبوا عنه بأنفسهم وأموالهم، قال ابن مسعود ﭬ: **(إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ)**[(١)].

٥. ومن موجبات محبة الصحابة الكرام ﭫ لأنهم خير الناس، كما قال ﷺ: **(خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)**[(٢)].

٦. ومن موجبات محبة الصحابة ﭫ أن الله جعلهم حملة الشريعة، فهم الذين نقلوا القرآن والسنة، فعنهم تلقى الناس دين الإسلام.

٧. ومن موجبات محبة أصحاب النبي ﷺ أن الله ﻷ أثنى عليهم في كتابه ثناءً بالغًا في مواضع عدة، فأخبر أنه رضي عنهم، فقال ﻷ: **﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾**[الفتح:١٨].

٨. ومن موجبات محبة الصحابة ﭫ أن الله ﻷ اطلع على أهل بدر، فقال: **(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**[(٣)]، وكذلك قال النبي ﷺ في أهل بيعة الرضوان: **(لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا)**[(٤)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده- مسند المكثرين من الصحابة- مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه- ٨٤/٦- حديث رقم (٣٦٠٠)- قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده حسن.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الشهادات- باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد- ١٧١/٣- حديث رقم (٢٦٥١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب المغازي- ٧٧/٥- حديث رقم (٣٩٨٣).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم- باب من فضائل أصحاب

٩. ومن موجبات محبة الصحابة ﷺ ما وصفهم الله تعالى به من جميل الخصال وطيب الفعال.

١٠. نحب أصحاب رسول الله ﷺ، ومحبتهم ثابتة؛ لكنها متفاوتة بقدر ما لكل واحدٍ منهم من الصحبة، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[الحديد:١٠]، ويشهد لذلك ما قاله النبي ﷺ: **(إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتُهُ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ)**[(١)] [(٢)].

وأخيراً نقول: إننا نشهد الله ﷻ أننا نحب المهاجرين ونحب الأنصار، الذين أحب بعضهم بعضًا، وأحبوا ربهم، وأحبوا نبيهم ﷺ، وشهد لهم الله تعالى في كتابه، ونسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم، ويجمعنا بهم في جنات النعيم، وهكذا نقول: إن كل مؤمن بالله ورسوله لا بد أن تكون هذه من أصول دينه وإيمانه، أن يحب هذا الجيل الذي أحبه الله ورسوله، وألا يتكلم فيهم إلا بخير.

المطلب السابع: الأمر بضرورة الدعاء والاستغفار لمن سبقونا بالإيمان.

قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠].

هذه الدعوات هي في غاية الأهمية، ذكرها ربنا ﷻ لأهل الإيمان المخلصين من بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من التابعين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، دعوات تدلّ على المحبة والتآخي في قلوب المؤمنين؛ فإن حقوق المؤمن على المؤمن كثيرة، ومنها الدعاء له في غيبته: في حياته، وبعد موته، والاستغفار له الذي يعتبر من أعظم أنواع الذكر.

والله تباركت أسماؤه رتب المؤمنين من خلال سورة الحشر على ثلاث خلال:

= الشجرة- ٤/١٩٤٢- حديث رقم (٢٤٩٦)

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الصلاة- باب الخوخة والممر في المسجد- ١/١٠٠- ح(٤٦٦)

(٢) انظر مقال بعنوان (حب أصحاب النبي ﷺ)، تاريخ النشر: ١٢ جمادى آخر ١٤٤٠ هـ -الموافق ١٨ فبراير ٢٠١٩ م، https://almosleh.com/ الموقع الرسمي للشيخ الدكتور خالد المصلح.

المهاجرين، والأنصار، والتابعين الموصوفين بما ذكرهم هم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة، كان خارجًا من أصناف المؤمنين[1].

والناس على ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوؤوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل، وقال بعضهم: كن شمسا، فإن لم تستطع فكن قمرًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا مضيئًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا صغيرًا، ومن جهة النور لا تنقطع، ومعنى هذا: كن مهاجريًّا، فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريًّا، فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله، وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة؛ فأحسن ما نحن عليه أن نكون بهذه المنزلة التي بقيت[2].

دلائل نفهمها من هذه الآية:

أ- في هذه الآية دليل على وجوب الدعاء والاستغفار والمحبة للصحابة رضي الله عنهم أجمعين؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظًا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، ومن أبغضهم أو أبغض واحدًا منهم أو اعتقد فيهم شرًّا فلا حق له في الفيء.

ب- في الآية دليل على أن الترحم للسلف، والدعاء لهم بالخير، وترك ذكرهم بالسوء من علامة المؤمنين.

ت- في الآية دليل على الدعاء لهم، وإنما بدءوا في الدعاء بأنفسهم لقوله ﷺ: **(ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا)**[3]، فإذا كان هذا في أمور الدنيا ففي أمور الدين من باب أولى.

---

(١) انظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن- مجير الدين المقدسي- ١٤/٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- ٣١/١٨.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب الزكاة- باب الابتداء في النفقة بالأمس...- ٦٩٢/٢- حديث رقم (٩٩٧).

ث- في الآية دليل على الدعاء (وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا)، أي ويدعون الله ألا يجعل في قلوبهم حسدًا وحقدًا للمؤمنين جميعًا، فالحقد والحسد هما رأس كل خطيئة، وينبوع كل معصية، فهما يوجبان سفك الدماء والبغي والظلم والسرقة، وسائر أنواع الفجور.

ج- وفى الآية إيماء إلى وجوب محبة من تقدمهم من المؤمنين ومراعاة حقوقهم لإخوّتهم في الدين والسبق بالإيمان، (رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) أي ربنا إنك عظيم الرأفة بعبادك، كثير الرحمة لهم، فأجب دعاءنا.

ح- وفي الآية حثّ على الدعاء للصحابة ﷺ، وصفاء القلوب من بغض أحد منهم، ولمن سبقونا بالإيمان من بعدهم.

روي عن ابن عمر أنه سمع رجلًا وهو يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه: (لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ)، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، أفمنهم أنت؟ قال لا، ثم قرأ عليه (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، الآية، ثم قال هؤلاء الأنصار فأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ) الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال أرجو، قال: ليس من هؤلاء من سبّ هؤلاء[1].

روي أنَّ الأنصارَ اشتَدَّتْ عليهم السَّواني، فأتَوُا النَّبيَّ ﷺ لِيدعُوَ لهُم أو يَحفِرَ لهم نَهرًا، فأُخبِرَ النَّبيُّ ﷺ بذلكَ، فقال: لا يَسألوني اليومَ شيئًا إلَّا أُعطوه، فأُخبِرَتِ الأنصارُ بذلكَ، فلمَّا سَمِعوا ما قال النَّبيُّ ﷺ، قالوا: ادعُ اللهَ لنا بالمغفرةِ، فقال: **(اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)**[2].

رأي الباحثة بضرورة الدعاء والاستغفار لمن سبقونا بالإيمان:

إن هذا من فضائل الإيمان، وهو المرجو من عقد الأخوة، التي من واجباتها أن يدعو المسلمون بعضهم لبعض، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ، ومن سبقونا بالإيمان من علمائنا وشيوخنا الذي حرسوا الدين وحملوا هم الدعوة حتى وصلنا، وأن يحب بعضنا بعضاً، وأن ينتفع

(١) انظر: من لطائف وأسرار تفسير المراغي- عبد الرحمن القماش- ص٩٢٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه- كتاب الفضائل- باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم- ٤/١٩٤٨- حديث رقم (٢٥٠٦).

بعضنا ببعض، بسبب المشاركة في الإيمان، ولهذا ذكر الله تعالى في هذا الدعاء نفي الغل في القلب الشامل لقليله وكثيره، الذي إذا انتفى، ثبت ضده، وهو المحبّة بين المؤمنين.

المطلب الثامن: إخبار النبي بما حصل بين المنافقين واليهود دليل على صدق النبوة.

كتابٌ الله تعالى ينطقُ في كل آية بصدقِ رسالةِ النبيّ ﷺ وبيان نبوته وصدقه، ومن هذه الأدلة الباهرة، ما جاء في كتاب الله تعالى عن النفاق وحاله، وفضحه لأهله، وهو إعجاز غيبي عظيم، يؤكد نزول هذا الكتاب من عند الله تعالى؛ إذ كما قال الله تعالى: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾[النمل:٦٥][١]، ومن الأدلة المؤكدة لذلك:

١. إخبار القرآن بوجود النفاق والمنافقين في الدولة الإسلامية، منها قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾[التوبة:١٠١]، والآيات كثيرة.

٢. إخبار الله تباركت أسماؤه لرسوله ﷺ بأحوال المنافقين ومقالاتهم المتنوعة، مع أن رسول الله ﷺ لو لم يكن نبيًّا لما علِم ولا شعر أن هناك نفاقاً متستراً في المدينة، فإنه يرى أمامه مؤمنين وكافرين، فمن أين يشعُرُ بالنفاقِ لولا الوحي؟ فلولا أن الله جلى له أمرهم لطفًا به تعالى لما علم بسرائرهم أحد.

أ- ومن الأدلة على نبوة محمد ﷺ والوحي إليه، أن الاشتباه يخطئ ويصيب، أما هو – صلوات الله وسلامه عليه– لم يخطئ أبدًا فيمن أخبر عن إيمانه أو نفاقه من المسلمين، ومنها الإخبار عن صفات المنافقين كالتكاسل عن الصلوات والتثاقل عن الجهاد والتخلف عنهما؛ لأنه كان قادرًا –بوحي ربه إليه– من التمييز بن صادقي المؤمنين وكاذبيهم والأدلة على ذلك كثيرة منها: ما رواه ابن مسعود ﷺ عن الصلاة: **(وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ)**[٢].

---

(١) انظر مقال بعنوان (الإخبار عن المنافقين دليل على صدق الرسالة) أحمد رمضان حجازي، قسم الفيزياء–كلية العلوم–جامعة الكويت،https://quran-m.com/، نشر بتاريخ الثلاثاء/ديسمبر/٢٠١٩م. .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه– كتاب المساجد ومواضع الصلاة– باب صلة الجماعة من سنن الهدى– ١/٤٥٣– حديث رقم (٦٥٤).

٣. ومن أقوى الأدلة على نبوته ﷺ، إخبار الله تباركت أسماؤه لرسوله ﷺ بمكر المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أُبي بن أبي سلول، ويهود بني النضير في التآمر عليه ﷺ وقتله والتخلص منه، فلطالما المنافقون أعطوا لليهود في السر والخفاء عهد أنهم سوف يقاتلون معهم، وإذا قُتِلوا أو أُخرِجوا من ديارهم من قِبل الرسول والمسلمين سوف يخرجون معهم وينصرونهم، وتباطأ المنافقون عنهم و تبرؤوا منهم كالشياطين الذين يوقعون العبد بالمعصية، ثم يتبرؤون منه، فخافوا منكم أعظم مما يخافون الله، وقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، على مخافة الخالق، الذي بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع، بزعمهم الندم والحيرة فكان عاقبتهما أنهما في النار جميعا خالدين فيها(١)، فالكذب وصفهم، والغرور والخداع مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذبهم الله ﷻ واستولي عليهم الجبن، وتملكهم الفشل، وخذلوا إخوانهم، وهم أحوج ما كانوا إليهم، وإنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعًا لها(٢)، فإخبار الله ﷻ نبيه بكل ما دار بينهم، وأن الاتحاد بين اليهود والمنافقين إنّما هو اتحاد ظاهري، ليس في قلوبهم شيء منه، فهم مُتفرّقون قلوبهم واهنة، ليس فيها ذرّة إيمان حقّ، فمعرِفةِ النبي ﷺ بما عزموا عليه وفضح نياتهم لهو دليلٌ آخر على صدق النبوة.

وهنا يتبادر على الذهن سؤال: لماذا نجى النبيُّ مِن محاولةِ الاغتيال؟ وأينَ الإعجازُ في ذلك، وقد اغتيلَ كثيرٌ من أنبياءِ بني إسرائيل، أفيقدحُ ذلِكَ في نبوتهم؟ **الجواب:** أن الإعجازَ فيه من وجوه: **الأول:** أنه النبيُّ الخاتم، وأن الله تعهد بحفظِ دينِه وتبليغِ النبي له كله بحيثُ لا يأتي من يكمله بعدَه، فلم يرضَ الله له الاستشهادَ إلا بعدَ كمالِ الدينِ ونزولِ قوله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، وهذا الفرقُ بينه صلوات الله وسلامه عليه وبين من أكرمَهُم الله بالشهادة من الأنبياء السابقين. **الثاني:** أن الله تعالى تعهد بحفظه من الناسِ حتى تمامِ تبليغه؛ لقوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ

(١) انظر: نظم الدرر – البقاعي – ٥٣٣/٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ص٨٥٢.

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة:٦٧]. **الثالث:** أنه شَعَرَ بالمؤامرةِ عن طريقِ الوحي، وليسَ بِطُرقٍ أخرى، كما ينجو غير الأنبياءِ عليهم السلام عادة.

٤. إخبار القرآن بأحاديث أنفسهم: وهذا من العجب، فإنهم إن كانوا لم يظهروا على خلواتهم غريباً، فكيف علِم رجُلٌ من البشر بما في أنفسهم لولا الوحي. سبحان الله!

٥. وأي دليلٍ على صدق نبوته ﷺ بعد أن أخبر بأعيان رهطٍ منهم وأسمائهم واحداً واحداً لحذيفةَ ابنِ اليمانِ؟؟ أوَليستْ لنا عُقولٌ نهتدي بها إلى صحيح الأقوال وسقيمها؟ فكيف عرفهم بأعيانهم ونحنُ نرى أنَّ بلادنا المحتلة "فلسطين" المغدورة بالجواسيس قلما نكتشفُ أمرهم، بل في كثيرٍ من الأحيان لا نشعر بهم إطلاقًا، ولِماذا اختار رسول الله ﷺ هذه الأسماء بالذات على قائمة المنافقين؟؟ أبِناءً على عداوةٍ شخصية؟؟ هذا عبدُ الله بن أُبي بن سلول كان النبي ﷺ يوقره ويتمنى مودته للمسلمين واستغفرَ لهُ بعدَ وفاتِه حتى نُهيَ عن ذلك، إنّ هذه المودة كانت كفيلةً بألا يضعَهُ على القائمة –لو كان الأمرُ له– ولكنَّه موضوعٌ على قائمة النفاق، ونزلَ القرآنُ بالتصريح بنفاقه في أكثر من موضع.

٦. وكل ما قيل عن المنافقين، فلم لم يتجرأ أحدهم على دحض ذلك ولو نفاقًا؟ أليس هذا دليلٍ على صدق نبوته ﷺ، ولا نعلم أحدا جاء فأنكر ما رماه القرآن به أو قال للنبي: إني لم أقل كذا وكذا، وغايةُ ما كانوا يفعلونه أن يستغفروا كذباً من النبي عما أخبر القرآن أنهم فعلوه، لقد ألجمهم الباطل فالحق أبلج والباطل لجلج.

وما أكثرَ رُدودَ القرآنِ القوية على أهل النفاق!، ولو تقصينا في هذا الموضوع لأطلنا وخرجنا عن المقصود، ولعل فيما ذكرناه غُنيةٌ وكِفاية.

رأي الباحثة:

هذه بشرى للمسلمين بأن هؤلاء المنافقين لن يضروا المسلمين شيئًا؛ لأنهم ليسوا أهل عزيمة وليس لهم صبر على القتال، وليس لهم صبر على مفارقة الأهل ولا الأوطان وإنما هم كذبة، هم كاذبون في وعودهم واغترت بهم اليهود فكان مآلهم أن أجلاهم النبي ﷺ، ولهم عذاب الله والخزي يوم القيامة.

موقف رسول الله ﷺ تجاههم: "كانت سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، أنه أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَبْلُغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنَهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ"[1].

المطلب التاسع: الخلاف والفرقة والحقد والكراهية والغل سبب من أسباب تأخر النصر.

تكالب أعداء أمتنا الإسلامية من الكفار في هذه الأيام على إخواننا المسلمين في كل مكان، يقاتلونهم ويقتلوهم بشتى الوسائل والطرق التي لا تخطر على بال بشر، في الهند وميانمار والبوسنة والهرسك وسوريا والعراق وفلسطين المجاهدة الحبيبة وغيرها من الدول العربية والأوروبية، مخالفين بذلك كل الأعراف والقوانين الوضعية والمنزلة، لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة، ولا يراعون في ذلك حرمة ولا حدوداً ولا آداباً، ومن هنا كان لزاماً وواجباً على هؤلاء المسلمين المجاهدين أن يعملوا بهذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:١٩١]، وأن يترصدوا هؤلاء الكفار ويقاتلوهم ويقتلوهم حيث ثقفوهم، ولا تأخذهم بهم رأفة في دين الله.

وأشار القرآن الكريم إلى مواطنِ العبرة في هذه السورة، وإلى هذا التَّهديد الَّذي أعلنه لكلِّ مَنْ يسلك سبل المكر المزري، والحقد المستبدِّ، وقال: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[الحشر:٢].

ويظهر من الآية الكريمة الاعتبار بتجنُّب ما ارتكبه اليهود من الخلاف والفرقة والحقد والكراهية والغل والخيانة والغدر؛ حتَّى لا يحدُثَ للمسلمين نفسُ المصير الَّذي حدث لهم من الهزيمة، والذُّلِّ والهوان.

فمن حقوق الأخوة مجانبة الحقد، ولزوم الصفح، والعفو عن الإخوان، قال هلال بن العلاء: "جعلت على نفسي ألا أكافئ أحداً بشرٍ ولا عقوقٍ اقتداءً بهذه الأبيات:

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد– ابن القيم– ١٤٥/٣.

لمّا عَفَوتُ وَلَم أَحقِد عَلى أَحَدٍ ... أَرَحتُ نَفسِيَ مِن غَمّ العَداواتِ"[1].

وعَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: "مَنْ سَبَقَكَ إِلَى الْوُدِّ، فَقَدِ اسْتَرَقَّكَ بِالشُّكْرِ"[2].

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب حيث قال الله ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦]، وأيضًا كثرت النصوص في السنة المطهرة في تحذير أمتنا الإسلامية من الفرقة والاختلاف لعدة أسباب، منها:

١. أنها سبب الفشل والنكبات وتأخر المسلمين عن نصرة دين الله ﷻ.

٢. فرح شياطين الإنس والجن في افتراق المسلمين، واختلاف كلمتهم لا سيما الدعاة والمجاهدين منهم.

٣. انتشار الفتنة بين المسلمين والتنازع وبغي بعضهم على بعض بسبب الإعراض عن الدين.

٤. الوقوع في المعصية والآفات التي تسبب العجب والغرور بالنفس والاعتداد بها وازدراء آراء ومواقف الآخرين.

٥. الفرقة تجعل المسلمين يتخلون عن سنة المدافعة مع الباطل وأهل الفساد، فيعلو أهل الباطل عليهم ويحاربوهم ويقتلوهم في كل مكان.

قواعد لا بد لنا من الحرص عليها للنجاة من الخلاف والفرقة والحقد والكراهية والغل:

أ- الإخلاص وحسن القصد للمسلمين والدعاة خاصة وحرصهم على الاجتماع والائتلاف، اجتماع الكلمة ووحدة الصف فهي أصل من أصول النصر والتمكين، وكرههم للفرقة والاختلاف فهم أصل من أصول الهزيمة والفشل.

ب- الحفاظ على الجماعة أصل، فلا يضيع الأصل من أجل الفرع.

ت- نفي الهوى وحظوظ النفس اللذين هما من أكبر أسباب الفرقة والبغضاء.

---

(١) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة- ابن رضى الدين- ص٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه- ص٦٨.

ث- الفهم الصحيح لأحكام الدين وقاية من التفرق والاختلاف والفتنة، يقول ابن تيمية: "الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد"(١).

ج- التمسك بكتاب الله وسنة نبيه والاحتكام لهما، والعلم بعلم القواعد الشرعية، وفقه الموازنات ومقاصد الشريعة، وذلك للحاجة الماسة لهذا العلم في نوازل الزمان والتعارض بين المصالح والمفاسد ومآلات الأمور واختلاف المواقف باختلاف الحال والزمان والمكان، وكما قيل: ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، إنما العاقل من يعرف خير الخيرين وشر الشرين(٢).

ح- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان.

خ- التمسك بما أمر الله به فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر فالفتنة والاختلاف إما من ترك الحق وإما من ترك الصبر.

د- تراحم المسلمين فيما بينهم وتكافلهم وتآلفهم كما فعل رسول الله ﷺ بين الأنصار والمهاجرين، فبين الله تباركت أسماؤه أنَّ هذا يغيظ أعداء أمتنا الإسلامية في كل مكان.

ذ- مراجعة نياتنا والقيام لنصرة ديننا وحمية لله لا حمية للنفس وإظهار الغلبة وشفاء للغيظ والغلبة على الخصم.

ر- أن نبني علاقاتنا بإخواننا المسلمين مهما اختلفنا على الولاء والتراحم والتغافر والتناصح، دون أن يحدث هذا الاختلاف منابذة أو خصومة وعداوة.

ز- حسن الظن بين المسلمين وإقامة الأحكام والمواقف على العدل والإنصاف فيما بينهم.

س- السعي للإصلاح إن حصل فرقة أو خلاف تفسد الأخوة.

ش- ترسيخ مبدأ السماع من إخواننا المختلف معهم، و ليس الاستماع عنهم، لتفادي مشوشات النقل وخاصة من الخصوم أو الأقران، من سوء فهم أو الهوى أو الكذب أو عدم التثبت وغيرها، يقول الحافظ الذهبي في "ميزانه" في ترجمة الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ما نصه: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصرًا من

---

(١) الاستقامة- ص٣١.

(٢) انظر: مقالات منهجية في قضايا معاصرة- عبد العزيز الجليل- ص٣١٠.

الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذاك كراريس اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم"(١).

ص- مهما اختلف المسلمون فيما بينهم فإن التكفير واستباحة الدماء بينهم خط أحمر لا يجوز الوصول إليه.

ض- الجهاد عبادة عظيمة لله تعالى يحبها الله ﷻ، أما القتال بين المسلمين، فإنه مكروه مبغوض لله تعالى، فلا يجوز تقديم مرادات البشر، وما يحبون على مراد الله تعالى، وكل عبد يأتي يوم القيامة ربه ﷻ فرداً يجادل عن نفسه وليس معه أحد من متبوعيه مهما كان شأنهم عند الناس.

ط- التأني والحلم وعدم العجلة في اتخاذ القرار في المواقف وكثرة استخارة الله ﷻ واستشارة أهل العلم والتقوى والعقل والحكمة، خاصة إذا صدر الحكم من رموز العلم المتبوعين، ولئن يخطئ الرجل في التؤدة والتأني أهون من أن يخطئ في العجلة والطيش.

رأي الباحثة:

ما أحوجنا إلى هذه التوجيهات الربانية؛ لكي نرفع عن أنفسنا هذا الظلم والقهر ونبذ الخلاف والفرقة والبغضاء بيننا، التي جعلت أعداءنا يمكرون بنا ويعتدون على إخواننا المسلمين في كل مكان، وما أحوج أمتنا إلى الفئات المجاهدة الصابرة المرابطة على هذه الثغور الوعرة، وفي مواجهة هذه الأحزاب المتعددة المشارب والعقائد، ولكنها متحدة على استئصال شأفة هذا الدين وإبادة هذه الفئات المجاهدة عن آخرها، تلك أمنيتهم، وذلك هو هدفهم؛ ولكننا عندنا الخبر اليقين والصورة الكاملة وحقائق خفية لا يراها غيرنا، ولا يمكن أن يؤمن بها إلا من أشرب في قلبه حب الله ورسوله، والشوق إلى لقائهما، هناك في العالم الأخروي، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

---

(١) انظر: ميزان الاعتدال- الذهبي- ١/٢٥١.

المبحث الثاني

التوجيهات التربوية النفسية المستنبطة من مجاهدة المنافقين واليهود في ضوء سورة الحشر.

المطلب الأول: انتشار النفاق والمنافقين في المجتمع سبيل إلى الهزيمة وانتصار الأعداء.

النفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، واختلف علماء اللغة في أصل النفاق.

النِّفاق في اللغة: من النّفق، وهو السِّرْب في الأرض، والجمع أَنْفَاق[1]، وسُمّي المُنافق بذلك؛ لأنّه يُنافق كالدخول من جُحْرٍ، والظهور من جُحْرٍ آخرٍ، وكذلك فالمنافق يُعلن إسلامه، ثمّ يخرج منه على وجهٍ ومثالٍ آخرٍ، والنِّفاق بكسر النون؛ يُراد به فَعْل المُنافق، وعلى ما سبق فالنِّفاق هو؛ الدخول في الإسلام على وجهٍ، والخروج منه على وجهٍ آخرٍ[2].

النِّفاق في الشَّرع: إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد، أو هو الذي يستر كفره و يظهر إيمانه، و هو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به[3]، فالمُنافق هو مَن أظهر الحقّ أمام النّاس؛ ولكنّه في الحقيقة على باطلٍ من الفعل أو الاعتقاد، والنّفاق يُطلق على ما عليه من اعتقادٍ، أو فعلٍ، وقد ذكر الله تباركت أسماؤه عدداً من صفات ومناقب المنافقين في القرآن الكريم بغاية الحذر منهم، وعدم الالتفات لِما يرد عنهم من الشُبَه، فلم يتطرّق القرآن لذكر أشخاص وأعيان المُنافقين؛ فالأمر لا علاقة له بالأفراد، بل إنّما بالمنهج، والاعتقادات، والافتراءات.

وقد ابتليت الأمة الإسلامية بالعديد من المنافقين في الميادين المختلفة، وهم أشد على الأمة من أعدائها، وأخطرهم عليها، فهم يتلوَّنون حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق، بينما هم ذئاب في جلد بني الإنسان، ويظهر ذلك في مجال السياسة بشكل واضح، كما نشاهد بعض علماء السلطان، الذين يتقربون من الأنظمة المستبدة الظالمة في زماننا هذا، وهناك إعلاميون مأجورون فسدة يقلبون الحقائق، ويزورون التاريخ، يتصفون بهذه الصفات.

---

(١) انظر: لسان العرب- ابن منظور- ١٠/٣٥٨.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني- ص٥٠٢.

(٣) انظر: سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم- عبد العزيز بن ناصر الجليل- ١٦/٣٤.

ويعد انتشار النفاق والمنافقين زمن رسول الله ﷺ من أشد وأخطر الفتن التي تعرض لها المجتمع المدني على مر التاريخ، فكان منهم المؤامرات على الإسلام والمسلمين، ومحاولات للإيقاع بين المسلمين والتآمر على رسول الله ﷺ، وتقوية أعدائه عليه؛ ذلك لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون، فينخدع الناس بظواهرهم ولا يأخذون حذرهم منهم، وهذا بطبيعة الحال يهيئ للمنافقين الجو المناسب في المكر بالمسلمين والكيد لهم مما يؤدي إلى انهزام المسلمين وانتصار أعدائهم عليهم، من خلال:

- بث الخور والضعف في الصفوف.
- النفاق و المنافقين خطر على الجيوش؛ ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم، بل لزادوهم اضطراباً وفوضى، قال تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حتى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُون، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة، الآيات:٤٧-٤٩].
- الإسراع بين المسلمين بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذي، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۞ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة:٤٩]، وقال الرسول ﷺ: **(إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكُم بعدي كلُّ مُنافقٍ عليمِ اللِّسانِ)**[1].

من أسباب النفاق:

قد ابتلى الله الأمة الإسلامية بطائفة من المنافقين التي كان لها أثر كبير في الإفساد والتخريب وإشاعة الفوضى والاضطراب في صفوف المؤمنين، ومن هذه الأسباب:

---

(١) السلسلة الصحيحة- الألباني- حديث رقم (٢٣٩).

- مرض قلوب المنافقين سواء كانت أسبابه داخلية أو خارجية، نفسية أو مادية، وما انطوت عليه قلوبهم من التكذيب له سبحانه وبغض شرعه.

- عدم صدقهم مع الله تعالى وعدم وفائهم بما عاهدوه عليه.

- الحرص على الدنيا والرغبة فيها فهم أصحاب مصالح وزعامات فلما جاء الإسلام ظنوا أنه يحول بينهم وبين مطامعهم فكرهوه وحاربوه.

- الجبن أن يعترفوا بحقيقة ما يعتقدونه وأن يصرحوا بالكفر، فقادهم جبنهم الى أن يبقوا على كفرهم دون أن يعلنوا به خشية على أرواحهم وأموالهم، يقول البقاعي: "يخافون منكم على دمائهم خوفاً عظمياً يفرق همومهم فهو الملجئ لهم على الحلف كذباً على التظاهر بالإسلام"[١].

- ضعف إيمان المنافقين، واعتقادهم الفاسد بالله تعالى وصفاته وشرعه.

- جهل المنافقين بأحكام الشريعة الإسلامية.

- إرادة الشر المتأصلة في نفوس المنافقين.

- سوء أخلاق المنافقين، ومحاولة المنافقين القضاء على الدعوة الإسلامية، وصد الناس والدعاة عن الإسلام لتحقيق أطماعهم.

-حقد المنافقين على النبي ﷺ وعلى المسلمين.

فهذا أساس موقف المنافقين، وهو موقف يرتكز على ركيزة كبرى، وهي:
أنهم ليس عندهم من القوة ما يواجهون به الأحداث، وليس عندهم من الشجاعة ما يجعلهم يعتقدون عقيدة الحق ويتحملون ما يصيبهم في سبيلها من مشاق، حتى في أبسط العبادات كقراءة القرآن، فقد روي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نقل الحجارة يعني أهون على المنافقين من قراءة القرآن"[٢].

من آثار إيذاء المنافقين للنبي ﷺ وللإسلام والمسلمين على الفرد والمجتمع:

---

(١) نظم الدرر – البقاعي ٣/٣٣٤.

(٢) شعب الإيمان – البيهقي – ٢/٣٥٤.

١. إيذاء الرسول ﷺ يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى[1].

٢. يؤدي الإيذاء إلى سخط الله ﷻ على الشخص المؤذي.

٣. إيذاء المنافقين لرسول ﷺ سبب للعن؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[الأحزاب:٥٧].

٤. المنافق الذي يؤذي المسلمين يمقته الله، في الدنيا والآخرة ويمقته النّاس.

٥. يعيش المؤذي في المجتمع منبوذًا، يخاف النّاس أذاه، فيكرهون مخالطته ومصاحبته.

٦. إذا كثر المنافقون الذين يفسدون بين المسلمين في المجتمع، وسكت النّاس عنهم فسدت أحواله وآل إلى الزوال.

٧. يسبب إيذاء المنافقين العداوة والبغضاء، والتفرقة بين المسلمين.

٨. الإيذاء دليل على سوء أخلاق المنافقين، وانحطاط أنفسهم.

٩. بث طاقات سلبية في المجتمع، من خلال ترويج الأكاذيب والأخبار المبنية على مقاصد سيئة.

المطلب الثاني: تحالف المنافقين مع الأعداء وأثره الخطير على المسلمين في كل زمان ومكان.

لا أظن أنه قد حصل إجماع لأهل الباطل من المنافقين في التاريخ كله، لمحاربة أهل الحق، كما حصل في هذا الزمان، ولا بد لنا من معرفة لواقعنا؛ حتى نستطيع التغيير والدفاع عن عقيدتنا وديننا وإخواننا المسلمين في كل مكان، فالمطلوب منا أهل الإسلام، أن نتعظ بأعدائنا في تمسكهم الشديد بمبادئهم الباطلة والاستقامة على طريقتهم الخاطئة، ولنكن أفضل منهم في انتمائنا وإيماننا، وأفضل منهم في صبرنا واستقامتنا على ديننا وطريقتنا، وحينئذٍ يحق لنا أن ننتظر نصر الله ومدده، وتحقيق وعده لنا في الدنيا والآخرة.

وحينما تكون الدولة الإسلامية في بداية ازدهارها ونجاحها في تحقيق إنجازاتها على أرض الواقع، نجد انتفاش للمنافقين وأهل الباطل حقداً وحسداً من عند أنفسهم؛ لتثبيط عزائم الناس عن القيام والنهوض لنصرة الحق، فالمنافقين في هذا الزمن يتحالفون مع الطغاة؛ ليتمادوا

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب– ابن عادل– ٥٢/١٩.

في البطش والتكبر والإفساد في الأرض بلا حدود، من أجل تكريس هذا الإحساس في نفوس الناس وفي الواقع الفعلي، ومع مرور الزمن يظن هؤلاء الطغاة في قرارات أنفسهم، أنهم على الحق، وأن جرائمهم هذه إنما هي تطهير الأرض من الفساد وتحقيق الأمن للمواطن الصالح– حسب زعمهم– فيتحول المؤمنون المجاهدون الصادقون فتنة للذين كفروا، وفتنة في أعين المجتمع الغافل.

وقد أخبرنا الله تعالى عن المنافقين في عهد رسول الله ﷺ وتحالفهم مع اليهود في كل المواقف، ومنها تحالفهم مع يهود بني النضير، كعبد الله بن أُبي وأضرابه[١] حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم، عندما كان المنافقون كفارًا في الباطن صارت بينهم هذه الأخوّة لإخوانهم من أهل الكتاب، والمقصود باليهود يهود بني النضير، فإن عبد الله بن أُبي هو الذي قال لهم: اثبتوا ولا تخرجوا من دياركم، وسنقف معكم، ونعينكم وننصركم، ومصيرنا واحد، وأخبرنا الله تباركت أسماؤه في الآيات الكريمة حالَ المنافقين، ووضَّحتْ موقفَهم، وتحالفهم مع إخوانهم من اليهود، وكشفت –أيضًا– موقفهم من المسلمين، وموقف اليهود ونفسيَّاتهم[٢]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:١١–١٤].

فالآيات تدل على ما يأتي:

١. إن هناك مصادقة وموالاة ومعاونة في الظاهر بين المنافقين واليهود؛ بسبب أخوة الكفر، ورابطة الاشتراك في العداوة والكفر بمحمد ﷺ، فيقول المنافقون ليهود قريظة والنضير: نحن

---

(١) انظر: أحوال المنافقين– حمد التميمي– ص٧٧، ٧٨.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

معكم في الإقامة والقتال والخروج، ولا نطيع محمدا في قتالكم، والله شاهد على أنهم كاذبون في قولهم وفعلهم.

٢. كذَّب الله المنافقين أولًا على سبيل الإجمال، ثم أتبعه بالتفصيل، فأخبر بأن اليهود لو أخرجوا من ديارهم لم يخرج المنافقون معهم، وأنهم لو قاتلهم المؤمنون، ما نصر المنافقون اليهود ولا عاونوهم، ولفروا هاربين منهزمين.

٣. ذكر الله تعالى أحوال العلاقات المشبوهة بين المنافقين واليهود، فقد كان المنافقون في الظاهر من الأنصار؛ ولكنهم كانوا يوالون اليهود في السر، فصاروا إخوانهم في الكفر، وأصدقاءهم في معاداة المؤمنين، ومثل هذا الارتباط يتكرر في كل زمان، حيث نجد ضعاف الإيمان والنفوس وخونة الأمة الإسلامية يوالون أعداءهم، كما يعد بعض الناس غيرهم على المؤازرة في شيء، ثم يتخلون عنهم وقت الأزمة، ويعود سبب ذلك، إلى أنّ قلوبهم واهنة، ليس فيها ذرّة إيمان حقّ[١].

٤. هذه الآيات تدل على أن موالاة المنافقين للكفار تكون –غالبًا– حينما لا يكون فيه مباشرة خطر أو كلفة أو مشقة، كأن يكون بالكلام وبالأفعال التي لا خطر عليهم فيها كالكتابة والتجسس لهم ونحو ذلك؛ بسبب خوفهم وجبنهم وموالاتهم الكفار لأجل مصالحهم، فإذا شعروا بالخطر خافوا على مصالحهم وحياتهم، ولا يلبثون أن يفروا ويولوا الدبر[٢].

الدوافع التي حملت المنافقين على النفاق تختلف باختلاف الأحوال وباختلاف درجات النفاق والتي منها:

١. أنهم إخوانهم في الدين في الظاهر.

٢. أنهم ليسوا مع الحق، وإنما هم مع الأقوى، وقد علم عبر التاريخ من زمان النبي ﷺ وما بعده أن المسلمين هم الأقل في القوة المادية والعدد من الكفار؛ لأنهم يعتمدون على نصر الله لا عليها، فيرى ضعاف الإيمان من المنافقين أن الكفار هم الأقوى من حيث ذلك وهم الأعظم فيبتغون عندهم العزة.

---

(١) انظر: التفسير المنير– د. وهبة الزحيلي– ٩٦/٢٨.

(٢) انظر: أحوال المنافقين– حمد التميمي– ص٧٧، ٧٨.

٣. خوف الدوائر وغلبة الكفار على المسلمين في زمن، فتذهب بذلك حياتهم ومصالحهم فيرون مصالحهم مع الكفرة، وأنهم هم الذين يمكن أن يحفظوا مصالحهم، أو يروا أنهم يوفرون لهم مصالحهم، فيوالونهم بذلك.

٤. وقد يحملهم على ذلك خوفهم الشديد وجبنهم.

٥. وقد يحملهم على ذلك كرههم الشديد للمجاهدين وعدائهم لهم، فيميلون إلى صف الكفار بكلامهم وبأفعالهم فيوالونهم على المسلمين(١).

المطلب الثالث: من صفات المنافقين التي تدل على كذبهم.

لا شك أن سنة الله قائمة في عقاب المستكبرين من المنافقين، ممن دخلوا عميقاً في مستنقع الحقد، أصحاب النفوس الخسيسة، ناقضي العهود، المجبولين على الخديعة والمكر، فلهم الخسران في الدنيا والآخرة، فصفاتهم النتنة ظاهرة بجلاء، لا تُخطئها عقول ولا أفئدة ومنها ما ذُكر في سورة الحشر، وهي:

١. الجُبن والخوف، فهم دائمو التملّص من أية مواجهة مباشرة، فإذا ما أُجبروا على المواجهة فإنّهم لا محالةَ سيجبنون، ويفرّون صاغرين.

٢. فتنة الناس: فهم إذا خالطوا الناس فتنوهم وأثاروهم، ووسوسوا في صدورهم بما يوهن العزائم، ويوغر الصدور، ويثير الأحقاد.

٣. الخداع والمكر: فالمنافق يمتلك من صفات الخسة والخداع الكثير، فهم متآمرون وماكرون مكر السوء، يتصرفون بخبث حسب الظروف التي يقعون فيها، ويتسترون بالإيمان أمام المسلمين للنيل منهم والتحريض عليهم وإلحاق الأذى بهم، بينما يظهرون على حقيقتهم أمام أصدقائهم من الكافرين.

٤. كره الخير للآخرين: فالمنافق لا يحب إلا منفعته ولا يهمه غير ذاته الأمّارة بالسوء، فهو يريد لها النجاة وحدها، والعلو على غيرها، ولا يبغي أن يصيب الخير غيره؛ لأنه لا يحب غير نفسه، ولا يود الخير لأحد، ويفرح لما يصيب غيره من مصيبة، ويحزن لما يناله من خير.

٥. الكذب: الكذب في الاعتقاد والإيمان، الكذب في الفعل والتعامل، الكذب في القول والخطاب، كذب مع الله، وكذب مع الناس، وكذب مع النفس، فلا يتورع المنافقون أن يبذلوا الأيمان

---

(١) انظر: أحوال المنافقين- حمد التميمي- ص٧٧.

المغلظة يحلفون بها ليصدقهم الناس؛ لأن كلمة الله وعهده لا يساوي عندهم ما يبتغون من عرض الدنيا، ومن متاعها القليل.

٦. الطمع فيما لا يحق لهم: لا يعرف المنافق الحق، وليس من خلقه التسليم به، ولهذا نرى المنافقين في كل عصر أكثر الناس في التفنن والتحايل للحصول على ما يشتهون من غير وجه حق، بعيدًا عن السبيل المشروع، يصلون الى ما يريدون بالأساليب الملتوية، والسبل المعوجة، وفي عهد النبي ﷺ كان المنافقون يسعون للحصول على أموال الصدقات بما لا يستحقون.

٧. عدم الرضى بما قسم الله: فالمنافق يرى أنه أحق من غيره بالخير والفضل، وأنه يستحق من الجاه والأموال أكثر مما يمنح الله لغيره، وما دام المنافق لا يؤمن بالله؛ لأن النفاق والإيمان نقيضان لا يلتقيان، فأنى له أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وقسمته العادلة بين خلقه.

٨. الإفساد في الأرض: فالمنافقون يدّعون الإصلاح في الأرض بينما هم المفسدون الذين يثيرون في الأرض فسادًا وظلمًا، ويعملون على تخريب كل خير، وكل طيبة موجودة في الأرض.

٩. الغدر ونقض العهد: فهم لا عهد لهم ولا وعد، يعاهدون الله على فعل الخير، وفي ذات الوقت يبيّتون في القلب الكفر والفساد.

١٠. يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام: فهم في معاملاتهم وحلاوة ألسنتهم في الكلام تحسبهم مؤمنين، والله يكشف حالهم ويفضحهم إلى الأبد، فهم يظهرون الصلاح وحب الدعوة والجهاد؛ حتى يخترقوا صفوف المؤمنين ويصلوا الى مستويات متقدمة في التوجيه والتأثير، وهدفهم من الاختراق زعزعة الصف داخله، و بث الشقاق و الفرقة بين المسلمين، والاطلاع على خططهم و أسرارهم و إيصالها الى أوليائهم من الطواغيت و الكفرة فيعرضوا المسلمين و بلاد الإسلام للبلايا و المحن[1]، ولذلك خصص الله لهم سورة باسمهم في القرآن الكريم، واصفًا إياهم، وفاضحًا لحالهم، بقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون:١]، وغيرها من الصفات الدنيئة.

(١) انظر: التربية الجهادية في ضوء الكتاب والسنة– ص١٩١، ١٩٢.

وخلاصة القول: إن عاقبة المنافقين وخيمة، فما أقبح النفاق وما أسوأ نتائجه وعواقبه، إنه سبيل إلى الندامة والخُسْرَان، والهلاك والعذاب، ولا خلاص ولا نجاة إلا لمن تاب وأناب.

وقد خسر أهل النفاق، وضيّعوا أنفسهم، وضلّوا عن سواء السبيل، واستحقّوا بأفعالهم المشينة، وعقيدتهم الخبيثة، عداوة أهل الإيمان لهم، قال تعالى مُحَذرًا من عاقبة المنافقين بأن مأواهم النار وبئس المصير: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة:٦٨]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

فلنحَذر النفاقَ، ونجنّب أنفسنا خصالَ المنافقين، نصدُق إذا حدّثنا، ونوفي إذا وعدنا، ونؤد إذا أُتمنا، ونكُف أيدينا، ونكون على يقين أن الله مُطّلع على ظواهرنا وبواطننا، عليم بسرائرنا وهواجسنا، ما من غائبة في السماء ولا في الأرض إلا يعلمها، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

المطلب الرابع: خوف المنافقين واليهود من المسلمين أشد من خوفهم من الله دليل على عدم فقههم بقدرة الله وعظمته.

قوله تباركت أسماؤه: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[الحشر:١٣]، رهب: والرَّهْبَةُ: مَخافةٌ مع تحرُّزٍ واضطراب، ونقيضها: الرَّغْبَةُ، وهي السلامة من المخاوف، وقيل: الرَّهْبَةُ طول الخوف واستمراره، ومن ثَمَّ قيل للراهب: راهبٌ؛ لأنه يديم الخوف، وأصلُها من قولهم: جَملٌ رَهَبٌ، إذا كان طويل العظام مشبوحَ الخَلْق، وفي جَعْلِ الصدور مقرًّا للرهبة دليلٌ على تمكنها منهم، وإشارة إلى أنها رهبةٌ جِدُّ خَفيَّة، لا يعلمها إلا الله تعالى، وأن هؤلاء اليهود، مهما تظاهروا أمام المؤمنين بالبأس والقوة، فهم في قرارة نفوسهم يخافون المؤمنين خوفًا شديدًا[١]، و"الرهبة شدة الخوف كأنه خوف مع تعظيم، خوف شديد مع تعظيم لهذا المرهوب أو لهذا المخوف منه، تقول: هذا الشيء رهيب، هذا الشيء له رهبة، هذا مقام له رهبة، بخلاف حينما تقول: هذا شيء مخيف، وهذا يختلف عن كون الشيء مثلًا مرعبًا، غير رهيب"[٢]، فخوف بني

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني- ص٢٠٤.

(٢) لسان العرب- ابن منظور- ١٧٤٨/٣.

النضير منكم أعظم وأشد خوفًا وخشية من رهبة الله، وقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا، على مخافة الخالق، الذي بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع[١].

يخشونكم أعظم من خشيتهم لله تعالى، و ذلك الخوف وتلك المرهوبية لأسباب، منها:

١. أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته، والفقه هو علم خاص، يعني ما يحتاج إلى فهم يقال له: فقه، فهؤلاء لو عرفوا الله معرفة صحيحة بأسمائه وصفاته لما تعاظم المخلوق في قلوبهم حتى يصير خوفهم منه أعظم من خوفهم من الله تعالى[٢].
٢. أنهم قوم لا عقل عندهم، ولا لب، فإنهم لو كانت لهم عقول، لآثروا الفاضل على المفضول، ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، فبذلك يتناصرون ويتعاضدون، ويتعاونون على مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية[٣].
٣. ظنهم أن العذاب سيأتيهم من قبل المسلمين، ولم يقدروا الله حق قدره، فهم لذلك يستخفُّون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم، لجهلهم به ﷻ، ومن قلة فهمهم للخفيّات.

المطلب الخامس: قتال اليهود للمسلمين لا يكون إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر.

الْجُدُرُ، بِضَمَّتَيْنِ فِي قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ جَمْعُ جِدَارٍ، وَقَرَأَهُ ابن كثير وَأَبُو عَمْرٍو جِدَارٌ عَلَى الْإِفْرَادِ، وَالْمُرَادُ الْجِنْسُ تُسَاوِي الْجَمْعَ، ومُحَصَّنَةٍ مَمْنُوعَةٍ مِمَّنْ يُرِيدُ أَخْذَهَا بِأَسْوَارٍ أَوْ خَنَادِقَ.

وقُرِئَ بِالْقَصْرِ جَمْعُ قَرْيَةٍ، وَوَزْنُهُ وَقَصْرُهُ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ لِأَنَّ مَا كَانَ عَلَى زِنَةِ فَعْلَةٍ مُعْتَلِّ اللَّامِ مِثْلَ قَرْيَةٍ يُجْمَعُ عَلَى فِعَالٍ بِكَسْرِ الْفَاءِ مَمْدُودًا[٤].

هذه هي عقلية اليهود واستراتيجيتهم في التفكير منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، لا يثقون بأحد حتى بأنفسهم، وَلِهَذَا قَالَ الله تباركت أسماؤه: (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)، أَيْ: تَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَتَحْسَبُهُمْ مُؤْتَلِفِينَ، وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ غَايَةَ الِاخْتِلَافِ، ثُمَّ قَالَ عز من قائل: (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ) أَيْ: عَدَاوَتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ شَدِيدَةٌ[٥]، فبنى اليهود الجدر العازلة والمعاقل الحصينة

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن– السعدي– ص٨٥١.
(٢) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن– السعدي– ص٨٥٢.
(٤) انظر: تاريخ النشر: ١٦/ جمادى الأولى/ ١٤٣٤ https://khaledalsabt.com/موقع الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت.
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم– ابن كثير– ٨/٧٥.

والمستوطنات الآمنة منذ عقود، خوفاً ورهبةً من المسلمين، ولكن هذه الحصون والمعاقل لم تصمد في وجه الحق وطلاب الشهادة ورجال الجهاد في فلسطيننا الحبيبة، وصدق الله العظيم الذي كشف لنا حقيقتهم في كتابه الكريم، والذي للأسف لا يحفل به وبما يرشد إليه كثير من المسلمين، ولذلك يوقِعون الأمة في أزمات وانتكاسات ونكبات متكررة!

وقد رأينا في الحرب على غزة عام (٢٠١٤م) كيف أن الجندي الصهيوني المدرب والمحترف والمكدس بالسلاح، لا يقاتل إلا من داخل دبابة أو خلفها!

وهذا الخوف والرعب ليس من قوة الشباب والفتيان، بل هو الخوف والرعب من قوة الحق الإسلامي الذي إذا تحرك تحركت الدنيا لحركته، وهو الخوف والرعب من عاقبة الظلم والعدوان الذي يمارسونه في أرضنا الحبيبة فلسطين صبح مساء.

وأقام اليهود –أيضًا– جداراً عازلاً في الضفة الغربية من أجل سرقة الكثير من الأراضي الفلسطينية وحماية المستوطنات من بطولات الشباب وشجاعتهم، ومع ذلك، لم يستسلم الفلسطينيون للجدار وأبدع الكثير في تجاوزه واختراقه، وتأتي حكومة اليهود اليوم لتصنع جدارًا جديدًا في القدس، وتظن أن هذا سيحميها، ولكنهم لا يفقهون كما ذكر القرآن الكريم، فشدة رهبة اليهود من المسلمين، دفعتهم الى شدة التحصُّن لقتالهم إياهم، فهؤلاء اليهود لا يبرزون لقتالكم مجتمعين متفقين إلا في قرى محصنة بالقلاع والخنادق، يظنون أنها تمنعهم منكم، أو من وراء جُدُرٍ، يتسترون بها دون أن يبرزوا لمواجهتكم، فاليهود لا يمكنهم مقاتلة المسلمين وجهاً لوجه غالباً، وهم في قتال المسلمين حالتين: **الأولي:** أن يتحصنوا منكم بداخل قُراهم التي بالغوا في تحصينها، **أما الثانية:** فالخروج للقائكم وذلك يستلزم ترك القرى المحصنة ولما كانوا أجبن من ذلك، فقد كانت فكرة الجدار هي الأنسب لهم؛ لكي يتمكنوا من التحرك خارج حصونهم، وهذا يدل على:

أ– شدة جبنهم وخوفهم من المؤمنين فلا يقدر اليهود والمنافقون على مقاتلة المسلمين مجتمعين إلا في حصون محصنة بالخنادق والدروب، أو من خلف الأسوار والحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم، دون أن يبرزوا لمواجهتكم، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ مَصِيرِهِمْ إِلَى الْهَزِيمَةِ؛ إِذْ مَا حُورِبَ قَوْمٌ فِي

عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا: وَهَذَا إِطْلَاعٌ لَهُمْ عَلَى تطمين للرسول ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ وَدَخَائِلِ الْأَعْدَاءِ[1]، فدفعًا لهذا الشعور المتوارث في أجيالهم يلجؤون لاتخاذ الحصون المنيعة، والكهوف والمغارات، والجدر العازلة السميكة للتحصن بها، والعيش في حماها.

ب- التفرق والتشتت والكفر بينهم؛ ذلك أنهم لا عقل لهم يعقلون به أمر الله، ويدركون به نظم الحياة، ويعرفون أن الوحدة أساس النجاح.

ت- اليهود لا يمكن لهم أن يعيشوا آمنين مطمئنين ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٢]، فأما الحبل من الله فقد قطعوه بما فعلوه هم وأسلافهم من قتل للأنبياء، وتحريف لكتاب الله، وتكذيب لرسله، وأما الحبل من الناس فقد قطعوه بما جُبِلوا عليه من غدر وخيانة، وسَعْيٍ دائم بالفساد وللإفساد، ولهذا فهم يعيشون دومًا في خوف داخلي، ورعب يمتلك عليهم خلجات صدورهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، وفرقهم، وأيد الله ونصر عباده المؤمنين.

ث- يدل -أيضاً- على أنهم قوم لا يفقهون، أي في غباء وجهل، ولو فقهوا لعلموا أن الله سبحانه هو أولى بأن يخاف منه، ويخشى من الاعتداء على حرماته[2].

ج-فكرة اتخاذ اليهود الحصون المنيعة، والجدر العازلة في مواجهة أعدائهم، استلهموها من أفكار العهد القديم، وكانوا في الجاهلية يتفاخرون على قبائل الجزيرة العربية بأنهم أرباب الحصون المنيعة. وحصون يهود خيبر لا يزال صدى ذكراها يتردد عند الشعراء وأهل السير إلى يومنا هذا.

ح- وفي العصور الوسطى كان اليهود في روسيا هم أصحاب الأحياء المحصنة التي تجمعهم ويسمونها:(الفيتو)، لا يدخلها سواهم، ولا يعيش فيها إلا هم، وفي القرن العشرين من العصر الحديث كان اليهود هم أصحاب خط بارليف، وبناة الجدار العنصري العازل، والمستوطنات المحصنة على أرض فلسطين، وهي قلاع محصنة ذات أسوار محاطة بأسلاك شائكة، وجدر إلكترونية، ونقاط مراقبة، ودوريات تدور حولها على مدار الساعة، فكل مستعمرة صُمِّمت، لتكون بمنزلة قلعة حصينة، وقرية محصنة.

فالله قذف في قلوبهم الرعب، وألقى الهيبة في صدورهم، فالشجاع يجبن والعزيز يذل، إذا حارب الله ورسوله، بأسهم شديد بينهم، إذا قاتل بعضهم بعضًا، فأما إذا قاتلوا المؤمنين، لم يبق لهم ذلك

---

(١) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- ١٠٥/٢٨.

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن- عبد الكريم الخطيب- ٨٧٠/١٤.

البأس، تحسبهم في صورتهم مجتمعين على الألفة والمحبة، وحقيقة الأمر أن قلوبهم مختلفة، لا تستقر أهواؤهم على شيء واحد، وموجب ذلك الشتات:

١. هو انتفاء عقولهم، فهم كالبهائم لا تتفق على حالة واحدة، وهم بخلاف من وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[الأنفال:٦٣]، وهذه حال الجماعات المتخاذلة، وهي المغلوبة أبدًا في كل ما تحاول.

٢. لأنهم (قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ)، فسلب عنهم العقل، يرون الظاهر ولا يفقهون علم ما استتر عليهم، ولو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا.

٣. الآية الكريمة كناية عن مصير اليهود إلى الهزيمة؛ إذ ما حورب قوم في عُقْرِ دارهم إلا ذلُّوا، وهذا من أعظم الذم لهم، فهم لا يثبتون على قتال المسلمين ولا يعزمون عليه، إلا إذا كانوا متحصنين في القرى، أو من وراء الجدر والأسوار، معتمدين على حصونهم وجدرهم، فهم لا يقدرون على المواجهة المباشرة، وهذه حقيقة أيدتها التجارب والمشاهد الواقعية، وتاريخ اليهود وحاضرهم شاهد على ذلك.

٤. وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة اليهود، حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان، وفي أي مكان، بشكل واضح للعيان، ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في الأرض المقدسة بين المؤمنين المجاهدين، واليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة، ومن وراء الجدر، فإذا انكشفوا لحظة واحدة، ولُّوا الأدبار كالجرذان، حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء.. وسبحان الله العليم الخبير!

المطلب السادس: عاقبة المنافقين واليهود مثل عاقبة الشيطان والإنسان المطيع له.

إن مثل المنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم مثل الشيطان الذي سول للإنسان الكفر، فلما كفر تبرأ منه، مدعيا أنه يخاف عذاب الله، فكانت عاقبة المنافقين واليهود مثل عاقبة الشيطان والإنسان، حيث صارا إلى النار خالدين فيها على الدوام.

مآل المنافقين وحكمهم في الدنيا والآخرة:

- **حكمهم في الدنيا:**

في الدنيا: لهم أحكام المسلمين، فقد يقع المنافق في شعبة من شعب النِّفاق فيها حدٌّ من الحدود مثل: الرِّدَّة. فقد اعتبرها الشارع نفاقًا، وكالإفساد في الأرض له حدٌ مبيَّن في الكتاب والسنة، وكالسرقة والزنا وحدِ القذف، فهي جرائم يعاقب عليها الشرع، وهناك عقوبات تعزيريَّة، مثل:

١- عقوبة الوعظ، في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[النساء:٦٣].

٢-عقوبة التوبيخ (وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)، أي قولًا رادعًا.

٣-عقوبة التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الأحزاب:٦٠].

٤- عقوبة التشهير، كما في قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾[التوبة:٦٤].

٥- عقوبة حرمانهم من الاجتماع في مكان ما يكيدون فيه للمسلمين، أو بهدمه، كما قام رسول الله ﷺ بهدم مسجد الضِّرار، وتحريم الإقامة فيه، وقد دعاهم الله ﷻ في الدنيا إلى التوبة مرارًا، ولكنهم لم يرتدعوا، ودعاهم رسول الله ﷺ إلى الإنابة كثيرًا، ولكنهم أصروا على الباطل والشرِّ والرذيلة[١].

٦-أمر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بالقسوة عليهم، والشدَّة معهم، وامتهانهم، حطًّا من قدرهم، وردعًا لغيرهم، وألا يَحضر لهم جنازة، وألا يصلِّي على موتاهم، وألا يقوم على قبورهم[٢].

- **حكمهم في الآخرة:**

جميع أعمالهم باطلة، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال ابن القيم:" وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء:١٤٥]، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار؛ لأن

(١) انظر: هم العدو فاحذرهم- أسامة بدوي- ص١٠٤.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه- الصفحة نفسها.

الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين"[١].

المطلب السابع: المنافقون فيروس وطابور سادس ينشط في وقت الأزمات-رأي الباحثة.

شاع استعمال الطابور الخامس في عدد من وسائل الإعلام العربي، وهو عبارة عن قاموس من التآمر والمكيدة من خلال وجود عملاء محليين غير معروفين يشتركون في مؤامرة تدار على الوطن للقضاء عليه، ولم يعلموا أن الفايروس الحقيقي: هو الطابور السادس الذي يتخفى خلف الأقنعة المتعددة، ويطعنك في الظهر أثناء أزمات أمتنا الإسلامية والمسمى "المنافقون".

ولو تأملنا في تاريخ المسلمين قديماً وحديثاً، سنرى أنه ما من مأساة أو إنتكاسة أو محنة وقعت بالصف المسلم إلا وكان للمنافقين يدٌ فيها.

والله تباركت أسماؤه حين يخبرنا عن المنافقين في سورة الحشر وفي كل آية تتكلم عنهم في كتاب الله، لا يخبرنا تعالى عن ذلك لأنها قصة مضت وانقضت؛ لكنها حقيقة باقية، تعددت مسمياتها، واختلفت وسائلها، واتحدت في أهدافها وسماتها، فخطرهم الشديد على وحدة صفنا و حصانتنا أمام أعدائنا في زماننا هذا، يوجب علينا الحذر منهم و تحصين صفوفنا و جبهاتنا الداخلية من اختراقهم، فسماتهم ووسائلهم واحدة في كل زمان ومكان، فما يعملون عملاً من أعمالهم الفاسدة إلا ويضفون عليه من البهارج القولية والفعلية ما يُلبسه ثوب الإصلاح والخير وهو مجانب لذلك، يقلبون الحقائق ويسمون الأشياء بغير اسمها؛ ليطعنوا أمتنا الإسلامية في الصميم، والمتأخرون من المنافقين يسيرون على درب المتقدمين منهم، فيقول المتأخرون في يومنا هذا إنما أردنا المصلحة الوطنية، أو كسب الرأي العام العالمي، أو مراعاة للقوانين الدولية، أو مراعاة لأساليب متحضرة أو غير ذلك، فينشرون الشائعات التي لا تقوم على أساس الحقيقة، لإيقاع الضرر بأمتنا الإسلامية فينشرون الفساد ويشككوا المؤمنين في الحقائق الشرعية الثابتة، كتحكيم السنة بعد كتاب الله ، و تشكيك المؤمنين بنصر الله تعالى لعباده الصادقين، و السعي بين المؤمنين بالنميمة و الإفساد، و غير ذلك، فيستغلوا أوقات أزمات أمتنا الإسلامية و ضعفها فيغيرون الحقائق و ينفثوا سمومهم و أباطيلهم و مفترياتهم، و يخوفوا المؤمنين من أعدائهم

---

(١) الخلاصة في صفات المنافقين- علي نايف الشحود- ص١٣٢.

ويلقون الرعب في قلوبهم، ويثبطونهم عن الخير وأعمال البر والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيؤتى المسلمون من ضعف نفوسهم وتفريطهم في جنب الله.

مثل ما يفعلون الآن مع الدول العربية والإسلامية في أزمة انتشار فايروس كورونا، فكل هدفهم الآن يتلخص في تصدير حالة اليأس والإحباط والخوف والذعر من الفايروس، وبالتزامن وعلى الجهة الأخرى فئة أخرى منهم تحاول إقناع الناس بالتراخي والاستهتار وعدم اتباع معايير العزل والبقاء بالمنازل والبعد عن التجمعات لمنع نشر العدوى، هدفهم شيطاني يعكس أمراضهم النفسية، والآن يحاولون الانقضاض على الجيل الصغير الجالس بالمنازل الآن في حالة خوف من فايروس كورونا، فيرددون معلومات لا يعرفون مصدرها، أو ينشرون عبارات لا يفهمون معناها، أو يتفاعلون مع الذين يسيطرون على مواقع التواصل الاجتماعي؛ لتسميم أفكارهم؛ لأن هذه المواقع تم إنشاءها لهم ولتحقيق أهداف أسيادهم، فيصدق الكاذب و يخون الأمين، ليس هذا فحسب، فهم يستغلون الأزمة مستخدمين الفئات الموالية لهم من المنافقين لتشويه المنهج الإسلامي في حل الأزمات، فهل نعي أبعاد هذه المؤامرات على بلاد المسلمين؛ لنحذر أن نكون أداة تنفيذ لمخططاتهم من حيث لا نشعر؟!.

الفصل الثالث

التوجيهات التربوية الأخلاقية للمؤمنين

المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المبحث الأول

تقوى الله جماع كل خير

المطلب الأول: وجوب تقوى الله في أوامره ونواهيه ووجوب اتقاء عذاب الله.

كلمة عجيبة ارتبط بها الدين كله، اختصرت الدين كله بأوامره ونواهيه وصلاح النفس وفسادها وصلاح المجتمع وفساده كلمة (اتقوا الله)، وهي فعل أمر، أصل هذا الفعل: وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، قال الله ﷻ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾[الإنسان:١١]، فالتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفًا، حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه[(١)].

والتقوى في الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات؛ لما جاء في الحديث: **(الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ)**[(٢)].

الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره. يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء[(٣)].

وعلى ذلك الوقاية لا تكون إلا من خطر، ونحن في الدنيا على خطر عظيم لذلك نحن في أشد الحاجة إلى التقوى ولعظم شأنها، ولكون كل واحد منا، بل كل واحد من المسلمين في أشد الحاجة إلى التقوى والاستقامة عليها؛ لأن تقوى الله تعالى هي جماع كل خير، وملاك كل بر، وسبب كل خير في الدنيا والآخرة، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها، وأمر الله لأهل الإيمان بالتقوى وتكرار الأمر عليهم لهو أمر عجيب، والأعجب من هذا أن الله أمر نبيه بالتقوى في فاتحة سورة

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني- ص٥٣٠، ٥٣١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه- كتاب الإيمان- باب فضل من استبرأ لدينه- ١/٢٠- حديث رقم (٥٢).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لكلمة التقوى في القرآن الكريم- منى عباس باعبد الله وآخرون- ص٦.

الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[الأحزاب:١]، وهذا يدل على كمال عناية الله بنبيه ﷺ أن يأمره بالتقوى وأن يكرر عليه الأمر بها ووصية الله للمؤمنين، ووصية رسول الله ﷺ لأصحابه عندما قال ﷺ لرجل: (**أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ**)(١)، فالتقوى أمر مستمر لا ينتهي، أمر متجددٌ دائم ما دامت الروح في الجسد، وقد تكرر الأمر بالتقوى في القرآن في أكثر من مائة وستين موضعاً...!

وهذا يدل على أهميتها ومكانتها فهي وصية الله لخلقه، والله تباركت أسماؤه يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[النساء:١٣١].

السبيل الصحيح لمعرفة حقيقة التقوى:

حقيقة التقوى متوقفة على العلم بأحكام الدين؛ لأن الجاهل لا يعرف كيف يتقي الله ﷻ، فالعلم هو الأساس لبناء المثل الكامل للمؤمن الذي يريد التقوى، وكلمة التقوى جامعة لكل أنواع الخير(٢)، فالاجتهاد في طلب العلم والتفقه في الدين من جملة التقوى، وبذلك يحصل النور والهدى، وهما الفرقان؛ فالتقوى كلمة جامعة حقيقتها الإيمان والعمل الصالح.

ثمرات التقوى:

من ثمراتها نذكر –على سبيل المثال لا الحصر– ما يأتي:

١. سبب السعادة والنجاة وتفريج الكروب والعز والنصر في الدنيا والآخرة والنجاة من الشدائد وحصول الرزق الحلال؛ وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق:٣].

٢. الحفظ والحراسة من كيد الأعداء ومكرهم، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[آل عمران:١٢٠].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده– مسند أبي سعيد الخدري ﷺ– ٢٩٧/١٨– حديث رقم (١١٧٧٤)– قال شعيب الأرنؤوط في المرجع نفسه: إسناده ضعيف.

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لكلمة التقوى في القرآن الكريم– منى عباس باعبد الله وآخرون– ص١٩، ٢٠.

٣. يعطى العبد كتابه بيمينه يوم القيامة إذا استقام على التقوى وينجيه من النار، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[مريم: ٧٢].

٤. إصلاح العمل وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[الأحزاب: ٧٠].

٥. ومنها الإكرام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحُجُرات: ١٣].

٦. البشارة بكل خير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[يونس: ٦٤].

٧. سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة: ٢٧].

٨. يعطي الله تعالى صاحبها نورًا، نورٌ يميز به بين الحق والباطل، فرقانٌ يضيء به المسالك والدروب، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[الفرقان: ٢٧]، والفرقان هو بصيرة القلب، وكما أن العين تبصر كذلك القلب يبصر، فكيف سيكون بريق هذه البصيرة إذا كان الله هو من ينيرها لصاحبها...!

٩. تيسير العلم النافع: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٨٢].

١٠. محبة الله ومحبة ملائكته والقبول في الأرض: قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ٧٦].

١١.الحصول على البركاتُ من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:٩٦].

١٢.يرجح ميزان العبد يوم القيامة، ويعطى كتابه بيمينه، ويدعى إلى الجنة إذا استقام على التقوى.

١٣. حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[النساء:٩]، وفي الآية إشارةٌ إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعافٍ، إلى التقوى في سائر شؤونهم؛ حتى يحفظَ أبناءَهم، ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، والآيةُ تشعِرُ بالتهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أنَّ تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأنّ الرجال الصالحين يُحْفَظون في ذريتهم الضعاف، كما في آية: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[الكهف:٨٢]، فإن الغلامين حُفِظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما.

١٤. تكفير السيئات، وهو سبب النجاة من النار، وعظم الأجر هو سبب الفوز بالجنة: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾[الطلاق:٥].

١٥.المتقون هم الورثة لجنة الله: قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[مريم:٦٣].

١٦. تجمعُ بين المتحابين من أهلها حين تنقلب كل صدقة ومحبة إلى عداوة ومشقة: قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزُّخرُف:٦٧].

وغيرها من الخصال الحميدة التي تضمن لصاحبها في الدنيا السعادة والهناء، وكل خير منشود وفي الآخرة النجاة والمقام المحمود.

من دلائل آية التقوى من خلال سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحشر:١٨] ونذكر من هذه الدلائل:

أ- في هذه الآية الكريمة نداء للمؤمنين أن يتقوا الله سبحانه بتقديم الأعمال الصالحة التي يرضاها الله سبحانه؛ لأنها رصيدهم الحقيقي يوم القيامة.

ب- التأكيد على التقوى مرة ثانية؛ لأن الله سبحانه خبير بكل شيء، وبما يعمله ويقدمه المتقون ليوم القيامة؛ حيث لا يفوز إلا من اتقى الله سبحانه وعمل صالحًا يرضاه الله ورسوله[1].

موجبات التقوى من خلال الآية:

أ- الخوف من عدم القبول؛ لأن مُنية العامل أن يُقبل عند الله؛ لكن هذا القبول حصره الله في فئة معينة من الناس: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[المائدة:٢٧]، إذن التقوى معنى كبير، وميزان دقيق؛ فقبولك وقبول أعمالك مرتبط بالتقوى[2]...!

ب- أن ينظر كل واحد الي ما يقدم من اعمال هل هي من الصالحات أم من السيئات؟ ويسعى لتقديم الصالحات منها.

ت- التقوى باب لتفريج كربة العسر وكربة الفقر وكربة الظلم وكربة الجهل وكربة السيئات والمعاصي وكربة الشرك والكفر إلى غير ذلك.

ث- التقوى للفوز بالجنة والنجاة من النار، وللفوز بكل خير والنجاة من كل شر.

ج- للانقياد لأمر الله، والابتعاد عن نهيه والوقوف عند حدوده، فيعطي المسلم القيادة لربه فهو عبد مأمور، رضاه وأنسه ومحبته ونعيمه في امتثال أمر الله وترك نهيه، وعدم الغفلة عن ذلك.

ح- التقوى لإصلاح النفس وتزكيتها وتعريفها بربها وحملها على طاعته وإصلاح أمور المسلم مع من هم فوقه ومع من هم دونه.

---

(١) انظر: آيات التقوى في القرآن الكريم- حسين بن خلف الجبوري- ص٥٨.

(٢) انظر: وقفات تربوية- نجلاء السبيل- ص١٨.

خ- محاسبة العبد نفسه، وأنَّه ينبغي له أن يتفقَّدها.

د- أمر المولى ﷻ أفراد المجتمع المسلم بما يوجبه الإيمان، ويقتضيه من لزوم التَّقوى سرّاً وعلانيةً، ومراعاة ما أمرهم الله به من أوامره، وحدوده، وينظروا ما لهم، وما عليهم، وماذا قدموا من الأعمال، وهل تنفعهم، أو تضرُّهم يوم القيامة؟

المطلب الثاني: محاسبة النفس وتصحيح مسارها.

النفس بطبيعتها كثيرة التقلب والتلون، تؤثر فيها المؤثرات، وتعصف بها الأهواء والأدواء، فتجنح لها وتنقاد إليها، وهي في الأصل تسير بالعبد إلى الشر، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ**﴾[يوسف:٥٣]؛ ولذا فإن لها خطراً عظيما على المرء إذا لم يستوقفها عند حدها ويلجمها بلجام التقوى والخوف من الله، ويؤطرها على الحق أطراً، وهكذا ربَّى رسول الله ﷺ أصحابه الكرام حتى ارتبطت قلوبهم بالله، فكانوا أجسادًا في الأرض وقلوبًا في السماء، وما إن يحصل من أحدهم تقصير أو زلة إلا ويسارع في معالجة خطئه، ومعاقبة نفسه على ذلك، حتى لا تكاد تأمره إلا بخير، فكيف لنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه؟

إنه سؤال في غاية الأهمية، وللجواب عليه يقال: إن ذلك لا يكون إلا بتزكية النفس التي بين جوانحنا تزكية صادقة، ومحاسبتها محاسبة جادة؛ لكي نرتقي بها إلى مراتب الكمال البشري الذي أُمرنا بشحذ الهمم للوصول إليه، قال رسول الله ﷺ: **(الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ)**[١].

ومن هنا كان لزامًا على كل عبد يرجو لقاء ربه أن يطيل محاسبته لنفسه، وأن يجلس معها جلسات طوالاً، فينظر في كل صفحة من عمره مضت: ماذا أودع فيها، ويعزم على استدراك ما فات، ويعد العدة لسفره الطويل إلى الله تباركت أسماؤه العليم الخبير، فالقدوم عليه لا مناص منه ولا مفر عنه، ومن عقل وتبصر علم أن بعد هذه الحياة بعثا وحساباً، ومرتقى صعباً، المهبط منه إما إلى الجنة وإما إلى النار[٢].

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه- أبواب صفة القيامة والرقائق والورع- ٦٣٨/٤- حديث رقم (٢٤٥٩)- قال الترمذي في التعقيب عليه: حديث حسن.

(٢) انظر: محاسبة النفس ضرورة ملحة- عبد الله العسكر- ص٧-١٠.

ونظراً لأهمية محاسبة النفس كان لا بد لنا من وقفة لمعرفتها والوقوف عليها.

معنى المحاسبة لغةً: هي صيغة على وزن مفاعلة، فعليها حاسب، يقال: حاسبه محاسبة، وحساباً: ناقشه الحساب، وجازاه[1].

تعريف المحاسبة: قال الماوردي في معنى المحاسبة: "أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل"[2].

يقول الله تباركت أسماؤه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحشر:١٨]، هذه الآيات الكريمةُ أصلٌ شرعي في محاسبة العبد نفسه، وأنَّه ينبغي له أن يتفقَّدها، و أن يجعل الآخرة نُصْبَ عينه، وقبلةَ قلبه، وأن يهتمَّ بشأنها، ويجتهد في كثرة الأعمال الَّتي توصله إلى رضا الله ﷻ، ويزيل العوائق الَّتي توقفه عن السَّير نحو مرضاة الله، وهل يصلح ما قدمه أن يلقى الله به أو لا يصلح ، ولا شك أن المقصود والهدف من هذا النظر: أن يقوده ذلك إلى كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويبيض وجهه عند الله، وهذه في حقيقتها هي محاسبة النفس؛ لذلك قال ابن القيم رحمه الله: "فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولًا، ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانيًا"[3].

أمور تمنع أو تقلل من قيمة محاسبة الإنسان نفسه، منها:

١-المعاصي: سواء كان ذلك بفعل الكبائر أو بالإصرار على الصغائر فضرر المعاصي كبير يسبب الران على القلب، فإذا لم يحاسب العبد نفسه ويتوب تراكمت هذه الران وبقدر تراكمها تقل محاسبة العبد لنفسه حتى يصبح قلبه لا ينكر منكراً ولا يعرف معروفاً.

---

(١) انظر: محاسبة النفس ضرورة ملحة- عبد الله العسكر- ص١١.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه- الصفحة نفسها.

(٣) انظر: محاسبة النفس- عبد الرحمن العايد- ص٢.

٢-التوسع في المباحات وهذا التوسع يرغبه في الدنيا، ويقلل تفكيره في الآخرة، وإذا لم ينظر إلى آخرته، أو قل نظره إليها قلت محاسبته لنفسه.

٣-عدم استشعار عظمة الله وما يجب له من العبودية والخضوع والذل؛ فلو عرفنا لله حقه لأكثرنا من محاسبتنا لأنفسنا، ولقارنا بين نعم الله علينا وبين معاصينا، ولقارنا بين حقه علينا وبين ما قدمناه لآخرتنا.

٤-تزكية النفس وحسن الظن بها والذي يؤدي الى عدم التعرف على عيوبها، وإذا لم تكتشف الداء كيف ستعالجه.

٥-الانشغال بالدنيا وعدم تذكر الآخرة ولو وضعنا الآخرة نصب أعيننا لما أهملنا محاسبة أنفسنا[١].

ومع الانتصارات العظيمة الَّتي حقَّقها المسلمون بالقضاء على يهود بني النَّضير بفضل الله ونعمته، يأتي القرآن الكريم بعد هذه الحادثة؛ ليؤكِّد على معاني العقيدة، وأصولها، والتَّذكير باليوم الآخر، والاستعداد له، فيأمر المولى تباركت أسماؤه أفراد المجتمع المسلم بما يوجبه الإيمان، ويقتضيه من لزوم التَّقوى سرّاً وعلانيةً، ومراعاة ما أمرهم الله به من أوامره، وحدوده، وينظروا ما لهم، وما عليهم، وماذا قدموا من الأعمال، وهل تنفعهم، أو تضرُّهم يوم القيامة؟ فجاء التعبير القرآنيُّ بقوله ﷻ: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، فقرَّب الله تعالى القيامة حتَّى جعلها غداً، لقرب مجيئها، فلتنظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم؛ وذلك لأنَّ الغد آتي لا محالة، وكلُّ آتٍ قريبٌ[٢]، أو أنه عبَّر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد[٣].

المطلب الثالث: أسباب نجاة العبد المؤمن في الدنيا.

لا شك أن شكر النعم يزيدها ويديمها، وبذلك يدوم للعبد رزقه ويرفع البلاء عنه، قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا

(١) انظر: محاسبة النفس- عبد الرحمن العايد- ص٤.

(٢) انظر: التفسير الوسيط- محمد سيد طنطاوي- ٣٠٨/١٤.

(٣) الأساس في التفسير- سعيد حوى- ٥٨٢٦/١٠.

﴿عَلِيمًا﴾[النساء:١٤٧]، بل هذا من أسباب النجاة من عقاب الله في الدنيا والآخرة، فقطع النعم وزوالها من أسباب التعاسة والهلاك والتشرد والجوع، والوقوف بين يدي الله يوم القيامة أمر عظيم جليل، و الواجب على العبد العاقل الناصح لنفسه أن يهتم اهتمامًا عظيمًا، وأن يعنى عناية كبيرة بأمر نجاته يوم القيامة يوم الوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى، يومٍ عظيم ومقامٍ خطير يحاسَب فيه العباد على ما قدَّموه في هذه الحياة من خيرٍ أو شر؛ لذلك نهى الله تعالى عن التشبه بالذين أهملوا حقوق الله الواجبة على العباد، ولم يخافوا ربهم، فجعلهم ناسين أنفسهم بسبب نسيانهم لربهم، فلم يعملوا الأعمال الصالحة التي تنفعهم في المعاد، وتنجيهم من العذاب، فإن الجزاء من جنس العمل، وأولئك التاركون حقوق الله هم الخارجون الكاملون في الخروج عن طاعة الله، الهالكون يوم القيامة، الخاسرون يوم معادهم(١).

ومن أسباب النجاة التي لابد من كل عاقل أن يعرفها للنجاة بنفسه في الدنيا والآخرة:

١. توحيد الله وإخلاص الدين له جل في علاه.
٢. اتباع هدي النبي الكريم ﷺ ولزوم نهجه القويم.
٣. طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ، وخشيته جل في علاه، وتحقيق تقواه؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[النور:٥٢].
٤. من أسباب النجاة يوم القيامة فعل فرائض الإسلام وواجبات الدين والبُعد عن الآثام والحرام.
٥. من أسباب النجاة حفظ اللسان وصيانته، وتجنب الفتن، ولزوم البيوت عند اشتعالها، والندم على فعل الذنوب، والمبادرة إلى التوبة إلى الله ﷻ.
٦. من أسباب النجاة أن لا يغتر المرء بعمله وإن كثُر، بل ينبغي أن يكون دومًا وأبدا خائفًا راجيا، يأتي بأعماله صحيحةً قويمة ويجعلها بين الرجاء والخوف، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾[المؤمنون:٦٠].

(١) انظر: التفسير المنير – د. وهبة الزحيلي– ١٠٢/٢٨، ١٠٣.

٧. من أسباب النجاة صدق التوجه إلى الله وكثرة دعائه والإلحاح عليه، فإن النجاة بيده، ولا نجاة لعبدٍ إلا إذا نجَّاه الله، فإن الأمر كله بيد رب العالمين ﷻ، والدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة.

٨. كثرة الاستغفار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال:٣٣].

٩. عدم الغفلة عن ذكر الله، فيُنسيهم الله العمل لمصالح نفوسهم، فيصيرون من الفاسقين عن أمره الخارجين عن حدود دينه.

المطلب الرابع: في زمن ابتلاء العالم بفيروس كورونا أين أعمالنا الصالحة التي ادخرناها لندعو الله بها -رأي الباحثة-.

يقول بعض المفسرين: "انظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم"(١).

من تمام حكمة الله العزيز الحكيم العليم الخبير أنه يحصي علينا أعمالنا، ويكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، في اللوح المحفوظ؛ ليدفعنا إلى التطلع إلى رحاب الآخرة، وذلك أن العاقل يعمل لما هو باق ودائم، ويدع ما هو فان وزائل، والبعيد النظر يسعى لما هو خير وأبقى، ويزهد بما هو أقل وأدنى.

ومن كرم الله الحنان المنان أن دلنا على أبواب خير كثيرة نغترف منها كل حسب استطاعته؛ لندخر لأنفسنا من الأعمال الصالحة ليوم الوقوف بين يدي الله جل في علاه، والكل يدرك بأن الحياة الدنيا رحلتها قصيرة ويعزز ذلك في زمن جائحة كورونا، ورغم ذلك نتمسك بها، والكيس فيها من أتقن عمله وواءم بين حياتيه الدنيوية والأخروية، وربما سميت بالحياة الدنيا؛ لأن قيمتها بالنسبة للأخرة أدنى، رحلة الحياة كومض البرق، تمضي السنون من أعمارنا، ولا نعلم متى فراقها المفاجئ، والإعداد لساعة الصفر مطلوب لنبقى على أهبة الاستعداد.

وأن نعد العدة للسفر وأن يكون في جعبتنا من الأعمال الصالحة الكافية؛ لأن وزننا عند الله بوزن أعمالنا الصالحة، ولهذا فعلينا أن لا ندع خير قيد أنملة إلا وعملناه، عباداتنا وصلتنا

---

(١) انظر: آيات التقوى في القرآن الكريم- ص٣.

برب العزة أولاً، ورضا الله ووالدينا، وانعكاسها على أخلاقياتنا وتصرفاتنا اليومية وتعاملنا مع الناس هي الأهم.

مطلوب أن نحب للجميع كما نحب لأنفسنا، فالأنانية قاتلة، والعطاء هو الأقوى، مطلوب أن نتواصل مع من نحب ونتحسس هموم إخواننا المسلمين ومشاكلهم ونشاطرهم أفراحهم وأحزانهم، ونعطيهم ما نستطيع، الدنيا ساعة ممر لا مقر وهي فانية، والسمعة الطيبة رأس مالنا، وتسامحنا مع الآخرين وتصالحنا مع أنفسنا.

وقد يأتي شهر رمضان استثنائيًّا بامتياز، لم يمر على الأمة مثله، ونتمنى ألا يمر عليها في المستقبل شبهه بسبب حرمان الكثير من إعمار بيوت الله؛ بسبب هذا الفايروس الذي في ظاهره العذاب وفي باطنه الرحمة؛ لأنه أعاد الكثير منا الى إعادة ترتيب أولوياته وأعماله الصالحة وأوقظنا من سبات الغفلة.

وأخيراً: لذة الحياة في سمعتنا وصالح أعمالنا وعطائنا وتواصلنا وتسامحنا وفرحتنا وطيبتنا، وخير أعمالنا رسم الابتسامة على وجوه الاخرين وعطاء المحرومين ومساعدة الفقراء والأيتام والأرامل والمساكين، مطلوب منا الانشغال عن الوباء بأعمالنا الصالحة، والتفاؤل بالخير وحسن الظن بالله الرحمن الرحيم، فسوف تنتهي هذه الغمة، ويزول هذا الفيروس، وتعود حياتنا إلى أفضل من قبل بنفوس راقية وانضباط حياة جديد مليء بالأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة، فيجب أن لا ينضب عطاؤنا ونواءم بين عطائي الدنيا والاخرة؛ فهلّا بادرنا!.

المطلب الخامس: الحكمة من ذكر اسم الله الخبير.

أمر الله تباركت أسماؤه بالتقوى وتكرار الأمر بالتقوى في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحشر:١٨]؛ تأكيدًا، أي: اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير. قال النسفي: فيه تحريض على المراقبة من خلال:

١. أن من علم وقت فعله أن الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه[1].

(١) انظر: الأساس في التفسير – سعيد حوى– ٥٨٢٦/١٠.

٢. ولأن التقوى عمل قلبي وأبرز صفات القلب أنه يتقلب...! فجاء اسم الله الخبير في هذه الآية؛ ليناسب المقام، فقدم الخبرة، وهذه قاعدة عامة إذا كان الكلام عن عمل الإنسان يقدم العمل على الخبر، وإذا كان الكلام ليس عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام على الله سبحانه وتعالى يقدم الخبرة[1]، والخبير: هو الذي يعلم دقائق الأمور وبواطنها وخفاياها، وهذا فيه إشارة أن الله خبير بالتقوى التي في قلوبنا، خبير بحجمها، بحقيقتها، أين وصلتْ؟ وأين وصلنا بها؟ هل أنت من المتقين أم من المدعين للتقوى، لذلك جاء ختام الآية {والله خبير بما تعملون}.

المطلب السادس: من صفات الفاسقين الغفلة والنسيان ومعناهما.

خلق الله ﷻ الخَلْق، وأرسل إليهم الرّسل والأنبياء عليهم السلام؛ ليهديهم ويرشدهم، ويُخرجهم من الظّلمات إلى النّور، ومن الكفر والعصيان إلى نور الحقّ والإيمان، فيهديهم الأنبياء والرُّسل عليهم السلام بعد الضلال، ويبيّنون لهم ما أمرهم الله تعالى به؛ ليتّبعوه، إلّا أنّ بعض الخَلْق يأبون إلّا أن يظلموا أنفسهم، ويتّبعوا هوى نفوسهم وشهواتهم دون رادعٍ أو وازعٍ أو زاجرٍ، ودون النّظر إلى حُرُمات الله تعالى، ومن هؤلاء النّاس مَن وصفهم الله ﷻ بالفاسقين، فمن هُم الفاسقون، وما هي صفاتهم؟

نلاحظ أن الآيات بدأت بالأمر بالتقوى، ثم نهت عن نسيان حقوق الله، ثم وازنت بين الطائعين والعصاة، وكل ذلك لتأكيد الأمر بالتقوى وطاعة الله، فبعد إرشاد المؤمنين إلى ما فيه مصلحتهم يوم القيامة: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ)، وتهديد الكافرين بقوله ﷻ: (كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ، فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ)، أبان الله تعالى الفرق بين الفريقين، (أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، والمقصود منه الذم[2]، والفسق هو: الخروج عن طاعة الله، فيشمل الخروج من حدود الإيمان، وهو الكفر، ثم ما دون الكفر من الكبائر والصغائر؛ ولكنه اختص في العرف بارتكاب الكبيرة، ولم يسمع الفسق في كلام الجاهلية، بمعنى الخروج عن الطاعة فهو بهذا المعنى من الألفاظ الإسلامية[3].

---

(١) انظر: ملخص برنامج لمسات بيانية– د. فاضل السامرائي– تاريخ: ٢٠١٢/٨/٤م.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب– الرازي– ٢٩/٢٥٣.

(٣) انظر: التفسير الوسيط– محمد سيد طنطاوي– ٨٦/١.

وغفَل الرَّجلُ موضوعَ الدَّار التي لم تعجبه، غفَل عن الشَّيء، غفَل من الشَّيء: سها عنه من قلّة التيقُّظ، أهمله، نسيه "غفَل عن كلمة–لا تغفل الأمُّ عن ملاحظة ولدها–غفَل عن مصالحه واجباته[1].

والنسيان: من نسي (يَنْساه) نَسْياً (ونِسْياناً) ونِسايَةً، بكسْرهنَّ، والنِّسْيانُ: تَرْكُ الإِنْسانِ ضَبْط مَا اسْتُوْدِعَ إمَّا لضَعْفِ قَلْبِه وإمَّا عَن غَفْلةٍ أَو عَن قَصْدٍ حَتَّى يَنْحذفَ عَن القَلْبِ ذِكْرُه، وَفِي التَّهْذيب: أَي تَرَكُوا أَمْرَ الله فتَرَكَهم مِن رَحْمتَهِ[2].

من صفات الفاسقين التي نأخذها من معنى الغفلة والنسيان من خلال سورة الحشر:

١. نسيان شريعة الله، نسيان دين الله، ونسيان فرائض الله.
٢. ترك أمر الله، وإهمال حقوق الله والغفلة عنها، والانسلاخ عن الخير.
٣. عدم الخوف من الله.
٤. قسوة قلوبهم، وقلة تخشعهم عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره.
٥. نسيان حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة؛ بسبب نسيانهم لربهم ﷻ.
٦. ترك ذكر الله ﷻ وما أمرهم به فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ، فبمَعْرِفَة الإنسان لنَفْسِهِ يَعْرِفُ الله تعالى.
٧. لا يبادرون بالأعمال الصالحة التي تنفعهم في المعاد.
٨. خارجون عن طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ[3].
٩. الإفساد في الأرض، وارتكاب المعاصي والمنكرات التي تُغضب الله ﷻ.

المطلب السابع: من صفات المؤمنين الفائزين.

الحقيقة أن هذه الآية استوقفتني مراراً وشعرت أنني في مرحلة أستعد في نهايتها لامتحان صعب يحتاج إلى الكثير من الجهد والوقت والصبر، وفي النهاية لا بد من اجتياز اختبار، لأكون فائزة

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة– د. أحمد عمر– ١٦٣٠/٢.
(٢) انظر: تاج العروس– مرتضى الزبيدي– ٧٤/٤٠، ٧٥.
(٣) انظر: التفسير الميسر– نخبة من أساتذة التفسير– ص٥٤٨.

وسيترتب على ذلك درجات وليس درجة واحدة أتساوى بها مع غيري وهنا كانت المفاجأة أن الفوز –أيضًا– لأصحاب الجنة متفاوت فهم لا يستوون في الدرجات، فهم إما:

أ- فائزون فوزاً عادياً.

ب- أو فائزون فوزاً مبيناً، يحتاج صاحبه لمن يزحزحه عن النار أو لرحمة ربه حتى يدخل الجنة، فقرن الله الفوز المبين برحمته فمن أدخله الله في رحمته أو رحمه فاز فوزاً مبيناً كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾[الأنعام:١٥، ١٦].

ت- أو فائزون فوزاً كبيراً، والفوز الكبير سماه الله تعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات أي يجب أن يقرن الإيمان بالعمل الصالح ليتحقق الفوز الكبير له وهو بالتأكيد أعلى درجة من الفوز العادي.

ث-أو فائزون فوزاً عَظِيمًا، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[المائدة:١١٩]، فأصحاب الفوز العظيم الراضون عن الله ورضي الله عنهم ، المتقون الذين يقولون قولاً سديداً والطائعون لله ولرسوله والصادقون من المؤمنين والمؤمنات والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الى يوم الدين، وكذلك المخلصون والتائبون الذين تستغفر لهم الملائكة حملة العرش والذين يكفر الله عنهم سيئاتهم بعد إيمانهم وعملهم الصالح كلهم عينهم الله تعالى وصنفهم من أصحاب الفوز العظيم.

جزاء الفائزين:

جزاء الفائزين هو الفوز بحد ذاته وتكفي الجنة جزاء لهم بما فيها من حدائق وأعناب وكواعب أتراب، وهم بالإضافة إلى هذا العطاء لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كما وعدهم الله سبحانه وتعالى، ويكفي أصحاب الفوز المبين أنهم نجوا من عذاب يوم عظيم ودخلوا في مجال رحمة الله تعالى في جنات تجري من تحتها الأنهار، ويدخل معهم جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، نرجو الله أن يعلي مقامنا فيها ومقام من نحب من أقربائنا وإخوتنا المؤمنين ويجعلنا فائزين في الدنيا والآخرة على حد سواء.

المطلب الثامن: جزاء كل من المؤمن والفاسق.

نفى الله تباركت أسماؤه المساواة في الجزاء بين أصحاب الجنَّة وأصحاب النَّار، وبيَّن: أنَّ أصحاب الجنَّة هم الفائزون بالنَّعيم الخالد، النَّاجون من عذاب الله، أمَّا أصحاب النَّار؛ فهم الخاسرون، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[الحشر:٢٠]، أي: لا يستوي في حكم الله تعالى وفي جزائه أهل النار في العذاب والسموم والصراخ والبكاء وأهل الجنة في الفرح والنعيم والجنان، أصحاب الجنة هم الحائزون لكل مطلوب، النّاجون من كل ما يُخاف منه[١]، وأَصْحابُ النَّارِ الذين استحقوا الخلود فيها وَأَصْحابُ الْجَنَّةِ الذين ظفروا برضوانه تعالى؛ بسبب إيمانهم وعملهم الصالح.

أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ بالسعادة التي ليس بعدها سعادة، وبالنعيم الذي لا يقاربه نعيم.

وقارن الله تعالى بين المحسنين والمسيئين؛ لبيان أنه لا استواء بين الفريقين، بسبب نسيانهم لما يجب عليهم نحو خالقهم من طاعته وخشيته[٢].

ونفي الاستواء هو أبلغ طرق التفضيل، وهذه قاعدة سلكها القرآن الكريم مثل قوله ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٥][٣]، وذكر النسفي أن هذا تنبيه للناس، وإيذان بأنهم لفرط غفلتهم، وقلة فكرهم في العاقبة، وتهالكهم على إيثار العاجلة واتباع الشهوات، كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار، والبون العظيم بين أصحابهما، وأن الفوز العظيم مع أصحاب الجنة، والعذاب الأليم مع

(١) انظر: التفسير الموجز مع دروس من القرآن– محمد شيبة– ص٣٢.

(٢) انظر: التفسير الوسيط– محمد سيد طنطاوي– ٣٠٩/١٤.

(٣) انظر: وقفات تربوية– نجلاء السبيل– ص٢٩.

أصحاب النار، فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه[1]، واحتج الشافعية بالآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر[2].

فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم –مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين –، ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون، فشتان بين من يعذب في النار، ومن ينعم بنعيم الجنة.

إذن لا يستوون !! لا يستوي أصحاب الجنة مع أصحاب النار، لا يستوي من حفظ مع من ضيع الله ونسي الله !!، لا يستوي من قدمه الله مع من أخره الله !!.

---

(١) انظر: مدارك التنزيل– ١٩٢/٤.

(٢) انظر: التفسير المنير– د. وهبة الزحيلي– ١٠٢/٢٨.

الفصل الرابع

الأساليب التربوية والبيانية المستنبطة في ضوء سورة الحشر

المبحث الأول

أسلوب التّقديم والتأخير وغرضه البلاغي.

التقديم والتأخير من أكثر المباحث البلاغية، التي نالت اهتمام علماء المعاني، ذلك الاهتمام الذي تجلى في رصدهم لصور التقديم والتأخير المتعددة، وما تؤديه كل صورةٍ من قيمة دلالية، أو تأثيرية، مضافة إلى المعنى الأساسي للعبارة.

والقدم والقدمة: السابقة في الأمر، وتقدم كقدم، وقدم واستقدم: تقدم، وأخرته فتأخر، واستأخر كتأخر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾[الحِجر:٢٤]، والآخر: خلاف الأول، ويقال: لا مرحبا بالآخر، أي: بالأبعد(١).

فالتقديم والتأخير في اللغة متناقضان، حيث يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره، وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه، وبالمعنى نفسه انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية؛ إذ اعتاد العرب تقديم ما حقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك بجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة.

والترابط في الكلام، ووضع كل كلمة في مكانها اللائق من الجملة، من أهم مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها لفسد عليك المعنى الذي تريد، أو ضاع جماله ورونقه، أو على أقل تقدير كنت مخلًّا بأساسيات التعبير العربي الفصيح، فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، متقدمة كانت أو متأخرة.

وموضوع التقديم والتأخير في القرآن شغل المفسرين منذ ظهور الظاهرة القرآنية، وهو لا يزال يشغلها، وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أهمية التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

١.يمثل التقديم في بناء الجملة ركيزة أساسية في بلاغتها وتحقيق مراداتها.

---

(١) انظر: لسان العرب– ابن منظور– ٣٨/١.

٢.إصابة غرض المتكلم، لتحقيق التواصل بينه وبين المخاطب، لا سيما أنه يقوم على إعادة ترتيب مكونات الجملة، فيُقدم ما حقه التأخير في عرف اللغة واصطلاح النحاة، ويُؤخر ما حقه التقديم.

٣.تحقيق أغراض بلاغية وأسلوبية.

وقد ذكر أهل العلم أسباباً عديدة، ومقاصد متنوعة، تكمن وراء هذا الأسلوب القرآني، نلخصها على النحو الآتي:

١.التقديم بقصد (التبرك).

٢.التقديم بقصد (التعظيم).

٣.التقديم بقصد (التشريف).

٤.التقديم بقصد (السبب).

٥.التقديم مراعاة لـ (المناسبة).

٦.التقديم بقصد (الحث على أمر، والحض على القيام به؛ حذراً من التهاون به)، كتقديم الوصية على الدَّين في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾[النساء:١١].

٧.التقديم بقصد (السبق)، و(السبق) إما يكون في الزمان باعتبار الإيجاد.

٨.التقديم بقصد بيان (الكثرة).

٩.التقديم بقصد بيان (القدرة) الإلهية.

١٠.التقديم بقصد رعاية (الفاصلة) القرآنية.

١١.التقديم بقصد (الاهتمام) بالمقدَّم، وهذا كثير في القرآن.

١٢.التقديم بقصد (الاختصاص).

١٣.التقديم بقصد (التحذير والتنفير)(١).

---

(١) انظر: إسلام ويب– دراسات قرآنية– تاريخ النشر: ٢٠١١/٤/١٩م.

والناظر في السّياق القرآني يجد هذا الأسلوب هو مادة الإعجاز في كلام العرب كلّه، ليس من ذلك شيء إلّا وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة، والسياق القرآني يحمل الكثير من الخصائص التركيبية التي تسمو على لغة البشر قوة وصفاء ونقاء، وكان سياق التقديم والتأخير واحداً من فرائد القرآن وخصائصه، سيق لإبراز مقام الموقف بروحه وعمقه، وسوف نقف بإذن الله وتوفيقه مع بعض هذه السياقات(١).

ومن أمثلة التقديم والتأخير في سورة الحشر:

١. التّقديم لمراعاة السّياق وحسن انتظام الكلام:

- كالتقديم في بعض أسمائه سبحانه: كتقديم العزيز على الحكيم حيث ورد في القرآن الكريم، في قوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الحشر:١]؛ للسَّبَبِيَّةُ كَتَقْدِيمِ الْعَزِيزِ عَلَى الْحَكِيمِ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ فَحَكَمَ(٢)، وفائدة هذا التقديم هي تخصيص "سبح لله"، من قبل "ما في السموات وما في الأرض"، وذلك أن معنى (العزيز) لا يغالب، والقادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله، ومعنى(الحكيم) المدبّر الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير، فتكون القدرة متقدّمة على حسن التّدبير، و-أيضًا- قدم السموات على الأرض؛ لأن الاهتمام بالسماء هنا أكبر.

٢. مثال آخر وأما تقديم خبر المبتدأ عليه فقد تقدمت صورته، كقولك: "زيد قائم"، "وقائم زيد".

فمما ورد منه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢].
فإنه إنما قال ذلك، ولم يقل: وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم؛ لأن في تقديم الخبر الذي هو "مانعتهم" على المبتدأ الذي هو "حصونهم" دليلًا على فرط اعتقادهم في حصانتها، وزيادة وثوقهم بمنعها إياهم.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي- ص١٣١.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن- السيوطي- ٤٥/٣.

وفي تصويب ضميرهم اسمًا، وإسناد الجملة إليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة، وامتناع لا يبالي معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض، وليس شيء من ذلك في قولك: وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله[1].

٣. مثال آخر تقديم ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر:٢٤]، أي خلقهما[2].

فناسب هذا المقام ذكر العزيز على غيره من الأسماء والصفات، وناسبه التقديم على (الحكيم)؛ لئلا يتوهّم أحد أن الله تعالى بحاجة إلى من يسبحه أو ينزهه، بل هو منزه بذاته، قدوس بجلاله، عزيز بقوته وجبروته وحكمته، وقد جاء فعل التسبيح بالماضي (سبح لله) في أوّل والحشر.

إن القرآن الكريم معين لا ينضب وجنة فيحاء لا ينقضي ثمرها، وإن الإعجاز البلاغي لأسلوب التقديم والتأخير إعجاز فيّاض عظيم التدفّق لا يقع في حصر، وسبيل التعرّض لفيوضاته وتلمّس أسراره لا يقف عند حد في كلمة أو جملة، بل يشهد السياق في مجمله بستاناً مورقاً يانع الثمار والأزهار، لا تكاد تمد يداً لقطف ثمرة إلا وتجذبك الأخرى والأخرى فلا تستطيع الفراغ حتى تأتي على البستان كلّه.

المبحث الثاني

أسلوب الإيجاز وغرضه البلاغي.

الإيجاز هو: الإيجاز هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف، وقد عرف ابن الأثير الإيجاز مرة بقوله: الإيجاز حذف زيادات الألفاظ، ومرة أخرى بقوله: الإيجاز دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، والإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: حذف، وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف[3].

---

(١) انظر: من لطائف ولآلئ المثل السائر – ابن الأثير – ص٢١٣.

(٢) انظر: البرهان في متشابه القرآن – الكرماني – ص٣٠٨.

(٣) انظر: النكت في إعجاز القرآن – الرماني – ص٧٦.

وهذا الضرب من الإيجاز في القرآن كثير، وقد استحسن الناس من الإيجاز قولهم: القتل أنفى للقتل، وبينه وبين لفظ القرآن تفاوت في البلاغة والإيجاز، وذلك يظهر من أربعة أوجه: إنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفًا بالحروف المتلائمة[١].

والإيجاز عند البلاغيين ضربان:

أ . إيجاز قصر: وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني[٢]، وقيل: هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف، وقيل –أيضًا–: هو الذي لا يمكن التعبير عن معانيه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدّتها، وهذا النوع، كما يقول ابن الأثير، هو أعلى طبقات الإيجاز مكانًا وأعوزها إمكانًا، وإذا وجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذًّا نادرًا.

ب . إيجاز حذف: وهو القسم الثاني للإيجاز، ويعرفه البلاغيون بقولهم: "هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف. ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه"، وذكر الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ: أنه مَا مِنِ اسْمٍ حُذِفَ فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَفَ فِيهَا إِلَّا وَحَذْفُهُ أَحْسَنُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَسَمَّى ابْنُ جِنِّي الْحَذْفَ شَجَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يُشَجِّعُ عَلَى الْكَلَامِ[٣].

ومن أمثلة الإيجاز في سورة الحشر:

–قوله تعالى: {لأول الحشر}، فَكَانَ جلاؤهم ذَلِك أول حشر فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّام، قال ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: من شكّ أَن الْمَحْشَر بِالشَّام فليقرأ هَذِه الْآيَة (هُوَ الَّذِي أخرج الَّذين كفرُوا من أهل الْكتاب من دِيَارهمْ لأوّل الْحَشْر) قَالَ لَهُم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَوْمئِذٍ: اخْرُجُوا، قَالُوا: إِلَى أَيْن؟ قَالَ: إِلَى أَرض الْمَحْشَر[٤].

– قوله تعالى: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ}، يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ} بَنِي النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ، وَأَنَّهُمْ يُخْرِبُونَ مَسَاكِنَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْخَشَبَةِ فِيمَا ذُكِرَ فِي مَنَازِلِهِمْ مِمَّا يَسْتَحْسِنُونَهُ، أَوِ الْعَمُودِ أَوِ الْبَابِ، فَيَنْزِعُونَ ذَلِكَ مِنْهَا {بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا

---

(١) انظر: النكت في إعجاز القرآن– الرماني– ص٧٧.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن– السيوطي– ١٨١/٣.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن– السيوطي– ١٩٣/٣.

(٤) انظر: الدر المنثور– السيوطي– ٨٩/٨.

فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، جَعَلُوا يُخْرِبُونهَا مِنْ أَجْوَافِهَا، وَجَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ يُخْرِبُونَ مِنْ ظَاهِرِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يُخْرِبُونَ مَا يَلِيهِمْ مِنْ ظَاهِرِهَا، وَتُخْرِبُهَا الْيَهُودُ مِنْ دَاخِلِهَا[١]، كلمة واحدة أوجزت معاني كثيرة وضحتها كلمة واحدة. وهذا روعة اعجاز القرآن الكريم.

– ومن أمثلة الحذف: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض وَهُوَ العزيز الحكيم}، فعقب التسبيح بالكلام على أهل الأرض، فقد جاء بعدها {هُوَ الذي أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحشر}، ويستمر في ذكر أحوالهم. أما في آخر السورة لم يكرر (ما) حين لم يذكر شيئاً عن أهل الأرض بعد الآية، فقد قال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الحشر:٢٤]، فكرر في أول السورة وأجمل في آخرها[٢].

المبحث الثالث

البلاغة في الفصل والوصل في (لكي لا–لكيلا).

الفصل: من فصل، يفصِّل، تفصيلاً، حاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلاً فالفصل فصلت الشيء، فانفصل أي قطعه فانقطع[٣].

والوصل: من وصل يصل، صلة، وصلت الشيء وصلاً وصلة، والوصل ضد الهجران، الوصل خلاف الفصل، وصُل الشيء بالشيء، يَصِله وصلاً، وصِلَة وصَلَة[٤].

والفصل والوصل في كل هذا يراعي دائماً إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها، وكذا عواطفهم وأذواقهم.

بعض الأمور التي لا بد من معرفتها عن الفصل والوصل:

١. قد يكون الفصل أبلغ من الوصل.

(١) انظر: جامع البيان– الطبري– ٢٢/٥٠٠–٥٠٣.
(٢) انظر: لسان العرب– ابن منظور– ١١/٥٢١.
(٣) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.
(٤) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

٢. التناسق الداخلي للجمل أقوى من وصلها برابط.

٣. الفصل يزيد الأسلوب جزالة وفخامة.

٤. ويُضفي عليه حسناً وقوة تأثر.

مثال ذلك في سورة الحشر: قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[الحشر:٧].

فصل (كي لا) هنا؛ لأنه يريد أن يفصل الأموال لأنها لا تنبغي أن تبقى دولة بين الأغنياء وإنما يجب أن تتسع الأموال لتشكل الفقراء فاقتضى الفصل في رسم (كي لا) في هذه الآية. وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[آل عمران:١٥٣]، جاءت (لكيلا) متصلة؛ لأن المعنى يدل على أن الغم متصل بالغم؛ غم الهزيمة وغم فوات الغنائم وهذا اقتضى الوصل فوصل (لكيلا)، وهذا الأمر نقول إنه من باب الجواز فهو جائز أن تكتب (لكيلا) متصلة أو منفصلة (لكي لا)؛ لكنها ترسم –أيضًا– بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام[1].

وما دلالة كتابة كلمة (لكي لا) منفصلة مرة و(لكيلا) موصولة مرة أخرى؟

أولاً: خط المصحف لا يقاس عليه أصلاً لكن يبدو في هذا الرسم ملحظ بياني، والله أعلم في أكثر من موطن، فمرة تكتب (لكي لا) مفصولة ومرة (لكيلا) موصولة، وأقول إن هذا ليس فقط للخط، وإنما لأمر بياني هو كما ذكرنا سابقاً عن الفرق بين من بعد علم وبعد علم، وقلنا إن (من) هي ابتداء الغاية أما بعد علم فقد يكون هناك فاصل بين هذا وذاك وذكرنا أمثلة (من فوقها) أي مباشرة وملامسة لها أما فوقها فلا تقتضي الملامسة بالضرورة، فمن حيث المعنى (وقالوا قلوبنا في أكنة) مباشرة يشمل كل المسافة بينهما ولو قال بيننا لما أفادت نفس المعنى، وقوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدًّا) بلا فاصلة؛ لكي لا يعلم بعد علم تحتمل الزمن الطويل والوصل أما قوله لكي لا يعلم من بعد علم فهي مباشرة بعد العلم فلمّا احتمل الفاصل فصل

---

(١) http://www.alfaseeh.com/vb/forum.php ما الفرق بين (لكيلا) و(كي لا) ٠٩-٠٥-٢٠١١.

(لكي لا) وعندما وصل بينهما وصل (لكيلا)، وهذا الأمر نقول إنه من باب الجواز فهو جائز أن تكتب لكيلا متصلة أو منفصلة (لكي لا)؛ لكنها تُرسم –أيضاً– بما يتناسب مع الناحية البيانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام[1].

المبحث الرابع

أسلوب المقابلة وغرضه البلاغي.

المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك، وقابله واجهه، وتقابلا تواجها[2].

المقابلة في اصطلاح علماء البلاغة: أن يؤتى في الأسلوب بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، موفرًا أقصى طاقات التضاد الدلالي[3].

والمقابلة: أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، وهو من المحسنات البديعية[4].

والمقابلة: أن يؤخذ الاسم من الأسماء المشتقة من الأفعال التي أطلقها الله تعالى على نفسه في القرآن الكريم، أو أطلقها الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت له مدح وكمال، ولكن الذين تتبعوا الأسماء الحسنى وفق هذه الطريقة أخذوا الاسم من الفعل المتعلق أو المقترن بمقابله دون ذكر الاقتران أو المقابلة[5].

---

(١) انظر: لمسات بيانية من سورة الحشر– د. فاضل السامرائي– موقع إسلاميات– تاريخ النشر: ٢٠١٤/٢/٣م.

(٢) انظر: القاموس المحيط– الفيروز آبادي– ص١٣٥١.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن– السيوطي– ٥٥/٣.

(٤) انظر: التفسير المنير– د. وهبة الزحيلي– ١٨/٢٤.

(٥) انظر: الأسماء الحسنى في الكتاب والسنة– أكرم تكاي– ص١١.

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[الحشر:١٩]، حيث جاء التقابل {نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ} متبوعاً بالسياق {أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(١).

والمقصود من هذه الآية هي قال {هو لله الخالق البارئ} أي هو جل وعلا الإله الخالق لجميع الأشياء، الموجد لها من العدم، المنشئ لها بطريق الاختراع {المصور}، أي المبدع للأشكال على ما يريده {له الأسماء الحسنى} أي له الأسماء الرفيعة الدالة على محاسن المعاني {يسبح له ما في السموات والأرض} أي ينزهه تعالى عن صفات العجز والنقص جميع ما في الكون بلسان الحال أو المقال قال الصاوي: ختم السورة بالتسبيح كما ابتدأها به إشارة إلى أنها المقصود الأعظم، والمبدأ والنهاية، وأن غاية المعرفة بالله تنزهيه عظمته عما صورته العقل {وهو العزيز الحكيم} أي العزيز في ملكوته، الحكيم في خلقه و صنعه.

المبحث الخامس

القصر ونوعه وفائدته وغرضه البلاغي

أولًا: القصر لغة واصطلاحًا:

١. القصر لغة: "القَصْرُ والقِصَرُ فِي كُل شَيْء: خلافُ الطولِ؛ وقَصُرَ الشيءُ، بِالضَّمِّ، يَقْصُرُ قِصَراً: خِلَافُ طَالَ؛ وقَصَرْت مِنَ الصلاة أَقْصُر قَصْراً"(٢).

٢. القصر اصطلاحاً: "القصر معناه الحبس والقيد، وقصرت نفسي إلى أمر إذا لم أطمع إلى غيره"(٣).

وينقسم القصر: قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصّفة على الموصوف. وكلّ منهما إمّا حقيقيّ وإمّا مجازيّ(٤).

---

(١) انظر: أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم- عماري عز الدين- رسالة ماجستير- ص١٠٠.
(٢) انظر: لسان العرب- ابن منظور- ٣٦٤٤/٥.
(٣) انظر: أساس البلاغة- الزمخشري- ٨١/٢.
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن- السيوطي- ٦٤/٣.

القصر من الأساليب التي وردت في القران الكريم، وحظيت بالدراسة والتحليل من قبل العلماء قديمًا وحديثًا؛ وذلك لأهميته وعظمته وارتباطه بسياق الموقف، وتعلقه بحال المتكلم والمتلقي، فتختلف دلالاته حسب تحديد الأدوات وقوة التأكيد وبلاغة العبارات.

ثانياً: ورود القصر في سورة الحشر:

١. قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الحشر:١]، والمقصود من هذه الآية، أي نزه تعالى ومجده وقدسه جميع ما في السماوات والأرض من ملك، وإنسان، وجماد، وشجر كقوله تعالى {وإن من شيء إلا يسبح بحمده}، ويخبر الله تعالى أن جميع ما في السموات والأرض يسبح له ويمجده ويقدسه ويوحده {وهو العزيز الحكيم}، أي وهو العزيز في ملكه[١].

أتت صيغة القصر في هذه الآية بتقديم ما حقه التأخير باعتبار طرفه هو قصر صفة على موصوف، هذه الآية {سبح ما في السموات وما في الأرض} يكون المقصور عليه هو المقدم.

من حيث الواقع هو قصر حقيقي.

فوائد هذا القصر هو تخصيص "سبح "، من قبل {ما في السموات و ما في الأرض}[٢].

٢. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[الحشر:٢]، أي نزَّه الله تعالى ومجَّده وقدَّسه جميع ما في السموات والأرض من ملك، وإنسان، وجماد، وشجر كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[الإسراء:٤٤]، ويخبر الله تعالى أن جميع ما في السموات والأرض يسبح له ويُمجده ويقدِّسه ويُوحِّده {وَهُوَ العزيز الحكيم}، أي وهو العزيز في ملكه، الحكيمُ في صنعه {هُوَ الذي أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن دِيَارِهِمْ} بيانٌ لبعض أثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة أي هو جلَّ وعلا الذي أخرج يهود بني النضير من مساكنهم

---

(١) انظر: صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – ٣/٣٢٩.

(٢) انظر: القصر وفائدته في سورة المجادلة وسورة الحشر – حفصة مرفوعة – رسالة ماجستير – ص٤١.

بالمدينة المنورة {لأَوَّلِ الحشر} أي في أول مرة حُشروا وأخرجوا فيها من جزيرة العرب؛ إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك[1].

أتت صيغة القصر في هذه الآية بتقديم ما حقه التأخير باعتبار طرفه هو قصر موصوف على صفة، والآية (فِيْ قلوبهم الرُّعْبَ) يكون المقصور عليه هو المقدم، طرفه تقديم الجار والمجرور. من حيث الواقع هو قصر إضافي، فوائد هذا القصر هو تخصيص "رب" أو "لله"، من قبل "قلوبهم"[2].

المبحث السادس

أسلوب الذم وغرضه البلاغي

في اللُّغَةِ العَرَبيَّة ثَمَّةَ أُسْلُوبٌ نَحْوِيٌّ خَاصٌّ للتَعْبِيْرِ عَنْ مَشَاعِرِ الرِّضَا أو السُّخْطِ، ذلك هو أُسْلوبُ المَدْحِ والذَّمِّ، ولِلجُملةِ في هذا الأسلوبِ أنْماطٌ مُحَدَّدَةٌ، وَصِيَغٌ لُغَوِيَّةٌ خاصّة مُتَعارفٌ عليها عِنْدَ النُّحَاة، وفي هذا المبحث ذكرت نموذجاً لأسلوب الذم من خلال السورة:

- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[الحشر:٨]، خرج خروجًا: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره دارًا، أو بلدًا، أو ثوابًا، وسواء كان حاله حالة في نفسه، أو في أسبابه الخارجة، وهو الذي يخرج بذاته عن أحوال أقرانه، ويقال ذلك تارة على سبيل المدح إذا خرج إلى منزلة من هو أعلى منه، وتارة يقال على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو أدنى منه، وعلى هذا يقال: فلان ليس بإنسان تارة على المدح[3].
- قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢]، تفسير ومعنى كلمة {أن يخرجوا} على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو أدنى منه، وعلى هذا يقال: فلان ليس بإنسان تارة على المدح، فالله هو الذي تولّى إخراجهم، لا بسبب فيه لأحد

---

(١) انظر: صفوة التفاسير- محمد علي الصابوني- ٣/٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) انظر: القصر وفائدته في سورة المجادلة وسورة الحشر- حفصة مرفوعة- رسالة ماجستير- ص٤٢.

(٣) انظر: معاني كلمات القرآن الكريم- محمد شيبة- ٣/٥٧٤.

غيره، وهم أول مَن أُخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام، وفيه ذم لاعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة[1].

المبحث السابع

أسلوب القسم وغرضه البلاغي

القسم في سورة الحشر: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الحشر:١١]، فما الفرق بين لئن أخرجتم وإن قوتلتم؟

اللام في (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ) موطئة للقسم، (وَإِن قُوتِلْتُمْ) لا وجود للام، لئن أخرجتم لام القسم ولنخرجن معكم جواب القسم، أيها الأقوى (لئن) باللام أو بدون لام؟ باللام، لام القسم أقوى، إذن (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) هذه حالة و(وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ) هذه حالة أخرى أقل إذن الأولى أقوى. هذا حكم نحوي، واحدة فيها لام القسم والأخرى ليس فيها المنافقون في الإخراج، حيث قالوا (لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ) ففيها توكيد أما في القتال ليس فيها توكيد فصار التوكيد أقل (وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ) القتال ليس بمنزلة الإخراج فأكدوا في الخروج ولم يؤكدوا في القتال، لسان حال المنافقين أنهم يخافون على أنفسهم[2].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[الحشر:١٢]، هذا ليس جواباً للشرط وإنما هو واقع في جواب القسم، والقاعدة تقول إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما فإن تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر كأن نقول "أنت والله إن فعلت كذا"، وفي هذه الآية القسم سابق للشرط؛ فلا يمكن أن يكون (لا يخرجون) جواباً للشرط وإنما هو جواب القسم فلا بد من الرفع وهو مرفوع بثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

---

(١) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- ابن عجيبة- ٤/٧.

(٢) انظر: لمسات بيانية من سورة الحشر- د. فاضل السامرائي- موقع إسلاميات- ٢٠١٤/٢/٣م.

المبحث الثامن

أسلوب الاستفهام وغرضه البلاغي

الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة. وأدوات الاستفهام كثيرة منها: الهمزة، وهل[1]، والاستفهام هو اسم مبهم يستعلم بها عن شيء[2].

الاستفهام في سورة الحشر: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾[الحشر:١١].

يقول الإمام الطبري: "قُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِ قَلْبِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَتَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ، وَهُمْ فِيمَا ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ، وَوَدِيعَةُ، وَمَالِكٌ ابْنَا نَوْفَلٍ وَسُوَيْدٌ وَدَاعِسٌ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْحَرْبِ أَنِ اثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسْلِمَكُمْ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ خَرَجْتُمْ، خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا لِذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَيَكُفُّ عَنْ دِمَائِهِمْ عَلَى أَنَّ لَهُمُ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلْقَةَ)، الشاهد في الآية الكريمة قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ} استفهام للوعيد.

أداة الاستفهام: الهمزة ونلاحظ تلاها نفي ب (لم) والهمزة هنا لم تفد التصديق ولا التصور بل أفادت معنى التقرير وذلك أن الإجابة جاءت بين طيات الآية الكريمة، والاستفهام جاء هنا بمعنى المنفي، والاستفهام المنفي يؤكد حقيقة ودوافع وهنا الحقيقة المؤكدة، هنا كذب هؤلاء المنافقون الذي شهد به المولى عز وجل حيث قال: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[3].

وأيضاً هذا الاستفهام يراد به الإنكار والتعجب {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين نَافَقُواْ}[4]،، والظاهر أن المراد بـ﴿ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ عموم المنافقين، وبـ﴿ إِخوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ ﴾ عموم اليهود، ويدخل

---

(١) انظر: علم المعاني- د. عبد العزيز عتيق- ص٨٨.

(٢) انظر: أدوات الاستفهام واستعمالها في سورة آل عمران- خير الدين- ص٤.

(٣) انظر: الإنشاء الطلبي في الأجزاء الأخيرة من القرآن الكريم- محاسن عبد الله- رسالة ماجستير- ص١٤٥، ١٤٦.

(٤) انظر: صفوة التفاسير- محمد علي الصابوني- ٣/٣٣٨.

فيه يهود بني النضير دخولاً أوليًا، وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم في الآية الثانية من السورة بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[الحشر:٢].

والهمزة في قوله تعالى: (أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا) هي همزة الاستفهام دخلت على حرف النفي، فصار الكلام إثباتًا، ومعناه التنبيه والتعجيب من حال هؤلاء، ويمكن أن يكون المخاطب على علم بمضمون هذا الخطاب قبل نزول هذه الآية، ويجوز أن يكون لم يعلم ذلك إلاَّ من هذه الآية. والخطاب في ذلك ونحوه، وإن كان للنبي ﷺ، إلا أن المراد به العموم؛ إذ هو صالح لطبقات المخاطبين، والغرض منه التحريض على النظر والحَثِّ على زيادته، وتركيب: (أَلَمْ تَرَ إِلَى) يجرى في لسان العرب مجرى التنبيه، والتعجيب. ويقتضي معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار؛ كما في هذه الآية الكريمة.

وجملة:﴿ يَقُولُونَ لإِخوَانِهِمُ ﴾استئناف لبيان المُتعجَّب منه، وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم، واللام للتبليغ، والمراد بهذه الأخوة: إما الصداقة والموالاة، وإما التوافق في الكفر والمعصية. فـ (الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهلِ الكِتَابِ) كفار؛ لأنهم كفروا برسالة محمد ﷺ، و(الَّذِينَ نَافَقُوا) إخوانهم في الكفر، ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام؛ لأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون. واللام في قولهم: (لَئِن أُخرِجتُم) مُوَطِّئَة للقسم، وجملة (لَنَخرُجَنَّ مَعَكُم) جواب القسم المغني عن جواب الشرط، وجملة (لا نُطِيعُ فِيكُم أَحَدًا) معطوفة على جملة (لَئِن أُخرِجتُم)، فهي من المَقول لا من المُقسَم عليه، ومعنى (لَنَنصُرَنَّكُم): لنعيننكم في القتال، والنصر والنصرة: العون، يطلق على الإعانة على المعادي. وقد أعلم الله تعالى رسوله ﷺ بأنهم كاذبون في ذلك، بعد ما أعلمه بما أقسموا عليه تطمينًا لخاطره؛ لأن الآية نزلت بعد إجْلاء بني النضير، وقبل غزو قريظة، لئلا يتوجَّس الرسول صلى الله عليه وسلم خِيفةً من بأس المنافقين، فقال تعالى: (وَاللَّهُ يَشهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ)، أي: لكاذبون في مواعيدهم تلك المؤكدة بالأيمان الفاجرة. وسمَّى الله تعالى هذا الخبر شهادة؛ لأنه خبر عن يقين بمنزلة الشهادة التي لا يتجازف المخبر في شأنها[١].

---

(١) https://quran-m.com/ موقع إعجاز القرآن و السنة، لأنتم أشَدُّ رَهبَةً في صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ، الأربعاء/ديسمبر/٢٠١٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإنه بعد الدراسة في هذه الأطروحة خرجت بأهم النتائج والتوصيات، وذلك فيما يأتي:

أولًا: النتائج:

١. التسبيح يقرب العبد من ربه، ويرفع قدر صاحبه ومنزلته، ويعين المسلم على أعماله، وييسر له أموره كلها، وينجيه من عدوه، وفي هذا ترغيب للمسلم في المداومة على التسبيح.

٢. مظاهر قدرة الله في الكون تعزز ثقة العبد وإيمانه بربه، وتجعل منه عبدًا مستقيمًا على أمر ربه، مستحييًا من مخالفته وعصيان أمره.

٣. أن الجزاء من جنس العمل حين أخرج الرسول يهود بني النضير من المدينة من غير مال ولا سلاح بسبب تآمرهم ونقضهم العهد.

٤. أشارت السورة إلى أول الحشر الذي عاقب الله اليهود فيه في الدنيا؛ ولكن هناك حشراً آخر يوم القيامة سيدخلهم فيه النار وهو الحشر الأعظم.

٥. العلاقة بين أبناء المجتمع المسلم تقوم على التكافل والتعاون والمساعدة.

٦. حرص الإسلام أن لا يكون المال دولة بين الأغنياء.

٧. يجب على كل مسلم الخضوع لأوامر الله ورسوله، والامتناع عما نهى الله ورسوله.

٨. ان الله أدب المؤمنين ورباهم، تربية عملية ميدانية تقوم على المشاهدات الحسية.

٩. أن المؤمن يجب أن لا يحمل في قلبه غلاً لمؤمن.

١٠. تنوع الأساليب في التربية مطلب مهم؛ ليتحقق بذلك الأهداف المرجوة.

١١. استحضار معية الله تشعر العبد بعظمة ربه، وقدرته المطلقة، وتريح قلب المؤمن، وعقله، وتجعله مطمئنًا، راضيًا بما قسمه الله تعالى له، مقبلًا عليه طائعًا له.

١٢. مصير كل من لم يتخذ كتاب الله مرجعاً ونوراً وحكماً الضلال، فكل من ابتغى الهدى بغيره أضله الله.

١٣. إذا كنت في بلدٍ، وحيل بينك وبين أن تعبد الله، حيل بينك وبين أن تمارس شعائر الله، ينبغي أن تهاجر، ويوم القيامة تحاسب.

١٤. التأكيد بالدليل القاطع على صدق القرآن الكريم وإعجازه بالإخبار عن نوايا اليهود والمنافقين.

١٥. لصلاح القلب أسباب أهمها: الإيمان، وتلاوة القرآن وتدبره، وذكر الله، والدعاء، واجتناب المعاصي، ومفسدات القلوب، صدق توحيده من خلال معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ومن أبرز آثاره: صلاح الفرد والمجتمع، وانتشار المحبة.

١٦. الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له، والتنبيه إلي أَنه منار هداية، فيه كل مناهل العرفان والعلم والسعادة بحيث لو أُنزل على جبل أصم من الجبالِ الضخمة العاتية لرأَيته –مع كونه مثلًا في القسوة، علمًا في الرسوخ والثبات متهاوياً متداعيًا ومتشققًا، ومتصدعًا من قوة خشية الله وشدة جبروته.

١٧. العودة المتجددة لتدبر أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وعدم الاقتصار على التدبر مرة واحدة، فالمعاني تتجدد، وتضاعف قوة الإيمان بالله في النفوس وتوثق اليقين به تعالى، وهو المقصود من السورة.

ثانيًا: التوصيات:

١. أوصي طلبة العلم بالتنقيب في القرآن الكريم عن التوجيهات والأساليب التربوية، وذلك من خلال نظرية التفسير الموضوعي.

٢. تربية المجاهدين على معاني سورة الحشر الجليلة من إيثار وأخوة حقيقية في الله ليستحقوا وعد الله بالنصر.

٣. الاهتمام بدراسة البلاغة وتأثيرها خاصة أنها تساعد في فهم آيات القرآن الكريم بالنظر إلى فوائدها.

٤. إنشاء مراكز متخصصة في التربية، وخاصة الدينية منها، والعمل على تغيير المناهج الدراسية بما ينهض بحياة المسلمين وتذليل الصعاب التي تواجه المربين، لما لها من أهمية في تنشئة الجيل.

٥. الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً وانفعالاً وخشوعاً، والاتعاظِ بمواعظه وتفقهه، فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم من تمسك به نجا ومن أعرض عنه هلك.

٦. -أوصي كافة وسائل الإعلام سواء المرئية أو السمعية بنشر مثل هذه الأبحاث والنتائج والتوجيهات التربوية المستفادة من السور القرآنية في سلاسل مثلًا، والتي من شأنها التغيير والإصلاح في الناس.

٧. -أوصي الدعاة وطلبة العلم من الاستفادة من التوجيهات التربوية في السور القرآنية وتربية وتوجيه الناس عليها.

هذا ما يسر الله ﷻ لي إعداده وكتابته، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ ونسيان، فمن نفسي ومن الشيطان، وإني أعوذ بالله أن أكون جسراً يعبرُ به إلى الجنة ويلقى به في النار، وحسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. **اتفاق المباني وافتراق المعاني**، أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدين المصري، دار عمار – عمان، ط:١، ١٩٨٥، تحقيق : يحيى عبدالرؤوف جبر.

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٣. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٤. **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٥. **الأدب المفرد بالتعليقات**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٦. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٧. **أسلوب النداء دراسة نحوية بلاغية سورة يوسف أنموذجًا**، مذكرة لنيل الليسانس، جامعة **البويرة.**

٨. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٩. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

١٠. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: ٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١١. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط:٢، ١٤١٨هـ.

١٢. **أوضح التفاسير**، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: ٦، رمضان ١٣٨٣ هـ- فبراير ١٩٦٤م.

١٣. **أيسر التفاسير**، أسعد حومد.

١٤. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط:٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٥. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

١٦. **البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج**، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤٢٦م- ١٤٣٦هـ.

١٧. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٨. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٩. **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٠. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٢١. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية– لبنان، صيدا.

٢٢. **بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب (١٦)]**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط:٣، ١٩٧٦م.

٢٣. **تاريخ ابن معين (رواية الدوري)**، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي– مكة المكرمة، ط: ١، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

٢٤. **تأويلات أهل السنة**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٢٥. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ.

٢٦. **التربية القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع**، إعداد : د. محب الدين بن عبد السبحان واعظ، الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.

٢٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط:١، ١٤١٦هـ.

٢٨. **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٣٠ هـ.

٢٩. **تفسير ابن عرفة**، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: ١، ٢٠٠٨م.

٣٠. **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت– لبنان، ط:١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

٣١. **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]**، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٣٢. **تفسير الشعراوي – الخواطر**، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل– المطبوع– أيّ بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م).

٣٣. **تفسير القرآن**، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ– ١٩٩م.

٣٤. **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم- بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٥. **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط:١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٦. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ط: ٣، ١٤١٩هـ.

٣٧. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٨. **تفسير القرآن الكريم**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.

٣٩. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

٤٠. **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - الباكستان، ١٤١٢هـ.

٤١. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط:٢، ١٤١٨هـ.

٤٢. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط:٢، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

٤٣. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط:١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٤٤. **التفسير الواضح**، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، ط: ١٠، ١٤١٣هـ.

٤٥. **التفسير الوسيط**، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٤٦. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط:١.

٤٧. **تقريب المأمول في ترتيب النزول**، البرهان الجعبري، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ١٣٤٩هـ.

٤٨. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، عام النشر: ١٣٨٧هـ.

٤٩. **التوجيه والإرشاد النفسي**، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، ط:٣.

٥٠. **التوضيح والبيان بأنواع التوحيد والشرك والكفر والنفاق، شرح رسالة الشيخ الإمام محمد ابن عبد الوهاب**، تقديم الأستاذ المشارك حمد بن عبد المحسن التويجري، إعداد: هدى بنت سعيد الكثيري.

٥١. **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٥٣. **جامع البيان عن تأويل القرآن،** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٥٤. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)،** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥٥. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)،** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٥٦. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة- المغرب، ط:١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥٧. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن،** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٥٨. **درء تعارض العقل والنقل،** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط:٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٥٩. **دراسات لأسلوب القرآن الكريم،** محمد عبد الخالق عضيمة (المتوفى: ١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.

٦٠. **دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر- عمان، الأردن، ط:١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٦١. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية- صيدر اباد/ الهند، ط: ٢، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٦٢. **الرسالة**، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط:١، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

٦٣. **روح البيان**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر- بيروت.

٦٤. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت،ط:١، ١٤٢٢هـ.

٦٥. **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

٦٦. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١.

٦٧. **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٦٨. **سنن ابن ماجه،** ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

٦٩. **سنن أبي داود،** أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط– محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:١، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

٧٠. **صحيح الجامع الصغير وزياداته،** أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٧١. **صحيح وضعيف سنن الترمذي،** محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني– من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٧٢. **الصدق والواقعية في القصة القرآنية،** د. أمين محمد عطية باشا.

٧٣. **صفحة الشيخ عبد العزيز الطريفي (الصفحة الرسمية)،** تاريخ التغريدة: ٢٠١٢/٢/٢٢م، ساعة ٨:١٢م.

٧٤. **صفوة التفاسير،** محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط:١، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

٧٥. **طبقات المفسرين العشرين،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة– القاهرة، ط: ١، ١٣٩٦هـ.

٧٦. **طبقات المفسرين،** محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية– بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

٧٧. **العبودية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧٨. **علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)**، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ط:١، ٢٠٠٣م.

٧٩. **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٨٠. **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

٨١. **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن- بيروت.

٨٢. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ.

٨٣. **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: سعيد اللحام.

٨٤. **فتاوى السبكي**، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، دار المعارف.

٨٥. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٨٦. **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٨٧. **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة- إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، ط: ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٨٨. **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط: ١، دار الشروق، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٨٩. **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر- الغورية، مصر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٩٠. **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة**، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٩١. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط:٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٩٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ.

٩٣. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مثبت أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة- المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

٩٤. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: ٥، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٩٥. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط: ٣، ١٤١٤ هـ.

٩٦. **لطائف الإشارات= تفسير القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط:٣.

٩٧. **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٩٨. **محاضرات مسجلة بعنوان لفتات بيانية في سورة يوسف**، الدكتور سعيد دويكات.

٩٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٠٠. **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، ط: ٧، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.

١٠١. **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، ط:١١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٠٢. **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط: ٣، ١٤٣٦هـ.

١٠٣. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط:٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٠٤. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٠٥. **مسند الإمام أحمد بن حنبل،** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط– عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

١٠٦. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠٧. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،** أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية– بيروت.

١٠٨. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي،** محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٤، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

١٠٩. **المعجم الكبير،** سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، ط:٢.

١١٠. **معجم مقاييس اللغة،** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١١١. **المعجم الوسيط،** مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، دار الدعوة.

١١٢. **مفاتيح الغيب= التفسير الكبير،** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٢٠ هـ.

١١٣. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية– بيروت.

١١٤. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم،** طاش كبرى زاده، دار المعارف العثمانية، ١٩٧٧م.

١١٥. **المفردات في غريب القرآن،** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط:١، ١٤١٢هـ.

١١٦. **مقابلة ومقالة في جريدة فلسطين،** تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٩/٢٩م.

١١٧. **من أساليب التربية في القرآن الكريم،** خطة مقدمة لتسجيل البحث التكميلي لنيل درجة الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن- كلية العلوم الإسلامية - جامعة المدينة العالمية، للعام الجامعي: (١٤٣١هـ - ١٤٣٢هـ)، إعداد الطالبة: (زينب بشارة يوسف)، الإشراف: الدكتور خالد نبوي سليمان حجاج.

١١٨. **من بلاغة القرآن،** أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر- القاهرة، ٢٠٠٥م.

١١٩. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم،** لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط: ١٨، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٢٠. **المهذَّب النقي الجامع لتفسير ابن جرير الطبري،** إعداد: عبد الرحمن بن محمد القماش، من علماء الأزهر.

١٢١. **المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة- بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

١٢٢. **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور،** أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، ط: ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٢٣. **موعظة للشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي في قناة الجزيرة مباشر**، من خلال الإنترنت في بيته بعمَّان، الأردن، ٢٠١٨/٥/١٩م، الساعة: ١:٣٠ص.

١٢٤. **موقع المؤسسة الدولية للتضامن مع الأسرى "تضامن"**.

١٢٥. **النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي**، [قراءة نقدية في مرجعيات الخطاب اللساني وأبعاده المعرفية]، د. نعمان بوقرة . الجزائر، اتحاد الكتاب العرب.

١٢٦. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٢٧. **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

١٢٨. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١٢٩. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط:١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

١٣٠. **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٣١. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية- دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

الفهارس العامة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصفحة
	النساء		
١٨.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن﴾	١	٨٢
١٩.	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾	٦٩، ٧٠	٥١
٢٠.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا﴾	١١٦	٥٣
٢١.	﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾	١١٨	٣٣
٢٢.	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢٠	٣٨
	المائدة		
٢٣.	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾	٩١	٣٦
	الأنعام		
٢٤.	﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾	٥٧	٣٠
٢٥.	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾	٨٢	١٠٠
٢٦.	﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾	١٦١	٥٠، ٥٢
	الأعراف		
٢٧.	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦	٣٥
٢٨.	﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ﴾	٢٧	٣٦
٢٩.	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾	٣٤	٦١
٣٠.	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾	١٧٦	٣٠
	التوبة		
٣١.	﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	٥٣

الرقم	طرف الآية	رقمها	الصفحة
٤٣.	﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾	٩٦	٤٧
٤٤.	﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ... ﴾	١٠١	٣٥
	الكهف		
٤٥.	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ... ﴾	١	٣٥
٤٦.	﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي ... ﴾	١٠٢	
٤٧.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	١٠٧	
	مريم		
٤٨.	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ... ﴾	١٩	٣٠
٤٩.	﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ... ﴾	٤٧	٢٤٥
٥٠.	﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ... ﴾	٦٩	٥٠
	الأنبياء		
٥١.	﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ... ﴾	٢	٣٠
٥٢.	﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ... ﴾	٣	٣٢
٥٣.	﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ ... ﴾	١٣	٥١
٥٤.	﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ ... ﴾	١٩	٥٣
	الحج		
٥٥.	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ... ﴾	٦	٥٧
٥٦.	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ ... ﴾	١٨	٤٦
٥٧.	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ... ﴾	٣٩	٤٦
	المؤمنون		
الرقم	طرف الآية	رقمها	الصفحة

٥٨.	﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	١	٤٨، ٥٤
٥٩.	﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا...﴾	٢٧	٣٧
	النور		
٦٠.	﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ...﴾	٤٥	٤٧
	الفرقان		
٥٩.	﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ...﴾	٣٣	١٥
٦٠.	﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ...﴾	٦٧	٣٧
	الشعراء		
٦١.	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ...﴾	١٩٢ – ١٩٥	ج
٦٢.	﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٢٢٠	٢٩
	القصص		
٦٣.	﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ...﴾	٢٥	٢٨
٦٤.	﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	٦٥	٤٩
٦٥.	﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ...﴾	٦٨	٣٢
٦٦.	﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ...﴾	٨٢	٢٩
	الروم		
٦٧.	﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَا...﴾	٣٦	٣١

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الرقم	طرف الحديث	الراوي	حكم الحديث	رقم الصفحة
٢٢	سلوا الله علمًا نافعًا...	ابن ماجه	صحيح لغيره	٩٤
٢٣	فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه...	البخاري	صحيح	١١٥
٢٤	فإنما الولاء لمن أعتق...	البخاري	صحيح	٧٠
٢٥	قد علمتم أني أتقاكم لله...	البخاري	صحيح	٤٤
٢٦	اللهم في الرفيق الأعلى...	البخاري	صحيح	٤٤
٢٧	لا يتمنين أحدكم الموت من ضر...	البخاري	صحيح	٦٣
٢٨	لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلا كان...	الترمذي	صحيح	٦٦
٢٩	لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا مع...	البخاري	صحيح	٦٦
٣٠	لو كانت الدنيا تعدل عند الله...	الترمذي	صحيح	٤٠
٣١	ما تجرَّع عبدٌ جرعةً أفضل...	أحمد	صحيح	٨١
٣٢	ما سألني عنها أحدٌ غيرك...	الترمذي	حسن	٢٨
٣٣	ما من مسلم يدعو بدعوة...	أحمد	إسناده جيد	٩٠
٣٤	من يرد الله به خيرًا يفقهه...	البخاري	صحيح	٥٧
٣٥	نزل القرآن على رسول الله...	الحاكم	صحيح	١٢
٣٦	هدأ نَفَسُه.	البخاري معلقًا	موقوف	٧٥
٣٧	والله إني لأعلمكم بالله عز وجل...	أحمد	صحيح	٩٥
٣٨	ولينزعنّ الله من صدور عدوكم...	أبو داود	حسن	٤٠
٣٩	يا أبا ذر، إنك ضعيف،...	مسلم	صحيح	٦٨
٤٠	يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن...	الترمذي	حسن غريب	٥٥
٤١	يا عمر، أما شعرت أن عمَّ ...	مسلم	صحيح	٥٠
٤٢	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل...	البخاري	صحيح	٩٠

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم